شرح المائة كلمة

للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

شرح

العالم الرّباني ميثم بن علي بن ميثم البحراني

قدس سرّه

مؤسسة العروة الوثقى

www.haydarya.com

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ _ ٢٠١٠م

مؤسسة العروة الوثقى

الرويس -المعمورة ، شارع خديجة حمدر

هاتف: ٠١/٥٤٠٩٥٢ ٠١/٤٦٧٠٩١ ـ ٠٣/٦٠٦٨٢٩

E-mail:ouwa.woska@hotmail.com

شرح المائة كلمة

للإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)

شرح

العالم الرّباني ميثم بن علي بن ميثم البحراني

قدس سرّه

مؤسسة العروة الوثقى

والفنون العقليّة ذوقاً جيّداً فى العلوم الحقيقيّة والاسرار العرفانيّة كان ذاكرامات باهرة ومآثر زاهرة ويكفيك دليلاً على جلالة شانه وسطوع برهانه اتّفاق كلمة ائمّةالاعصار واساطين الفضلاء فى جميع الامصار على تسميته بالعالم الرّبّانى وشهادتهم له بأنّه لم يوجد مثله فى تحقيق الحقائق وتنقيح المبانى، والحكيم الفيلسوف سلطان المحقّقين واستاذالحكماء والمتكلّمين نصيرالملّة والدّين محمّد الطّوسىّ شهد له بالتّبحّر فىالحكمة والكلام ونظم غررمدائحه فىأبلغ نظام، واستاذ البشر والعقل الحاديعشر سيّدالمحقّقين الشّريف الجرجانىّ على جلالة قدره فىاوائل فنّ البيان من شرح المفتاح قد نقل بعض تحقيقاته الانيقة وتعليقاته الرّشيقةوعبّرعنه ببعض مشايخنا ناظماً نفسه فىسلك تلامذتهومفتخراً بالانخراط فىسلك المستفيدين من حضرته المقتبسين من مشكوة فطرته، والسّيّد السّند الفيلسوف الاوحد ميرصدرالدّين محمّدالشّيرازىّ أكثر النّقل عنه فىحاشية شرح التّجريد سيّما فى مباحث الجواهر والأعراض والتقط فرائد التّحقيقات الّتى ابدعها ــ عطّرالله مرقده ــ فى كتاب المعراج السّماوىّ وغيره من مؤلّفاته لم تسمح بمثله الاعصار مادار الفلك الدّوّار وفى الحقيقة من اطّلع علىشرح نهج البلاغة الّذى صنّفه للصّاحب خواجة عطاملك الجوينىّ وهو عدّة مجلّدات شهد له بالتّبريز فى جميع الفنون الاسلاميّة و الادبيّة و الحكميّة والاسرار العرفانيّة.

ومن مآثر طبعه اللّطيف وخلقه الشّريف على ماحكاه فى مجالس المؤمنين انّه ــ عطّرالله مرقده ــ فى أوائل الحال كان معتكفاً فى زاوية العزلة والخمول مشتغلاً بتحقيق حقائقالفروع والاصول فكتب اليه فضلاء الحلّة والعراق صحيفة تحتوى على عذله وملامته على هذهالاخلاق وقالوا: العجب منك انّك مع شدّة مهارتك فى جميع العلوم والمعارف وحذاقتك فىتحقيق الحقائقوابداع اللّطائف قاطنٌ فىطلول الاعتزال، ومخيّم فى زاوية الخمول الموجب لخمود نارالكمال، فكتب فىجوابهم هذه الابيات:

طلبت فنون العلم أبغى بها العلى فقصّرنى عمّا سموت به القلّ

تبيّن لى أنّ المحاسن كلّها فروع وأنّ المال فيها هو الاصل

فلمّا وصلت هذه الابيات اليهم كتبوا اليه انّك أخطأت فى ذلك خطاءً ظاهراً وحكمك بأصالة المال عجب بل اقلب تصب؛ فكتب فى جوابهم هذه الابيات وهى لبعض الشعراء المتقدّمين :

قد قال قومٌ بغير علمٍ ما المرؤ الّا بأكبريه
فقلت قول امرئٍ حكيمٍ ما المرؤ الّا بدرهميه
من لم يكن درهمٌ لديه لم تلتفت عرسه اليه

ثمّ انّه عطّر الله مرقده لمّا علم انّ مجرّد المراسلات والمكاتبات لاتنقع الغليل ولاتشفى العليل توجّه الى العراق لزيارة الائمّة المعصومين عليهم السّلام واقامة الحجّة على الطّاعنين ثم انّه بعد الوصول الى تلك المشاهد العليّة لبس ثياباً خشنةً عتيقةً وتزيّى بهيئةٍ رثّةٍ بالاطّراح والاحتقار خليقةً ودخل بعض مدارس العراق المشحون بالعلماء والحذّاق فسلّم عليهم فردّ بعضهم عليه السّلام بالاستثقال والانقباع التّامّ فجلس ــ عطّر الله مرقده ــ فى صفّ النّعال ولم يلتفت اليه أحدٌ منهم ولم يقضوا واجب حقّه وفى اثناء المباحثة وقعت بينهم مسألة مشكلة دقيقة كلّت منها أفهامهم وزلّت فيها أقدامهم فأجاب ــ روّح الله روحه وتابع فتوحه ــ بتسعة أجوبة فى غاية الجودة والدّقة فقال له بعضهم بطريق السّخريّة والتّهكّم: إخالك طالب علمٍ ؟! ثمّ بعد ذلك أحضر الطّعام فلم يؤاكلوه ـ قدّس سرّه ـ بل أفردوه بشيءٍ قليلٍ على حدةٍ واجتمعوا هم على المائدة فلمّا انقضى ذلك المجلس قام ــ قدّس سرّه ــ ثمّ انّه عاد فى اليوم الثّانى اليهم وقد لبس ملابس فاخرةً بهيّةً بأكمام واسعة وعمامة كبيرة وهيئة رائعة فلمّا قرب و سلّم عليهم قاموا له تعظيماً واستقبلوه تكريماً وبالغوا فى ملاطفته ومطايبته واجتهدوا فى تكريمه وتوقيره وأجلسوه فى صدر ذلك المجلس المشحون بالافاضل والمحقّقين والاكابر المدقّقين ولمّا شرعوا فى المباحثة والمذاكرة

ميثم البحرانيّ فانّه بفتح الميم. **وقبر الشيخ المذكور الآن في بلادنا البحرين** في قرية هلتا من احدى القرى الثلاثة من الماحوز المتقدّم ذكرها وقبر جدّه ميثم في قرية الدّونج وقد قبر شيخنا الشيخ سليمان بن عبدالله البحرانيّ صاحب الرّسالة المذكورة في قربه لأنّه من قرية الدّونج كما تقدّم ذكر ذلك في صدر الاجازة عند ذكر ترجمته و نقل بعض أن قبره في نواحي العراق ؛ والاوّل أشهر.

تلامذته

ويروى عنه جملة من الاصحاب منهم السّيد الأجلّ السّيّد عبدالكريم بن السّيد أحمد بن طاووس الى أن قال ومنهم الشيخ سعيدالدّين محمّد بن جهم الأسديّ الحلّي انتهى كلام صاحب لؤلؤة البحرين في حقّ هذا الرّجل. وقد ذكره أيضاً صاحب كتاب مجمع البحرين في مادّة مثم فقال: وميثم بن عليّ بن ميثم البحرانيّ شيخ صدوق ثقة له تصانيف منها شرح نهج البلاغة لم يعمل مثله ، وله كتاب القواعد في اصول الدّين، وله كتاب استقصاء النّظر في امامة الأئمّة الاثني عشر لم يعمل مثله ، وله كتاب الاستغاثة في بدع الثّلاثة حسنٌ جدّاً، وله رسالة في آداب البحث وهو شيخ نصيرالدّين في الفقه وله مجلس عند المحقّق الشيخ نجم الدّين (ره) ومباحثة و أقرّ له بالفضل وشيخنا ابوالسّعادات رضوان الله عليهم أجمعين انتهى. وقد عرفت بطلان نسبة كتاب الاستغاثة اليه (ره) من كلام صاحب اللّؤلؤة وهو عندنا من القطعيّات الاوّلة لمّا بيّنّا في ذيل ترجمة مصنّف هذا الكتاب على الحقيقة عليّ بن أحمد بن موسى الرّضويّ الموسويّ فليراجع. وامّا مجلس مباحثة الرّجل مع مولانا المحقّق الحلّيّ فكأنّه من جملة مجالسه المنيفة الّتي قد عرفتها من تقرير صاحب المجالس.

ثمّ انّ في توضيح الاشتباه نسبة الغلط الى صاحب المجمع في اخذ هذه التّسمية من مادّة «مثم» معلّلة باتّفاق سائر اهل اللّغة على ذكرها في مادّة «وثم» دون «مثم» و «يثم» فياء ميثم منقلبة عن الواو لكسر ماقبلها ولو كان مفتوحاً لقالوا: موثم؛ لا ميثم. **وفيه أيضاً** في ذيل ترجمة

ميثم التمّارالّذى هومن جملة حملة الاسرار:وهو بكسرالميم وسكون الياء وقال بعضهم بفتح الميم ولعلّه سهو **فظهرمن كلّ ذلك** ايضاً انّ تفصيل من نقل عن حاشيته على الخلاصة كلام بلادليل لايصحّ على محضه التّعويل نعم لم يزد صاحب القاموس فى مادّة «وثم» على قوله: وميثم اسمٌ؛ فسكت فيه عن ضبط هذه الصّيغة امّا تعويلاً على معروفيّة كونها مكسورة الميم او من جهة احتمالها الحركتين وفيه ايضاً من الاشارة الى كونها غير ذات معنى اصلىّ فى لغة العرب مالايخفى وان كان الظّاهرعندنا انّها اسم آلة من الوثم الّذى هو بمعنى الدّق كما انّ الميسم الّذى هو بالسّين المهملة مفعل من الوسم الّذى هو بمعنى الكىّ ونحوه واصله من الواو ايضاً بقرينة جمعه على مواسم كما افيد».

أقول: حيث كانت هذه التّرجمة اجمع ترجمة للشّارح (ره) اكتفى المحدّث القمى الحاجّ الشّيخ عبّاس (ره) عندذكره لهذا العالم فى كتابه «الكنى والالقاب» بتلخيصها وقال (ص ٤١٩):

«كمال الدّين ميثم بن علىّ بن ميثم البحرانىّ العالم الرّبانىّ و الفيلسوف المتبحّر المحقّق والحكيم المتألّه المدقّق جامع المعقول والمنقول استاذ الفضلاء الفحول صاحب الشروح على نهج البلاغة ؛ يروى عن المحقّق نصير الدّين الطّوسىّ والشّيخ كمال الدّين علىّ بن سليمان البحرانىّ، ويروى عنه آية الله العلّامة والسّيّد عبدالكريم بن طاوس. **قيل:** انّ الخواجة نصير الدّين الطّوسىّ تلمّذ على كمال الدّين ميثم فى الفقه وتلمّذ كمال الدّين على الخواجة فى الحكمة، توفّى سنة ٦٧٩ (خمط) وقبره فى هلتا من قرى ماحوز وحكى عن بعض العلماء أنّ ميثم حيثما وجد فهو بكسرالميم الّا ميثم البحرانىّ فانّه بفتح الميم والله تعالى العالم وكتب الشّيخ سليمان البحرانىّ رسالةً فى أحواله سمّاها السّلافة البهيّة».

أمّا كتاب القواعد فقد طبع بهامش المنتخب للطّريحىّ المطبوع فى بمبئى سنة ١٣٣١.

كلمـــة

حول هذا الشّرح

يؤخذ ممّا مرّ من كلمات العلماء عند الاشارة الى اسم هذا الشّرح والتّعبير عنه انّ

كتاب

شرح الكلمات المايه مركلام بحر العلوم

الباذخ والطرف الفاخر لامام الهمام والاسد الضرغام

امير المومنين وسيد الوصيين علي بن ابي طالب ع

عليه افضل الصلوات واكمل التحيات

تاليف الامام الفاضل البارع كمال الدين ميثم بن علي

البحراني قدس سره وطهره

الطبعة الحجرية

الطاهرية

صورة ما على ظهر النسخة المشار اليها بحرف الالف «ا»

التي بنى عليها طبع الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم ياذا الجلال والاكرام ياحي ياقيوم ياسلام ياسبوح
الجود ومنبعه وغياث كل موجود ومرجعه بانور الانوار وعالم خفيات
الاسرار احمدك على عوارف كرمك وسوابغ نعمك ومجازاة لفضلك
واحسانك ولاحصى على عزتك وسلطانك ولا استنكافا من لطولك وامتنانك
بل استكانة لعظمتك وعلو شانك واخلي ذاتي عن كل معبود بلا اله واجليها
بالا انت وعلاك واتمم زينتها بشهادة ان محمدا عبدك ورسولك الجالي
لصدا القلوب الفاتح لخزائن الغيوب المورى لقبس الهدى بعد ان عشى بظلام
الجهل ابصار العقول الرافع لموضحات الاعلام بعد ان ضل الدليل وتاه المدلول
اللهم واسلك ان تخص شرائف صلواتك وتنمي بركاتك وان تجعل
لآله وخلفائه الراشدين من ذلك اجزل حظ واوفاه واوفر قسط والماه واسلك
ان تنور قلبي بلوامع هدايتك وتلحظ وجودي ببعض عنايتك انك انت الوهاب
اما بعد فلما كان لكمال التعادل اتمها واشرف الدرجات اعلاها من الوصول
الى الحق والحصول على المقعد الصدق حسن تحلي ابصار البصائر بتلك
المنارق وخرق القلوب لتلك المخارق وكان مولانا وامامنا سيد الوصيين
امير المؤمنين ذو الايات الجليلة والكرامات العلية علي بن ابي طالب سلام الله
عليه من تتمم من تلك الدرجات اعلاها ومارس من تلك المقامات باجلاها

واتمها

اول صفحة من النسخة المشار اليها بحرف الالف «ا»
التي أسس عليها طبع الكتاب

ذوالايات الجليّة والكرامات العليّة عليّ بن ابى‌طالب سلامُ الله عليه ممّن تسنّم من‌تلك الدّرجات اعلاها وفاز من تلك المقامات باجلاها[١] واسماها حتّى ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه وسطع صبح الحقّ من افق برهانه ، فلاحت من وادى كماله اعلامه الزّاهرة ولوّحت الى شرف قوّته القدسيّة آياته الباهرة حتّى لقدكفرت فيه طائفة لمّا[٢]رأت من تلك الآيات[٣] وزعمت انّه الله الأرض والسّماوات ، وفسقت الاخرى بمنا بذته بغياً عليه وحسداً ، و وجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربّك احداً [٤]، وكان من جملة حكمه البالغة وشموسه البازغة[٥] مائة من الكلم جمعت لطائف الحكم؛ انتخبها من كلماته الامام ابوعثمان عمروبن بحرالجاحظ عفى الله عنه وكان ممّن استجمع‌فضيلتى العلم والأدب وحكم بانّ كلّ كلمة منها تفى بالف من محاسن كلام العرب ولم يخصّها من سائر حكمه[٦] لمزيد جلالة بل لضمّها [٧] الوجازة الى الجزالة ثمّ اتّفق اتّصالى بمجلس الصّاحب المعظّم ملك وزراء العالَم العالِم العادل ذى النّفس القدسيّة والرّياسة الانسيّة شهاب الدّنيا والدّين مسعود بن كرشاسف ضاعف الله جلاله و ادام اقباله فألفيته منخرطاً فى سلك الرّوحانيّات معرضاً عن الاجسام والجسمانيّات مولّياً بوجهه شطرالقبلة الحقيقيّة متلقّياً بقوّته العقليّة اسرارالمباحث اليقينيّة[٨]، احظى مجلسائه لديه من نطق بحكم واكرمهم عليه من حاوره فى‌علم ، احببت أن اتحف حضرته العليّة بكشف استاربعض[٩] تلك الكلمات ورموزها وابراز[١٠] ما ظهرلى من دفائنها و كنوزها ، وشرعت فى ذلك معتصماً بالله وملتمساً للعذر ممّن عثرلى على هفوة[١١] واطّلع منّى على زلّة فانّى مع قصور استعدادى عن درك هذا المقام؛ احوالى الحاضرة جاريـة على غيرنظـام ، وعلى الله قصد السّبيل وهوحسبي ونعم الوكيل.

١ـ ب : «باجلها». ٢ـ يمكن‌قراءتها «لما» (بلام‌الجر وما الموصولة). ٣ـ د : «الكرامات». ٤ـ ذيل آية ٤٩ سورة‌الكهف. ٥ـ فى‌النسخ «الطالعة». ٦ـ د: «كلمه». ٧ـ د: «الالتضمنها». ٨ـ د: «النفسية». ٩ـ ب : «بعض استار». ١٠ـ د : «و اظهار». ١١ـ د : «هبوة».

و قدر تبّت هذه الرّسالة على ثلاثة اقسام ؛

القسم الاوّل فى المبادى و المقدّمات الّتى يجب تقديمها فى اثبات هذا المطلوب؛وفيه فصول:

الفصل الاول

فى النّفس الحيوانيّة ولواحقها؛ وفيه ابحاث:

البحث الاول

فى تحقيقها وبرهان وجودها بقول و جيز :

انّ العناصر الأربعة قد يبلغ استعداد مزاجها فى التّمام الى درجة اعلى من مزاج المعدن والنّبات كما علمت ذلك فى موضع اليق به فيقبل حينئذٍ كمالاً اشرف من كماله وهوالنّفس الحيوانيّة،وحدّها أنّها كمالٌ اوّلٌ لجسم طبيعيٍّ آليّ معدّ لقبول الحسّ والحركة ، والاحتراز بالطّبيعيّ عن الصناعيّ، وبالأوّل[1] عن الكمال الثّانى كالعلم وغيره، وبالآليّ عن صور العناصر.

وامّا برهان وجودها فقالوا: انّ العضو المفلوج فيه قوّة نفسانيّة لانّ العناصر المتجاذبة الى الانفكاك لاتجتمع الّا لقاسر قبل الامتزاج وهو مغاير للمزاج وتوابعه لتأخّرها عنه وهو امّا ان يكون قوّة الحسّ والحركة وهو باطل لعدمها فى[2] العضو المفلوج ، او قوّة التّغذية وهو أيضاً باطل لانّها قد تبطل مع بقاء الحيوانيّة ولانّ الغاذية موجودة[3] للنّبات فلو اعدّت لقبول الحسّ والحركة لكان النّبات مستعدّاً لهما ، أو مغايراً[4] لهذين القسمين وهوالمطلوب، ولمّا كانت هذه النّفس بعد مايعمّها من القوى[5] النّباتيّة تختصّ بقوّتين ؛ احداهما مدركة والاخرى محرّكة وكانت المدركات تنقسم الى

١- د : «و بالكمال الاول». ٢- ب د : «من». ٣- د : «موجودية». ٤- د : «اومغاير». ٥- فى النسخ : «قوى».

لاينتقل من جسم الى جسم فاذا وصل ذلك الهواء الى طرف الانف تأدّى[١] الى تينك[٢] الزائدتين وانفعلتا عن تلك الرّائحة وكيفيّاتها فادركتها القوّة المذكورة[٣] فكان ذلك شمّاً وادراكاً للرّائحة.

الرّابع ـ حسّ السّمع وهى قوّة نافذة من[٤] الدّماغ الى الاذن فى عصبة نابتة من الدّماغ الى الصّماخ مبسوطة عليه ممدودة كمدّ الجلد على الطّبل وهذه العصبة آلة تلك القوّة وهى مدركة للصّوت بتوسّط الهواء وهو هيئة تحصل فى الهواء بسبب تموّج يقع له بحركة عنيفة امّا من قرعٍ بعنف[٥] يحصل عن اصطكاك جسمين صلبين فينضغط الهواء بينهما وينفلت[٦] بشدّةٍ وامّا من قلع بقوّة فيدخل الهواء بشدّة بين الجسمين المنفصلين ويحصل من هذين السّببين[٧] تموّج الهواء على هيئة مستديرة كما ترى فى[٨] الدّوائر الحاصلة فى الماء الرّاكد عند رمى حجر فى وسطه فانّها اوّلاً تكون صغيرةً ثمّ تتّسع فتضعف قليلاً قليلاً الى ان تنمحى فاذا انتهى هذا التموّج الى الهواء الّذى فى الاذن حرّكه حركة مخصوصة على هيئة مخصوصة فتنفعل العصبة المفروشة على الصّماخ من تلك الحركة فيحصل هناك طنين فتلاقيه القوّة المذكورة فيها وتدركه فيسمّى هذا الادراك سماعاً، **وقد يتّفق**[٩] ان يتّصل هذا التموّج بجسم صلب فيصكّه ويرتدّ عنه فينعطف ثانياً ويتّصل بهواء الاذن فتنفعل العصبة عنه فتدركه قوّة السّمع ويقع ذلك فى الحمّامات والجبال والبيوت المجصّصة ويسمّى صدىً.

الخامس ـ حسّ البصر وهو قوّة مرتّبة فى العصبتين المجوّفتين النّابتتين من الدّماغ الى كلّ واحدة من العينين مدركة للصّور المنطبعة فى الرّطوبة الجليديّة بتوسّط جسم لطيف نورانىّ ينبعث من الدّماغ سارياً فى تينك العصبتين المجوّفتين الى العين يسمّى ذلك الجسم الرّوح الباصر[١٠] وهو آلة تلك القوّة وحاملها كما ستعرف ان شاءالله تعالى

١ـ ا : «فادى». ٢ـ فى الاصل: «تلك». ٣ـ د : «المدركة». ٤ـ ا : «فى».
٥ـ د : «عنيف». ٦ـ ب : «ينقلب» د : «ينقلب». ٧ـ د : «الشيئين». ٨ـ ب د : «من». ٩ـ د : «اتفق». ١٠ـ د : «الناظر».

وهذا الرّأى اعنى انّ الابصار بسبب انطباع صورة المرئىّ فى الرّطوبة الجليديّة هو رأى الحكيم ارسطو وعليه آراء متأخّرى الحكماء، وفى كيفيّة الابصار مذهب آخر وهو انّه انّما يكون بخروج شعاع من العين على شكل مخروط تتّصل[1] قاعدته بسطح المرئىّ وزاويته متّصلة بنقطة النّاظر؛ وهو مذهب باطل، وعلى بطلانه براهين كثيرة ويكفيك منها ههنا ان تعلم انّه لو كان كذلك لاختلف الرّؤية عند هبوب الرّياح وركودها لمانعة الهواء ولكان ماتحت الممانعات[2] من ذوات الألوان احقّ بأن يرى ممّا فى الزّجاجات الصّافية لسهولة نفوذ الشّعاع هناك؛ والتّاليان باطلان فالمقدّم كذلك، وباقى البراهين مذكورة فى المطوّلات.

ثمّ انّ لهذا الانطباع الّذى تأخذ عنه القوّة شروطاً سبعةً احدها سلامة الحاسّة من الآفات، الثّانى عدم الحجاب بين الرّائىّ والمرئىّ، الثّالث حصول النّسبة الوضعيّة بينهما وهى المقابلة، الرّابع كون المقابل ذالون، الخامس ان لايكون بينهما بُعدٌ مفرط، السّادس ان لايكون بينهما قربٌ مفرط، السّابع ان لايكون جسم المرئىّ فى غاية الصّغر؛ فاذا فرضنا تمام هذه الشّروط فانّ آلة الحسّ حينئذ تصير مستعدّة لحصول ذلك المرئىّ فيها أى صورة مطابقة فيها صورة الشّىء ومثاله الّا أنّ بينهما فرقاً وهو حصول القوّة المدركة هناك دون المرآة فادراك القوّة لتلك الصّورة المنطبعة يسمّى ابصاراً، **والاهمّ للحيوان من هذه الخمس هو الذّوق واللّمس** وامّا ماعداهما فقد يتعرّى عنها بعض الحيوانات.

واعلم انّ لهذه القوى حكمين عامّين:

احدهما ـ انّها لاتزيد على الخمس و برهانه انّ الطّبيعة لاتنتقل من درجة الى مافوقها الّا بعد استكمال جميع تلك الدّرجة فيها فلو كان فى الامكان حسّ آخر لكان حاصلاً للانسان وحيث لم يحصل علمنا انّه ليس بممكن.

الثّانى ـ **النوم واليقظة** وحقيقتها أنّ الجرم اللّطيف الحاصل للقوى النّفسانيّة المسمّى روحاً نفسانيّاً[3] كماستعرفه اذا انصبّ فى الحواسّ الظّاهرة حصلت الادراكات

١ـ د: «تستطيل». ٢ـ ب: «تحجب المانعات». ٣ـ ا: «انسانيّاً».

الثّالث من الدّماغ فعلها حفظ هذه المعانى الجزئيّة الّتى يدركه الوهم ، ونسبتها الى الوهم نسبة الخيال الى الحسّ المشترك وكما انّ هناك مبدءً هو الحسّ المشترك وخازناً هو الخيال فكذا هنا مبدء هو الوهم وخازن وهوالحافظة؛ ومغايرته للوهم تعلمها من الفرق بين الحسّ والخيال.

الخامس ـ المتخيّلة وهو قوّة مودعة فى مقدّم التّجويف الاوسط من الدّماغ عندالجسم المسمّى بالدّودة لشبهه بها ، وفعلها الخاصّ بها تفتيش الخزانتين والتّصرّف فيها بتركيب بعض مودعاتها مع بعض و تفصيل بعضها عن بعض فقد تركّب بين صورتين تدركها من خزانة الصّور كتركيب انسان برأس ثور ونحوه، وقد تركّب الصّور بالمعانى والمعانى بمثلها،وقد يستعين العقل بها فى ادراك المعقولات لانّها آلة الوهم الّذى هو آلة العقل وبها يكون اقتناص الحدّ[1] الاوسط وهى المحاكية للمدركات العقليّة بالهيئات المزاجيّة وتنتقل الى الضّدّ والشّبه[2] فاذا تصرّفت فى الخزائن باشارة العقل بواسطةالوهم سمّيت بهذا الاعتبار مفكّرة ومن دون استعمال العقل لها تسمّى متخيّلة ،ولمّا كان فعل هذه القوّة تفتيش الخزانتين كان اليق المواضع بها وسط الدّماغ لتكون[3] متوسّطة لها قضاءً من المدبّر الحكيم عزّ سلطانه ، وانّما عرفت مواضع هذه القوى باعتبارات ظنّيّة من فساد قوّة مخصوصة منها عن آفة تعرض فى موضع مخصوص من الدّماغ والله ولىّ الهداية.

البحث الخامس

فى القوى المحرّكة بالارادة وهى مترتّبة بعضها تنسب اليها الحركة لانّها باعثة عليها [وبعضها][4] لانّها فاعلة لها

امّا القوى الباعثة فأبعدها عن الحركة هى القوى المدركة المذكورة وهى المتخيّلة والوهم فى الحيوان والعقل العملىّ بتوسّطهما فى الانسان وتليها القوّة النزوعيّة المسمّاة

١ـ ب : « و بها يكون اقتناص العقل و بها يكون الحدالاوسط». ٢ـ ا:«والتشبيه».
٣ـ ا ج : «فتكون». ٤ـ هذه الكلمة فى نسخة ب فقط.

شوقاً فانّها تنبعث عن القوى المدركة امّا الى طلب بحسب ادراك الملائمة فى الشّىء اللّذيذ أو النّافع سواء كان ادراكاً مطابقاً أو غير مطابق وتسمّى شهوة وامّا الى دفع ومقاومة لادراك منافاة فى الشّىء المكروه أو الضّادّ وتسمّى غضباً وتليها القوّة المحرّكة الفاعلة وهى قوّة تنبعث فى الاعصاب والعضلات من شأنها تشنيج العضلات لجذب الاوتار والرّباطات وارخائها وتمديدها وهى المسمّاة بالقدرة وهى بالحقيقة المحرّكة وماعداها فيجرى مجرى الأمر الباعث باشارته والله الموفّق.

البحث السادس

فى الأرواح الحاملة لهذه القوى

واعلم انّ لكلّ واحدةٍ من القوى المدركة والمحرّكة روحاً يختصّ به هو الحامل له تسمّى روحاً نفسانيّاً وتولّده من[1] بطون الدّماغ وينفذ فى شظايا العصب الى سائر البدن ويقوّم القوى النّفسانيّة وينصبّ الى آلاتها ويحفظها على حالها وتولّده يكون من جسم آخر يسمّى روحاً حيوانيّاً يتولّد فى القلب من بخار الدّم الصّافى اللّطيف النّقىّ ومن الهواء الدّاخل للاستنشاق وكيفيّة تولّد النّفسانىّ عنه انّ الرّوح الحيوانىّ يصعد من القلب الى الدّماغ فى العرقين الضّاربين بين المعروفين بعرق السّبات[2] الصّاعدين الى الدّماغ وينفذان الى القحف الى الموضع المعروف بقاعدة الدّماغ وينقسمان هناك بضروب من القسم[3] ويكثر مايتفرّع منها[4] من العروق فيصير بعضها فوق بعض ويخالط بعضها بعضاً ويلتوى[5] بعضها على بعض ويشتبك حتّى ينتسج من ذلك[6] نسيجة تشبه الشّبكة ثمّ بعد انتساجها يصير منها عرقان ضاربان شبيهان بالاوّلين ويصعدان الى فوق هذا الموضع فيتفرّقان[7] فيه فاذا صعد الرّوح الحيوانىّ من القلب وصار فى هذه النّسيجة وجال فى عروقها ومكث طويلاً

١- ب : «فى». ٢- «كذا». ٣- ب : «القسمة». ٤- د: «منها». ٥- ا ج: «يستولى». ٦- الساقط من النسخة الثالثة كما اشرنا اليه فى الصفحة الاولى كان الى هنا.
٧- ج د : «فيفرقان» ولعل الصحيح : «فيفترقان».

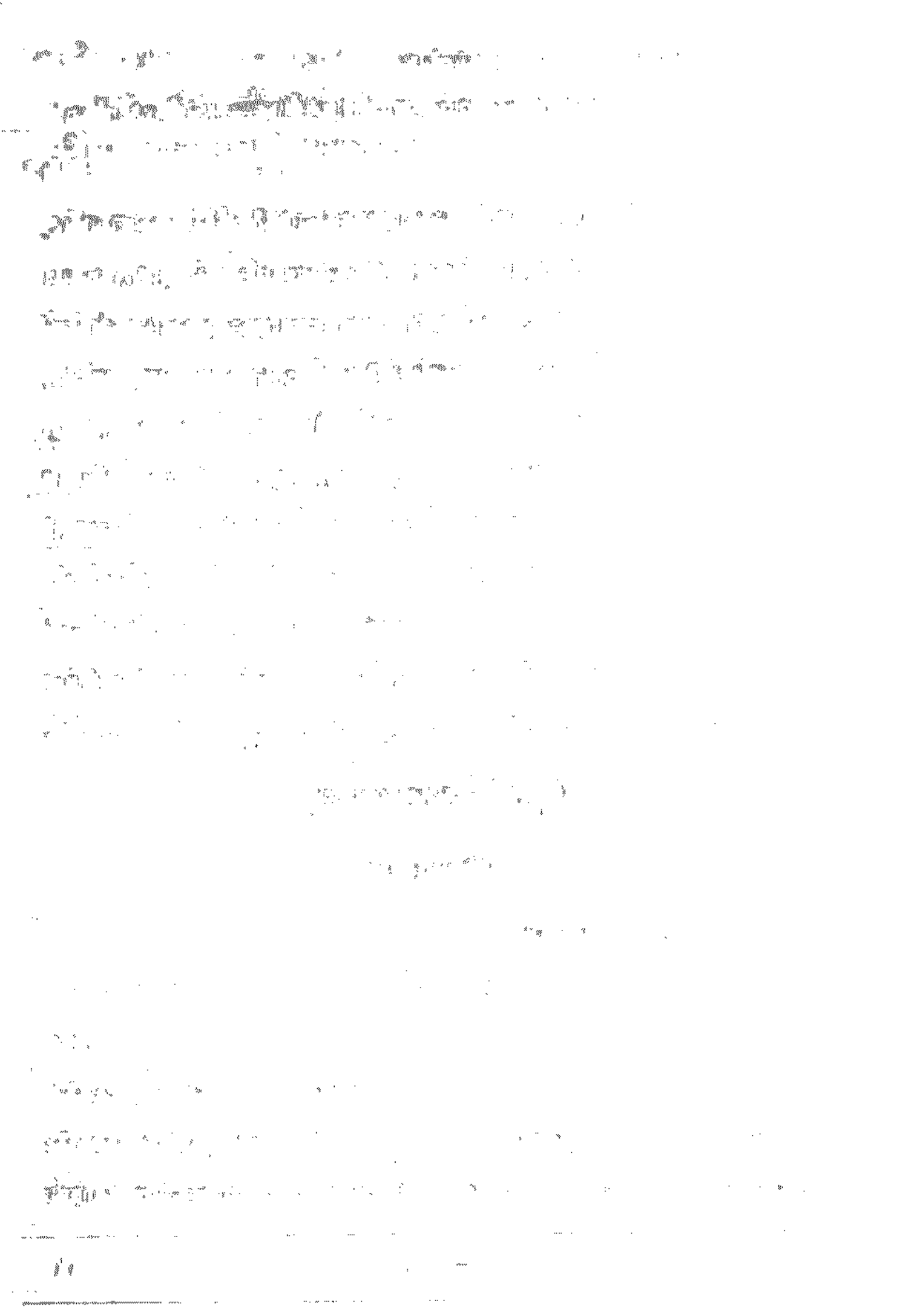

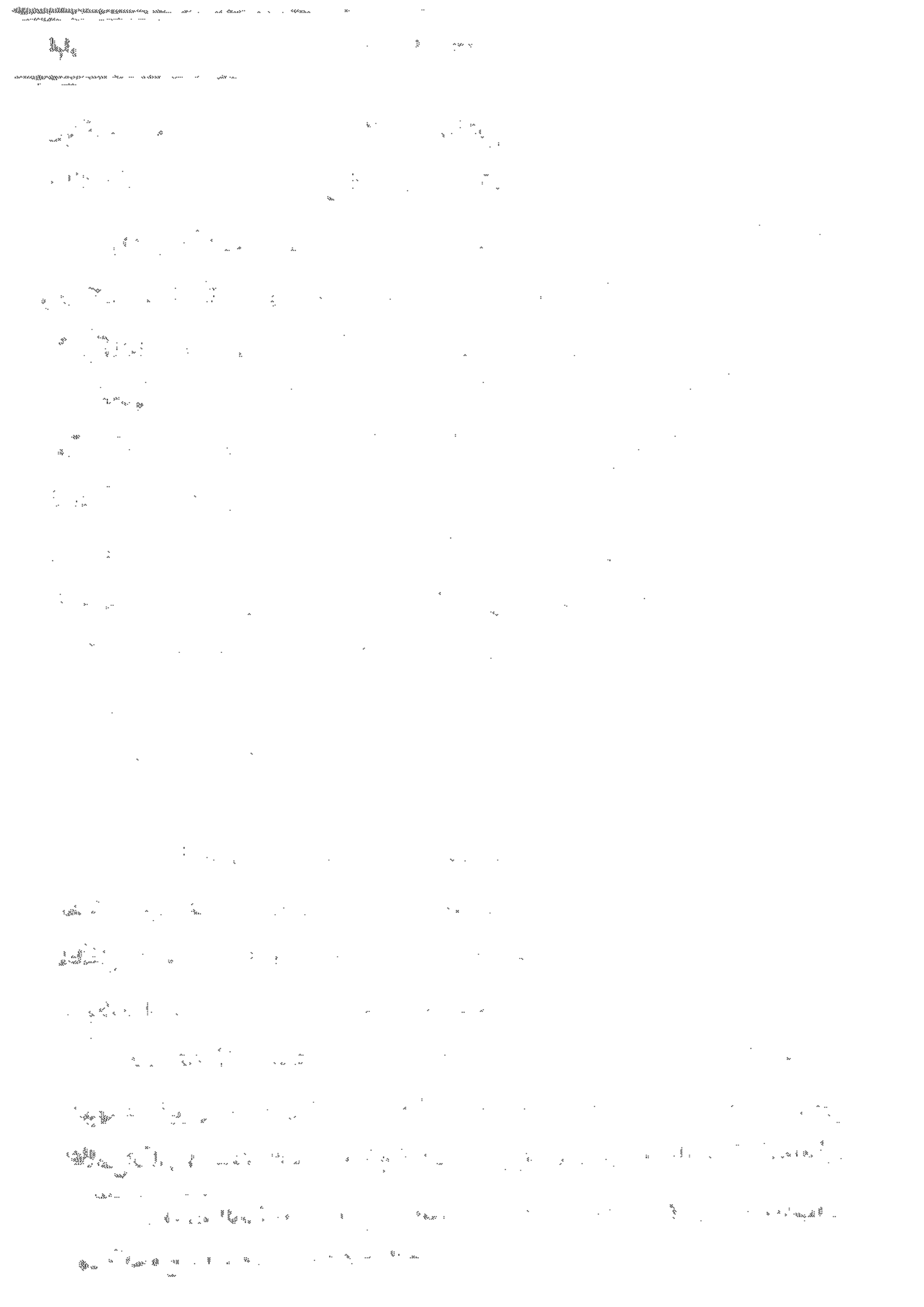

البحث الثانى
فى قوى النّفس الانسانيّة

واعلم انّ النّفس الانسانيّة لها قوّتان؛ نظريّة وعمليّة، وكلّ منهما تسمّى عقلاً وان كان العقل يطلق على درجات القوّة النّظريّة وعلى معانٍ اخرى بحسب اشتراك الاسم كماتعلمه **امّا العمليّة** فهى قوّة محرّكة لبدن الانسان الى الافاعيل الجزئيّة على مقتضى آراء بعضها جزئيّة محسوسة وبعضها كلّيّة اوّليّة أوجزئيّة[1] أو ذائعة أوظنّيّة تحكم بها القوّة النّظريّة من غير ان يختصّ حكمها بجزئىّ دون آخر والقوّة العمليّة تستعين بالقوّة النّظريّة فى ذلك الى ان تنتهى الى الرّأى الجزئىّ الحاصل فتعمل بحسبه وتحصل مقاصدها فى طرفى المعاش والمعاد ولهذه القوّة نسبة الى القوّة النّزوعيّة وعنها يتولّد كثير من الأفاعيل كالضّحك والبكاء، ونسبة الى الحواسّ الباطنة وهى استعمالها فى استخراج الامور المصلحيّة والصّناعات ونحوها، ونسبة الى القوّة النّظريّة ومنها[2] تحصل المقدّمات المشهورة والعمليّة هى الّتى يجب بمقتضى جبلّتها أن يتسلّط على القوى البدنيّة فتصرّفها كما ينبغى فان اتّفق لها أن انفعلت عن تلك القوى كان ذلك موجباً للبعد عن حضرة ربّ العالمين كما سنبيّن ان شاء الله تعالى .

وامّا النّظريّة فهى الّتى لاجلها يصحّ من النّفس ادراك الأشياء على الوجه[3] الصّواب **ولها فى الاستكمال من الاستعداد مراتب ثلاثة** ومثّلت[4] فى مبدئها بما[5] يكون للطّفل من قوّة الكتابة، وفى وسطها بما[6] يكون للنّاشئ المستعدّ لتعلّمها ، وفى منتهاها بما يكون للقادر عليها الّذى لايكتب وله أن يكتب متى شاء .

فالمرتبة الاولى للنّفس من الاستعداد المناسبة للمثال المذكور تسمّى عقلاً هيولانيّاً تشبيهاً لها بالهيولى الخالية فى ذاتها عن جميع الصّور المستعدّة لقبولها وهذه المرتبة حاصلة لجميع اشخاص النّاس فى مبادئ الفطرة وقد اشير اليها فى التّنزيل الالٰهى وعبّر عنها بالمشكاة فى قوله تعالى:

١- ا: «او الجزئية». ٢- ج د: «منها». ٣- د: «وجه». ٤- ج د: «وتنقلب».
٥- «كما» ج د «مما». ٦- ج د: «مما».

الله نورالسّماوات والأرض مثل نوره كمشكوٰةٍ فيها مصباح ؛ الآية[1]، ووجه المناسبة بين المشكوٰة والعقل الهيولانيّ انّ المشكوٰة مظلمة فى ذاتها قابلة للنّور لاعلى تساوٍ لاختلاف السّطوح والثّقب فيها فالعقل الهيولانيّ اشبهها[2] فأطلق اسمها عليه.

المرتبة الثّانية وهى المناسبة للمثال المتوسّط تسمّى عقلاً بالملكة وهو الاستعداد الحاصل بعدحصول المعقولات الاولى الّتى هى العلوم الاوّليّة فتتهيّأ لادراك المعقولات الثّانية وهى العلوم المكتسبة والمثال المطابق لها من الآية الزّجاجة،ووجه المناسبة كون الزّجاجة فى نفسها شفّافة قابلة للنّور اتمّ قبول كما انّ النّفس فى تلك المرتبة كذلك ومراتب النّاس

---

١ ـ صدر آية ٣٥ سورة النور و ذيلها : « المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيىء ولو لم تمسسه نار نورعلى نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم».

فليعلم ان الشارح (ره) قد اخذ هذا المطلب من الاشارات ونص عبارة ابن سينا فيه هكذا: «**اشارة** ـ ومن قواها مالها بحسب حاجتها الى تكميل جوهرها عقلا بالفعل فاوليها قوة استعدادية لها نحو المعقولات وقد يسميها قوم عقلاً هيولانياً وهى المشكوة وتتلوها قوة اخرى تحصل لها عند حصول المعقولات الاولى فيتهيأ بها لاكتساب الثوانى اما بالفكرة وهى الشجرة الزيتونة ان كانت ضعفى او بالحدس فهى زيت ايضاً ان كانت اقوى من ذلك فيسمى عقلاً بالملكة وهى الزجاجة والشريفة البالغة منها قوة قدسية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ثم يحصل لها بعدذلك قوة وكمال اما الكمال فان يحصل لها المعقولات بالفعل مشاهدة متمثلة فى الذهن وهو نور على نور واما القوة فان يكون لها ان يحصل المعقول المكتسب المفروغ منه كالمشاهد متى شاءت من غير افتقار الى اكتساب وهوالمصباح وهذا الكمال يسمى عقلا مستفاداً وهذه القوة تسمى عقلاً بالفعل والذى يخرج من الملكة الى الفعل التام ومن الهيولانى ايضاً الى الملكة فهو العقل الفعال وهوالنار» ومن اراد التفصيل فيه فليطلبه من شروح الاشارات.

فليعلم ان الشارح (ره) قد اخذ مطالب كثيرة من كتاب الشفاء الا انه قد غير عباراتها فى موارد وقد اكتفى بنقل عين العبارات ولم نشر اليها الا قليلاً فمن اراد التطبيق فعليه ان يطابقهما.

٢ـ ج د : «يشبهها».

البحث الثالث

فى الكمالات العقليّة الانسانيّة

لمّا كان للنّفس الانسانيّة قوّتان ؛ قوّة نظريّة وقوّة عمليّة كذلك وجب ان يكون لكلّ واحدة من هاتين القوّتين كمال يخصّها، واستكمال النّفس بتلك الكمالات فى القوّتين يسمّى حكمةً ، فرسم الحكمة اذاً استكمال النّفس الانسانيّة بتصوّر الامور والتّصديق بالحقائق النّظريّة والعمليّة على قدر الطّاقة الانسانيّة، وهى تنقسم الى **نظريّة وعمليّة؛ فالنّظريّة** هى استكمال القوّة النّظريّة فى الادراكات التّصوّريّة والتّصديقيّة حتّى تصير عقلاً مستفاداً، **والعمليّة** هى استكمال القوّة العمليّة بتصوّر انّه كيف يمكن وينبغى ان يكون اكتساب الكمال بالملكة التّامّة على الأفعال الفاضلة حتّى يكون الانسان قويماً على الصّراط المستقيم وكلّ واحدة منها تنقسم الى اقسام[1] ثلاثة :

امّا اقسام الحكمة النّظريّة فهى هذه حكمة تتعلّق بما فى الحركة والتّغيّر من حيث هى فى الحركة والتّغيّر **وهى الحكمة الطّبيعيّة** اذ كان البحث الطّبيعىّ لا عن ذات الجسم بل عن كونه متحرّكاً وساكناً، وحكمة تتعلّق بامور من شأنها ان يجرّدها الذّهن عن التّغيّر وان كان وجودها مخالطاً للتّغيّر وتسمّى **حكمة رياضيّة**، وحكمة تتعلّق بما وجوده مستغنٍ عن مخالطة التّغيّر فلا يخالطها اصلاً وان خالطها فبالعرض لانّ ذاتها مفتقرة فى تحقّق الوجود اليه وتسمّى **الفلسفة الاولى** والفلسفة الآلهيّة وهى معرفة الالٰه جزءٌ من هذه وقد يزاد **ههنا قسم رابع وهو الحكمة الباحثة عن لواحق الوجود من حيث هو وجود** مثل الوحدة والكثرة والكلّيّة والجزئيّة والعلّيّة والمعلوليّة والكمال والنّقصان وغيرها وقد ادرجناها فى الفلسفة الاولى وان اردنا افرازها قلنا فى القسم الثّالث : **وحكمة تتعلّق بما وجوده مستغنٍ عن مخالطة التّغيّر اصلاً وهى الفلسفة الالٰهيّة، وحكمة تتعلّق بما وجوده مستغنٍ عن**

١- فى النسخ : «باقسام».

مخالطة التّغيّر وقد يخالطها بالعرض من غير ان تكون ذاتها مفتقرة فى تحقّق وجودها اليه وهى الحكمة الكلّيّة.

وامّا اقسام الحكمة العمليّة فهى هذه

حكمة خلقيّة وحكمة منزليّة وحكمة سياسيّة وذلك لانّ كلّ عاقل فلابدّ وان يكون ذاغرض فى فعله وذلك الغرض امّا ان يكون مختصّاً به فى نفسه وهو علم الأخلاق، أو يكون مختصّاً به مع خواصّه واهل بيته وهو علم تدبير المنزل، وامّا ان يكون عائداً الى الانسان مع[1] عامّة الخلق وهو علم السّياسة **وقد يزاد فى هذه الأقسام رابع** وهو غرض الانسان بالنّسبة الى مدينته وتسمّى حكمة مدنيّة وهو تعلّم تدبير المدينة بكيفيّة[2] ضبطها ورعاية مصالحها؛ وهذا علم لابدّ منه لانّ الانسان مدنىّ بالطّبع فما لم يعرف كيفيّة بناء المدينة وترتيب اهلها على اختلاف درجاتهم لم يتمّ مقصوده وعلى القسمة الأولى فانّ هذا القسم جزء من الحكمة السيّاسيّة. **امّا فائدة الحكمة الخلقيّة** فهو ان يعلم الانسان الفضائل وكيفيّة انقسامها[3] ليزكّى[4] بها نفسه ويعلم الرّذائل وكيفيّة ترتيبها ليطهّر نفسه عنها، **وفائدة الحكمة المنزليّة** ان يعلم المشاركة الّتى ينبغى ان يكون بين أهل المنزل ممّن يبتنى عليه ويتمّ به لينتظم به المصلحة المنزليّة، **وفائدة الحكمة السّياسيّة** ان يعلم كيفيّة المشاركة الّتى[5] فيما بين اشخاص النّاس[6] ليتعاونوا على مصالح الأبدان ومصالح بقاء نوع الانسان.

البحث الرابع

فى تفصيل وجيز لاصول الفضائل الخلقيّة

اعلم انّا لمّا ذكرنا اقسام هذه الحكمة اردنا ان نشير الى اقسام الفضائل والرّذائل الخلقيّة بتفصيل وجيز لتعلّق غرضنا بذلك **وقبله نقول: انّ الخلق ملكة تصدر بها عن النّفس افعال بسهولة من غير تقدّم رويّة وتذكّر** وليس هو نفس القدرة لانّها بالنّسبة

١ـ ا: «فى». ٢ـ ج د: «هو علم يعرف به كيفية». ٣ـ ج: «اقسامها». ٤ـ ا ب: «لتزكو». ٥ـ ب ج د: «التى تقع». ٦ـ كلمة «الناس» ليست فى ا.

الى الطّرفين[١] على سواء وليس الخلق كذلك، ولانفس الفعل لانّ الفعل قديكون تكليفيّاً ثمّ انّه ليس شيء من الأخلاق بطبيعيّ فى الأصل سواء كان فضيلة أو رذيلة وانّما الطّبيعيّ قبوله وان كان ذلك القبول للفضيلة أو الرّذيلة مختلفاً[٢] بالسّرعة والبطوء بحسب اختلاف المزاج[٣] فى قوّة الاستعداد وضعفه لاحدى الجنسين، **بيان انّه ليس بطبيعيّ** انّه لو كان طبيعيّاً لما امكن نقل الانسان عنه بالتّأديب والتّعويد وقدأمكن فوجب ان لايكون طبيعيّاً؛ امّا الملازمة فظاهرة فانّ اهل العالم لو اجتمعوا على تعويد الحجر بالحركة الى فوق لما امكن ذلك بيان بطلان التّلازم[٤] مايشاهد من انتقال بعض الخَلْق[٥] عن بعض الأخلاق الى بعض ولولا ذلك الانتقال لما كان لوضع التّأديب والتّشريعة الّتى هى سياسة الله فى خلقه فائدة.

وامّا اصول الفضائل الخلقيّة[٦]

فقد اجمع الحكماء على انّها ثلاثة وهى الحكمة والعفّة والشّجاعة بيان ذلك انّك قد علمت انّ للانسان قوّة عقليّة وانّ له قوّة بها يكون الغضب والاقدام على الاهوال والتّسلّط والتّرفّع وظهور الكرامات، وقوّة بها تكون الشّهوة وطلب الغذاء والنّزاع الى الملاذّ البدنيّة واللّذّات الحسّيّة وقد علمت تباين هذه القوى من جهة انّ بعضها اذاقوى اضرّ بالآخر وربّما ابطل احدها فعل الآخر، وقد يقوى احدهما ويضعف الآخر بحسب المزاج والعادة والتّأديب فالقوّة العقليّة بالنّسبة الى البدن كالملك بالنّسبة الى المدينة ولذلك سمّيت ملكيّة وآلتها الّتى تستعملها من البدن[٧] الدّماغ، والقوّة الشّهويّة تسمّى بهيميّة وآلتها

١- ا ب: «الطريق». ٢- ا: «يختلف». ٣- ب ج: «اصل الخراج». ٤- هذه الكلمة فى د فقط. ٥- متحركاً بالفتحة بضبط الفتحة صريحاً فى ا. ٦- اعلم ان الشارح (ره) قد اخذ مايتعلق بالفضائل الخلقية من ههنا الى ان ينتهى البحث عن هذا الموضوع من كتاب طهارة الاعراق لابن مسكويه اعلى الله درجته الا ان الشارح (ره) تصرف فيه اما بتلخيص وهو كثير واما باضافة وهو قليل لكن المطلب هو ماذكره ابن مسكويه حتى ان المطالب مأخوذة غالباً بعين العبارة لكن بالتلخيص بمعنى انه اسقط بعضاً من العبارة واكتفى ببعضها الاخر فى صورة افادة المرام والا تصرف فيه بما يقتضيه المقام. ٧- مابين القلابين ليس فى نسخ ا ج د.

الّتی تستعملها من البدن]الكبد، والقوّة الغضبيّة تسمّی سبعيّة وآلتها من البدن القلب **واذا عرفت ذلك فاعلم انّ اعداد الفضائل الخلقيّة المذكورة بحسب اعداد هذه القوی وكذلك اضدادها الّتی هی رذائل.**

امّا الحكمة الخلقيّة فهی من فضائل القوّة العقليّة وذلك انّها ملكة تحصل للنّفس عن اعتدال حركتها بحيث يكون شوقها الی المعارف الصّحيحة تصدر عنها الأفعال المتوسّطة بين افعال الجربزة والغباوة، **وامّا العفّة** فهی فضيلة القوّة البهيميّة وهی ملكة تحصل عن اعتدال حركة هذه القوّة بحسب[1] تصريف العقل العمليّ [و] بها تكون الأفعال المتوسّطة بين[2] افعال الحمود[3] والفجور، وامّا الشّجاعة فهی فضيلة القوّة السّبعيّة وهی ملكة تحصل عن[4] اعتدال هذه القوّة السبعيّة بحسب تصرّف[5] العقل فيما يقسّطه لها وبها تصدر الأفعال المتوسّطة بين افعال الجبن والتّهوّر، ثمّ انّ هذه الفضائل الثّلاث اذا نسب بعضها الی بعض حتّی اعتدلت فی الانسان حدث عنها ملكة رابعة هی تمام الفضائل الخلقيّة [و] بها تكون الأفعال المتوسّطة بين الظّلم والانظلام تسمّی بالعدالة، ومن النّاس من ظنّ انّ المراد من الحكمة ههنا هو الحكمة العمليّة الّتی تجعل قسيمة للنّظريّة وقد عرفت ما بينهما من التّباين من تصوّر حدّيهما. **واعلم انّ تحت كلّ واحدة من هذه الفضائل الاربع انواعاً من الفضائل ونحن نذكرها.**

امّا الفضائل الّتی تحت الحكمة :

الاولی صفاء الذّهن وهو قوّة استعداديّة للنّفس نحو اكتساب الآراء. **الثّانية** الفهم وهو حسن[6] ذلك الاستعداد لتصوّر ما يرد عليها من غيرها والتّفطّن لكيفيّة لزومه عن المبادی. **الثّالثة** الذّكاء وهو شدّة تلك القوّة وسرعة انقداح النّتائج للنّفس. **الرّابعة** الذّكر وهو ثبات ما يقتنصه العقل والوهم من التّصوّرات والأحكام. **الخامسة** التّعقّل وهو موافقة بحث النّفس

١- ب: «تحت». ٢- ا ب: «من». ٣- ا ج: «الجمود وكذا فی شرح نهج البلاغة راجع الفصل الثانی الذی عقده لبيان الفضائل النفسانية لامير المؤمنين (ع)». ٤- ا: «عند».
٥- فی غير ا: «تعريفه». ٦- ج د: «حسن».

عن الأشياء الموضوعة المطلوبة بقدرماهى[١] عليه. **السّادسة** سهولة التّعلّم وهى حدّة فى الفهم بها يدرك الأمور النّظريّة.

الفضائل الّتى تحت العفّة[٢]

فالأولى الحياء وهو انحصار الرّوح خوف اتيان القبائح والحذر من الذّمّ والسّبّ الصّادق. **الثّانية** الدّعة وهى سكون النّفس عند حركة الشّهوات. **الثّالثة** الصّبر وهو مقاومة النّفس للهوى لئلا تنقاد لقبائح اللّذّات. **الرّابعة** السّخاء وهو التّوسّط فى الأخذ والاعطاء بانفاق المال فيما ينبغى بمقدار ما ينبغى وعلى الوجه الّذى ينبغى وتحته فضائل سنذكرها ان شاء الله. **الخامسة** الحرّيّة وهى فضيلة للنّفس بها يكتسب المال من وجهه ويعطى مايجب فى وجهه ويمتنع[٣] من اكتساب المال من غير وجهه. **السّادسة** القناعة وهى التّساهل فى المآكل والمشارب والزّينة. **السّابعة** الدّماثة وهى حسن انقياد النّفس للحمد وتسرّعها للجميل[٤]. **الثّامنة** الانتظام وهو حال للنّفس يقودها الى حسن تقدير الأمور وترتيبها على الوجه الّذى ينبغى. **التّاسعة** الهدى وهو محبّة تكميل النّفس بالرّتبة الحسنة[٥]. **العاشرة** المسالمة وهى موادعة للنّفس[٦] عن ملكة لااضطراب فيها. **الحادية عشر** الوقار وهو ثبات النّفس عند الحركات فى تحصيل المطالب. **الثّانية عشر** الورع وهو لزوم الأعمال الجميلة محبّة لتكميل النّفس.

الفضائل الّتى تحت الشّجاعة

الأولى كبر النّفس وهو الاستهانة باليسار[٧] والاقتدار على حمل الكرامة والهوان واعداد النّفس للأمور العظيمة مع تأهّلها لها. **الثّانية** عظم الهمّة وهى فضيلة للنّفس تحتمل معها سعادة الجدّ وضدّها حتّى الشّدائد الّتى تكون عند الموت ومقاومتها[٨] وفى

---

١ - ا: «تبنى عليه». ٢ - هذا العنوان لم يذكر فى نسخة ا بل عد فيها الفضائل بعدد ترتيبى بلافصل. ٣ - ا ب: «يمنع». ٤ - فى طهارة الاعراق لابن مسكويه: «واما الامانة فهى حسن انقياد النفس لمايجمل وتسرعها الى الجميل». ٥ - فى الطهارة: «بالزينة الحسنة» ٦ - فى الطهارة: «موادعة تحصل للنفس». ٧ - فى الطهارة: «باليسير». ٨ - ا: «ومفارقتها».

الأهوال[١] **الثّالثة** النّجدة وهي ثقة النّفس في المخاوف وعدم مخامرة الجزع لها. **الرّابعة** الحلم وهو فضيلة للنّفس تكسبها[٢] الطّمأنينة فلا تكون شغبة ولا يحرّكها الغضب بسهولة وسرعة. **الخامسة** الثّبات وهو قوّة للنّفس تكسبها سكوناً يعسر معه الحركة عند الخصومات في الحروب الّتي يذبّ بها عن الحريم والشّريعة لشدّتها. **السّادسة** عدم الطّيش وهو نفس عسر تلك الحركة لوجود ملكة ذلك السّكون. **السّابعة** الشّهامة وهي الحرص على الأعمال العظيمة توقّعاً للاحدوثة الجميلة. **الثامنة** احتمال الكدّ وهو قوّة تستعمل آلات البدن بالتّمرّن وحسن العادة في الأمور الحسنة[٣].

الفضائل الّتي تحت السّخاء:

فالأولى الكرم وهو انفاق المال الكثير بسهولة من النّفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النّفع كما ينبغي. **الثّانية** الإيثار وهو فضيلة للنّفس بها يبذل الانسان[٤] بعض حاجاته الّتي تخصّه لمن يستحقّها. **الثالثة** النّبل وهو سرور النّفس بالأفعال العظيمة وابتهاجها بلزوم هذه السّريرة[٥] **الرّابعة** المواساة وهو معاونة الأصدقاء والمستحقّين ومشاركتهم في الأموال والأقوات بالارادة والاختيار. **الخامسة** السّماحة وهي بذل بعض مالا يجب بذله كذلك.

الفضائل الّتي تحت العدالة:

الأولى الصّداقة وهي محبّة صادقة يعتني[٦] معها بجميع اسباب الصّاحب[٧] وايثار فعل الخيرات الّتي بها تكون المحبّة. **الثّانية** الألفة وهي اتّفاق الآراء عن التّواصل فينعقد عندها التّظافر على تدبير المعاش[٨]. **الثّالثة** صلة الرّحم وهي مشاركة ذوي اللّحمة في

١- ج: «في الاحوال» (بلاواو ايضاً قبل في). وعبارة طهارة الاعراق بعد: عند الموت: «واما الثبات فهو فضيلة للنفس تقوى بها على احتمال الالام ومقاومتها وفي الاهوال خاصة».
٢- في الطهارة: «تكسب بها». ٣- في الطهارة: «الحسية». ٤- في الطهارة: «بها يكف الانسان عن». ٥- في الطهارة: «السيرة». ٦- في الطهارة: «يهتم». ٧- كذا في النسخ وفي الطهارة: «الصديق». ٨- في الطهارة: «تدبير العيش».

الخيرات الدّنياويّة . **الرّابعة** المكافاة وهى مقابلة الاحسان بمثله أو بزيادة عليه. **الخامسة** حسن الشّركة وهى الأخذ والاعطاء فى المعاملات على الاعتدال الموافق للجميع . **السّادسة** حسن القضاء وهى المجازاة بغير منّ ولاندم . **السّابعة** التّردّد وهوطلب مودّات الاكفاء واهل الفضل بالأعمال الّتى تستدعى ذلك منهم . **الثّامنة** العبادة وهى الخضوع لله وتعظيمه وتمجيده واكرام اوليائه من الملائكة والنّبيّين والأئمّة والصّالحين؛ والعمل بمقتضى الشّريعة مكمل لهذه الأشياء **واذا عرفت هذه الأجناس** وماتحتها من الفضائل **فينبغى ان تعلم** انّ كلّ جنس منها مقابل بجنس من الرّذيلة ومحتوش[1] برذيلتين هما طرفا الافراط والتّفريط وهو وسط لهما امّا المقابلات فالجهل مقابل للحكمة، والشّره مقابل للعفّة، والجبن مقابل للشّجاعة، والجور مقابل للعدالة، والمراد ههنا تقابل التّضادّ.

وامّا الرّذائل المحتوشة لهذه الأجناس فالحكمة[2] محتوشة برذيلتين احداهما البله وهو جانب التّفريط منها ونعنى به ههنا تعطيل القوّة الفكريّة واطّراحها ويسمّى الغباوة الثّانية السّفه وهوطرف الافراط منها ونعنى به استعمال تلك القوّة فيما لاينبغى وتسمّى الجربزة، وامّا العفّة[3] فمحتوشة برذيلتين كذلك امّا رذيلة التّفريط فيسمّى خمود[4] الشّهوة ونعنى به سكون النّفس عن اللّذّة الجميلة الّتى تحتاج اليها لمصالح البدن ممّا رخّصت فيه الشّريعة أو العقل، وامّا رذيلة الافراط فتسمّى شرهاً ونعنى به الانهماك فى اللّذّات والخروج فيها الى

---

١ - هواسم مفعول من: «احتوش القوم فلاناً أى جعلوه فى وسطهم» . ٢- نص عبارة طهارة الاعراق هكذا: «اما الحكمة فهى وسط بين السفه والبله واعنى بالسفه ههنا استعمال القوة الفكرية فيمالاينبغى وكما لاينبغى وسماه القوم الجربزة واعنى بالبله تعطيل هذه القوة واطراحها وليس ينبغى ان يفهم ان البله ههنا نقصان الخلقة بل ماذكرته من تعطيل القوة الفكرية بالارادة» . ٣- نص عبارة طهارة الاعراق هكذا : «واما العفة فهى وسط بين رذيلتين وهما الشره وخمود الشهوة وأعنى بالشره الانهماك فى اللذات والخروج فيها عما ينبغى وأعنى بخمود الشهوة السكون عن الحركة تسلك نحو اللذة الجميلة التى يحتاج اليها البدن فى ضروراته وهى مارخص فيها صاحب الشريعة والعقل» . ٤- ا: «جمود» (بالجيم) .

مالاينبغى، **وامّا الشّجاعة** فرذيلة التّفريط منها الجبن وهوالخوف ممّا لاينبغى ان يخاف منه وامّا رذيلة الافراط فالتّهوّر وهو الاقدام على مالاينبغى ان يقدم عليه **وامّا العدالة** فرذيلة التّفريط منها الانظلام وهوالاستجابة والاستجداء[1] فى المقتنيات لمن لاينبغى و كما لاينبغى امّا رذيلة الافراط فهو الظّلم وهوالتّوصّل الى كثرة المقتنيات من حيث لاينبغى كمالاينبغى فهذه اطراف الرّذائل والاوساط منها هى اجناس الفضائل، واذا عرفت الرّذائل المحتوشة لهذه الأجناس امكنك ان تعرف الرّذائل المحتوشة لأنواعها والمقابلة لها اعنى طرفى الافراط والتّفريط من نوع تلك الفضيلة الّتى هى الوسط وذلك بأن تنظر الى حدّ تلك الفضيلة وتعتبر الزّيادة عليه والنّقصان عنه وقد عرفت انّه هوالوسط الّذى ينبغى فتعرف انّ الزّيادة عليه والتّجاوز لحدّه ممّا لاينبغى وهو طرف الافراط وانّ النّقصان عنه والوقوف دونه ممّا لاينبغى وهوطرف التّفريط وهما رذيلتان بالنّسبة الى الفضيلة الّتى هى وسط لهماوتارةً تجد لتلك الأطراف اسماءً بحسب اللّغة وتارةً لاتجد فهذه هى الاشارة الى اصول الفضائل والرّذائل الخلقيّة وتعريف اقسامها.

تنبيه ـ اعلم انّ مبدأ هذه العلوم اعنى اقسام الحكمة النّظريّة والعمليّة مستفاد من الشّريعة الالٰهيّة وذلك لانّ المقصود من بعثة الرّسل الى الخلق انّما هوارشادهم الى النّهج[2] الصّواب والطّريق الأصلح فى اكتساب العلوم والأعمال ولمّا كانت مناهج الأعمال محصورة فى هذه الأقسام وجب ان تكون غاية بعثة الرّسل تعريف مبادئ هذه العلوم وتعريف كمالاتهاوماتؤدّى اليه على الوجه الكلّىّ وضبط هذه الأوامر والنّواهى بقوانين كلّيّة لاتخصّ زيداً دون عمرو لانّ ذلك ممّا يزول بزوال الأشخاص والمقصود بقاء ذلك الارشاد ويجب على سائر الخلق تعلّم تلك القوانين فى الصّور الشّخصيّة والوقائع الجزئيّة وكذلك مبادئ

١ـ فى الطهارة: «واما الانظلام فهوالاستحذاء والاستحانة فى المقتنيات لمن لاينبغى وكما لاينبغى ولذلك يكون ابداً للجائر اموال كثيرة لانه يتوصل اليها من حيث لايجب و وجوه التوصل اليها كثيرة واما المنظلم فمقتنياته واسواله يسيرة جداً لانه يتركها من حيث يجب». (الى آخر ما فيه من التحقيق المفيد فمن اراده فليطلبه من هناك).

٢ـ ج د: «نهج».

العلوم النّظريّة هی مستفادة من ارباب الشّرائع علی سبيل التّنبيه وان كان تحصيل كمالها بالقوّة العقليّة علی سبيل الحجّة. ثمّ انّ الكمالات الانسانيّة محصورة فی هاتين[1] المرتبتين من الكمال العقلیّ والعملیّ والتّنزيل الالٰهیّ ناطق بذلك قال الله تعالی حكاية عن خليله ابراهيم عليه السّلام: ربّ هب لی حكماً والحقنی بالصّالحين[2] فالحكم تكميل القوّة النّظريّة، والالحاق[3] بالصّالحين تكميل القوّة العمليّة، وقال خطاباً لموسی[4] عليه السّلام: فاستمع لما يوحیٰ انّنی انا الله لا اله الّا انا فاعبدنی واقم الصّلوة لذكری[5] فالتّوحيد كمال القوّة النّظريّة والعبادة كمال القوّة العمليّة وقال حكاية عن عيسی عليه السّلام: انّی عبد الله آتانی الكتاب وجعلنی نبيّاً[6] فالاعتراف بكمال العبوديّة لله يستلزم كمال قوّته النّظريّة بمعرفة الله وقال بعده: واوصانی بالصّلوة والزّكوة مادمت حيّاً[7] اشارة الی كمال القوّة العمليّة وقال خطاباً مع محمّد صلّی الله عليه وآله: فاعلم انّه لا اله الّا الله[8] وذلك اشارة الی كمال القوّة النّظريّة وقال بعده: واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات[9] وهو اشارة الی كمال القوّة العمليّة فقد تطابق لسان الوحی ولسان الحكمة علی انّ الكمال الانسانیّ محصور فی العلم والعمل وبالله التّوفيق.

الفصل الثالث

فی احوال النّفس بعد المفارقة؛ وفيه ابحاث:

البحث الاول

فی انّ النّفس باقية بعد خراب البدن

برهانه انّ كلّ حادث بعد ان لم يكن فلامكان حدوثه قابل لست[10] اعنی الامكان

١- ا ب.: «هذين». ٢- آية ٨٣ سورة الشعراء. ٣- ا: «واللحقان» ب: «واللحاق».
٤- ا ب: «مع موسی». ٥- ذيل آية ١٢ وتمام آية ١٤ سورة طه. ٦- آية ٣٠ سورة مريم.
٧- آية ٣١ سورة مريم. ٨ و ٩- من آية ١٩ سورة محمد. ١٠- ج د: «لشيء».

اللّازم للماهيّة الحادث بل الاستعداد التّامّ لقبول صورته كما تقرّر فی غیرهذا الموضع فلو صحّ العدم علی النّفس لوجب ان یکون لامکان عدمها محلّ ولیس هوالنّفس لوجوب بقاء القابل عند وجود المقبول واستحالة بقائها عند تحقّق عدمها فلابدّ من محلّ آخرهو المادّة فلوطرأ علیها العدم لکانت فی مادّة وقد فرضت مجرّدة هذا خلف واماّ تقریرهذه المقدّمات و بیان کون النّفوس متّحدة بالنّوع وحادثة وبیان بطلان التّناسخ فمذکور فی المطوّلات.

البحث الثانی

فی بیان ماهیّة السّعادة والشّقاوة

ونعنی بالسّعادة الحالة الّتی تحصل لذوی الخیر والکمال من جهتها وبالشّقاوة الحالة الّتی تکون لذوی الشّرّ والآفة من جهتها واعلم انّ المشهور انّ السّعادة هی اللّذّة وانّ الشّقاوة هی الالم ثمّ انّ من لم یترقّ عن حیّز البهائم من العوامّ اعتقدوا انّها المحسوسة بالحسّ الظّاهر فقط[1] وربّما ترقّی بعضهم الی ان اعتقدانّ هناك لذّةً والماً یدرك بمدارك اخری الّا انّهم ربّما انکروا ثبوتها فی نفس الأمر ونسبوها الی خیالات غیرحقیقیّة

١ـ اصل هذا البیان مأخوذ مماذکره ابن سیناء فی اول النمط الثامن من کتاب الاشارات ونص عبارته: «وهم وتنبیه — انه قدیسبق الی الاوهام العاسیة ان اللذات القویة المستعلیة هی الحسیة وان ماعداها لذات ضعیفة وکلها خیالات غیرحقیقیة وقد یمکن ان ینبه من جملتهم من له تمیز ما فیقال له: الیس الذ ما یصفونه من هذا القبیل هو المنکوحات والمطعومات وامور یجری مجراها وانتم تعلمون ان المتمکن من غلبة ماولو فی امر خسیس کالشطرنج والنرد قدیعرض له مطعوم ومنکوح مع صحة جسمه فی صحبة حشمه (الی آخر ماقال فمن اراده فلیطلبه من هناك، وقال ایضاً بعده بلافاصلة) تذنیب — فلاینبغی لنا ان نستمع الی قول من یقول: انا لو حصلنا علی جنة لانأکل فیها ولانشرب فیها ولاننکح فایة سعادة لنا؟! والذی یقول هذا فیجب ان یبصر ویقال له: لعل الحال التی للملائکة ومافوقها الذوابهج وانعم من حال الانعام بل کیف یمکن ان یکون لاحدهما الی الاخر نسبة یعتدبها» ومن طلب التفصیل فلیراجع شروح الاشارات.

وربّما استحقروها بالنّسبة الى الحسّيّة **وهم مقابلون على غلطهم بأمرين :**

احدهما ـ انّ لذّة الغلبة ولو فى امر خسيس كالشطرنج والنّرد قد تؤثر على اتمّ اللّذّات الحسّيّة مع الحاجة اليها وكلّ مايؤثر على غيره مع امكانه فهو اقوى فلذّة الغلبة فى احد الأمور الخسيسة اقوىٰ واتمّ من اللّذّات الحسّيّة وكذلك الم الانقهار عند التّفطّن والاعتبار والمقدّمة الاولى وجدانيّة والثّانية اوّليّة .

الثّانى ـ حال الملك اتمّ واطيب من حال البهيمة وهو ضرورىّ مع انّ الملك فاقد اللّذّات الحسّيّة فلو كانت اللّذّة هى الحسّيّة فقط لكانت البهيمة اتمّ واسعد من الملك واذا عرفت ذلك فاعلم انّ اللّذّة هى ادراك لوصول ماهو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك ولاشاغل ولامضادّ للمدرك[1] وشرح هذا الرّسم امّا الادراك فقد عرفته وانّما قيّدناه بالوصول[2] لانّ اللّذّة ليست ادراك اللّذيذ بل ادراك وصول اللّذيذ وحصوله وانّما قلنا ماهو عند المدرك كمال وخير ولم نعتبر ماهو فى نفس الأمر كذلك لما انّ الشيء قد يكون كمالاً وخيراً فى نفس الأمر والمدرك لايعتقد كماليّته وخيريّته فلايلتذّ به وقد لايكون كذلك وهو يعتقد انّه كذلك فيلتذّ به فالمعتبر اذاً مايكون بالقياس الى المدرك لا ما فى نفس الأمر وانّما كان ذلك الوصول كمالاً وخيراً باعتبارين لانّ الشيء الّذى من شأنه ان يناسب المدرك ويليق به له اعتباران: احدهما كون حصوله مخلصاً من النّقصان والقوّة وبهذا

١ـ مأخوذ مما ذكره ابن سينا فى اوائل النمط الثامن من كتاب الاشارات بهذه العبارة: «تنبيه- ان اللذة هى ادراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك والالم ادراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك آفة وشر». ٢ـ يطابق العبارة ماذكره المحقق الطوسى(ره) ضمن شرح هذا التعريف ونص عبارته: «وانما قال لوصول ماعند المدرك ولم يقل لما هو عند المدرك لان اللذة ليست هى ادراك اللذيذ فقط بل هى ادراك حصول اللذيذ للملتذ و وصوله اليه وانما قال ما هو عند المدرك كمال وخير لان الشيء قد يكون كمالاً وخيراً بالقياس الى شيء وهو لا يعتقد كماليته وخيريته فلا يلتذ به وقد لا يكون كذلك وهو يعتقد فيلتذ به فالمعتبر كماليته وخيريته عند المدرك لا فى نفس الامر» (الى آخر ما قال فمن اراده فليطلبه من هناك).

الاعتبار كان كمالاً والثّاني كونه مؤثراً وبهذا الاعتبار كان خيراً وانّما قلنا : من حيث هو كذلك؛ لانّ الشّيء قديكون كمالاً وخيراً من جهة دون جهة واللّذّة بالشّيء انّما يكون من جهة كونه كمالاً وخيراً فلذلك وجب ذكرها، وانّما قلنا: ولاشاغل لانّ اللّذيذ قديصل ولايلتذّ به لوجود الشّاغل كما فى حقّ الممتلىء من الطّعام جدّاً اذلايلتذّ بما يحضره من طعام، وقولنا: ولامضادّ لانّ الّذى قديصل ولايلتذّ به لوجود ضدّه كما فى حقّ عليل المعدة ومن تغيّرت عذوبة رطوبة ذوقه بغلبة المرارة فانّ الحلو يصل اليه فلايلتذّ به واذا عرفت معنى اللّذّة عرفت انّ الالم مايقابلها وهوادراك لوصول ماهو عند المدرك آفة وشرّ من حيث هو كذلك ولاشاغل ولامضادّ للمدرك وشرح هذا الرّسم بيّن من الاوّل.

البحث الثالث

فى اثبات اللّذّة العقليّة للنّفوس الانسانيّة

لاشكّ انّ للجوهرالعاقل منّا كمالاً[1] وهو ان يتمثّل فيه جليّة[2] الحقّ الاوّل بقدر مايستطيعه اذ تعقّل الاوّل كما هوغيرممكن الّا له [تعالى] ثمّ مايتجلّى له من صور معلولاته المرتّبة الى آخر الوجود تمثّلاً يقينيّاً بريئاً عن شائبة الظّنون خالصاً عن مخالطة الأوهام على وجه لايكون بين ذات العاقل وبين مايتمثّل فيها تمايز اصلاً بل يصير عقلاً

١ـ مأخوذ مماذكره ابن سينا فى النمط الثامن من كتاب الاشارات ونص عبارته: «تنبيه= كل مستلذبه فهو سبب كمال يحصل للمدرك وهو بالقياس اليه خير ولاشك فى ان الكمالات وادراكاتها متفاوتة (الى ان قال) وكمال الجوهر العاقل ان يتمثل فيه جلية الحق الاول قدر مايمكنه ان ينال منه ببهائه الذى يخصه ثم يتمثل فيه الوجود كله على ماهو عليه مجرداً عن الشوب مبتدءاً فيه بعدالحق الاول بالجواهر العقلية العالية ثم الروحانية السماوية والاجرام السماوية ثم مابعد ذلك تمثلاً لايمايز الذات فهذا هوالكمال الذى يصير به الجوهر العقلى بالفعل (الى ان قال) فنسبة اللذة العقلية الى الشهوانية نسبة جلية الاول ومايتلوه الى نيل كيفية الحلاوة (الى آخر ماقال)».

٢ـ نذكر معنى الجلية عن قريب فى موضع انسب ان شاءالله تعالى.

مستفاداً على الاطلاق ولاشكّ انّ هذا الكمال خير بالقياس اليه ثمّ لاشكّ انّه مدرك لهذا الكمال والخير ولحصوله له فاذاً هو ملتذّ به وهي اللّذّة العقليّة وانت بعد المقايسة بين هذه اللّذّة واللّذّة الحيوانيّة تجدالعقليّة اشرف من الحسّيّة واقوى فى الكيفيّة واكثر[1] فى الكمّيّة امّا انّها اشرف فلانّ المدرك بالعقل ذات الله تعالى وصفاته وملائكته وكيفيّة وضع العالم الأعلى والأسفل والمدرك بالحسّ سطوح الأجسام وعوارضها واذا كانت المدركات العقليّة اكمل واعلى كان الابتهاج بوصولها اشرف واسنى، وامّا انّها اقوى كيفيّة فلانّ الادراك العقلىّ ينفذ فى باطن الشّيء ويميّز بين الماهيّة واجزائها ولواحقها ويميّز بين الجزء الجنسىّ والفصلىّ ثمّ يعتبر ذلك التّميز فى كلّ جزءٍ جزءٍ وامّا الحسّ فلاشعور له الّا بظاهر المحسوس، وامّا انّها اكثر كمّيّة فلانّ عدد الأمور المعقولة لايكاد يتناهى وذلك انّ اجناس الموجودات وانواعها والمناسبات الحاصلة بينها غير متناهية وامّا الحسّ فانّ مدركاته محصورة فى اجناس قليلة وان تكثّرت فبالاشدّ والأضعف كالسّوادين المختلفين فى الحلوكة واذا كانت الكمالات العقليّة اقوى واكثر وادراكاتها اتمّ كانت اللّذّة التّابعة لها اشدّ لانّ فرقان مابين اللّذّتين فرقان مابين الكمال والادراكين فاذاً اللّذّة العقليّة اتمّ واشرف من الحسّيّة بل لانسبة بينهما، **لايقال**: لو كانت المعقولات كمالات للنّفس الانسانيّة لوجب اشتياقها الى حصولها ولتألّمت بحصول اضدادها لكنّ التّالى باطل فالمقدّم باطل.

امّا بيان الملازمة فلانّ كلّ قوّة فانّها تشتاق الى كمالاتها المستلزمة للذّاتها وتتألّم بحصول اضدادها كالباصرة فانّها تشتاق الى النّور وتتألّم بالظّلمة، وامّا بطلان التّالى فظاهر لانّا نقول: الملازمة ممنوعة فانّ الاشتياق لايجب الّا بشرط عدم سبب عدمه لكن سبب عدمه هنا موجود وهو انّ النّفوس مادامت فى هذا البدن فهى مشغولة بالمحسوسات والعلائق الجسمانيّة فيمنعها ذلك عن الالتفات الى المعقولات ويصرف وجوهها عن الاقبال عليها وما لم يقبل عليها لم يحصل لها ذوق فاذاً لايكون لها اليها شوق وامّا اضدادها فلاستمرارها

---

١ - ب: «اكبر».

فى الوجود وعدم تجدّدها أو اشتغال النّفس بغيرها لم تكن مدركة لها فلم تتألّم بحصولها.

البحث الرابع

فى درجات السّعداء ومراتب الاشقياء

احوال النّفوس الانسانيّة فى السّعادة والشّقاوة امّا ان تعتبر فى القوّة النّظريّة بحسب العقائد أو فى القوّة العمليّة بحسب الأعمال؛ وعلى التّقديرين فالنّفس امّا ان تكون موصوفة بالعقائد الحقّة والأخلاق الفاضلة أو بأضدادها وهى العقائد الباطلة والأخلاق المسترذلة أو موصوفة بالاعتقادات الحقّة والأخلاق الرّديّة أو بالعكس أو خالية عن احدهما أو عنهما معاً فهذه تسعة اقسام:

امّا القسم الاوّل فالاعتقادات الحاصلة امّا ان تكون برهانيّة او لاتكون فان كان الأوّل فاعلى هذه الدّرجة نفس شاهدت العالم المعقول وانتقشت بنقوش الجلايا[1] القدسيّة وصارت عقلاً مستفاداً وبعد وقوفك على مراتب الاستعداد للانتقال الى المعقولات الثّانية[2] تعرف تلك الدّرجات وهؤلاء هم اولياء الله الابرار وهم فى الغرفات آمنون وان كان الثّانى فهى درجة اصحاب التّقليد ولهم عذاب يخصّهم بسبب انّهم علموا باكتساب ما انّ لهم كمالاً ما فحصل لهم شوق بحسبه ولم يصلوا الى ما اشتاقوا اليه من ذلك الكمال لنقصان اكتسابهم النّظرىّ وقصورهم عن الوصول، وتفاوت ذلك العذاب بحسب تفاوت ذلك الشّوق وهو عذاب منقطع ويصلون عنه الى سعادة تخصّهم بحسب ادراكهم لما تصوّروه من الكمال.

١ـ قال ابن سينا فى النمط السابع من الاشارات مانصه: «تذنيب ـ فيظهر لك من هذا ان كل مايعقل فانه ذات موجودة يتقرر فيها الجلايا العقلية تقرر شىء فى شىء» قال المحقق الطوسى(ره) فى شرحه على الاشارات ضمن شرح العبارة الثانية مانصه: «والجلية فى اللغة هو الخبر اليقين وانما عبر عن المعقولات بالجلايا لانها الصور المطابقة لذوات تلك الصور باليقين».

٢ـ ا: «الثابتة».

وامّا القسم الثّاني وهو النّفوس الموصوفة بالاعتقادات الباطلة والأخلاق الرّديّة فتلك الأمور امّا ان تكون راسخة فان كانت راسخة فهي الّتي يدوم بها العذاب لانّ الجهل المركّب مضادّ لليقين فاذا كان متمكّناً من جوهر النّفس اعتقدت حينئذٍ انّه كمالها ورجت الوصول الى ما تمثّل[1] فيها انّه كمالها المسعد[2] وكانت لامحالة بعد الموت منقطعة بفقدان مارجته فتصير معذّبة بعدم الوجدان لما كانت راجية له فيدوم بدوام الجزم بصحّة ذلك وان كانت غير راسخة فلهم عذاب منقطع لكون الهيئات الحاصلة لهم بسبب الاشتغال بالمضادّ حالات غير متمكّنة من تلك النّفوس ولامستحكمة فيها أو لانّها مستفادة من احوال وامزجة فتزول بزوالها.

وامّا القسم الثالث وهي الموصوفة بالاعتقادات الحقّة والاخلاق الرّديّة فتلك الاعتقادات ان كانت برهانيّة فالنّفوس بها سعيدة الّا انّ تلك السّعادة مكدّرة بعذاب يحصل من تلك الاخلاق الرّديّة الّا انّه زائل بزوال تلك الاخلاق امّا لانّها غير راسخة أو لكونها مستفادة من الامزجة فتزول بزوالها.

القسم الرابع - وهي النّفوس الموصوفة بالاعتقادات الباطلة والملكات الفاضلة وعذابها دائم ان كانت تلك الاعتقادات راسخة ومنقطع ان كانت غير راسخة والعلّة ماسبق.

القسم الخامس - النّفوس الخالية عن الاعتقادات الحقّة والباطلة الموصوفة بالاخلاق الفاضلة كنفوس كثير من البله؛ والّذي عليه ظاهر نظر المحقّقين انّها بعد المفارقة لايكون لها عذاب بسبب خلوّها عن اسباب العذاب فاذاً هي في سعة من رحمة الله وهذا مطابق للإشارة النّبويّة: اكثر اهل الجنّة البله؛ وان كان ذلك ليس تمام المراد من الاشارة، ثمّ لايجوز عندهم ان يتعطّل عن الادراك اذ لاتعطّل[3] في الوجود ولايمكن ان يدرك الّا بآلة جسمانيّة فذهب بعض الحكماء الى جواز تعلّقها باجرام اخرى فلكيّة[4] ضرباً من التّعلّق لاعلى سبيل انّها نفوس لتلك الاجرام مدبّرة لها فانّ ذلك غير ممكن بل قد تستعمل تلك الاجرام

١- د: «يمثل». ٢- ا ج د: «المستعد». ٣- ب ج د: «معطل». ٤- ا: «ملكية».

فتعدّها[١] لامكان التّخيّل ثم تتخيّل الصّور الّتى كانت معتقدة عندها فان كانت انّما تتخيّل الخير شاهدت الخيرات الاخرويّة على حسب ما كانت تتخيّله[٢] وإلّا فشاهدت العقاب والشرّ وبعضهم جوّز ان تكون الاجرام متولّدة من الهواء والادخنة ثمّ جوّزوا بعد ذلك ان يكون ذلك التّعلّق مفضياً[٣] لاستعدادهم للكمال المسعد[٤] وهذه المواضع غامضة وطريق الجزم فيها صعب نسأل الله تعالى الهداية الى سواء السّبيل.

القسم السّادس ـ النّفوس الخالية عن الاعتقادات الموصوفة بالاخلاق الرّديّة ولهم بعد المفارقة عذاب بسبب شوقهم الى ما فارقوه من اللّذّات الجسمانيّة وعدم تمكّنهم منها، ويتفاوت ذلك العذاب بحسب تفاوت ذلك الشّوق وبحسب شدّة تمكّن الهيئات البدنيّة من نفوسهم وضعفها وربّما حكم ههنا بانّ ذلك الشّوق ينقطع ويكون حكم هؤلاء بعده حكم الّذين قبلهم.

القسم السّابع ـ النّفوس الموصوفة بالاعتقادات الخالية عن الاخلاق كنفوس كثير من الزّهّاد المنقطعين فى رؤس الجبال وفى البرارى فتلك الاعتقادات ان كانت برهانيّة فلهم سعادة تامّة هى فى التّمام دون مرتبة اهل القسم الاوّل ان كانوا فاقدين للملكات الفاضلة الخلقيّة المعدّة للكمال الاتمّ، وان كانت تقليديّة فحكمهم حكم المقلّدين فى القسم الاوّل ولعلّ للاوّلين زيادة شرف بسبب الاخلاق الفاضلة.

القسم الثّامن ـ النّفوس الموصوفة بالاعتقادات الباطلة الخالية عن الاخلاق فتلك الاعتقادات ان كانت راسخة دام بها العذاب والعلّة ماسبق، وان كانت غير راسخة دام بها العذاب ربّما[٥] يبقى ثمّ ينقطع بانقطاعها، ولعلّ هذه النّفوس بعد ذلك تلحق بنفوس البله لعدم عرفانها بكمالاتها وعدم اشتياقها اليها.

القسم التّاسع ـ النّفوس الخالية عن الاعتقادات والاخلاق بالكلّيّة وهى كالنّفوس

١ـ ا: «يعدها». ٢ـ ب ج د: «متخيلة». ٣ـ ج د: «مقتضياً». ٤ـ ب ج د: «المستعد».
٥ـ ج د: «زين ما» وهو قطعاً مصحف: «ربث ما».

الهيولانيّة الّتى للأطفال، وليس للحكماء فيها مذهب ظاهر الّا انّ الاليق بحال اصولهم ان يلحقوها بالنّفوس السّاذجة كنفوس البله ويكون حكمها حكمها؛ والله اعلم.

الفصل الرابع

فى الاشارة الى بعض احوال السّالكين الى الله تعالى والواصلين من ابناء النّوع الانسانىّ

وفيه ابحاث:

البحث الاول

فى بيان مسمّى الزّاهد والعابد والعارف

لمّا كان الكمال الذّاتىّ للطّالبين انّما هو شروق نورالحقّ فى اسرارهم وكان الطّالب لامر عند توفيقه للطّلب لابدّ وان يعرض عمّا يعتقد انّه يبعّده عن المطلوب ثمّ يقبل ويواظب على مايعتقد انّه يقرّبه الى المطلوب ثمّ بعد ذلك يصل الى المطلوب لاجرم لزم طالب ذلك الكمال فى ابتداء امره ان يعرض عمّا يشغله عن المطلوب[1] من متاع الدّنيا وطيّباتها؛ وصاحب هذا الاعراض يختصّ[2] باسم الزّاهد[3]، ثمّ يلزمه ان يواظب على ما يعتقد انّه مقرّب الى الحقّ من افعال مخصوصة هى العبادات كالصّيام والقيام وبهذا الاعتبار يختصّ[4] باسم العابد، فاذا وجدالحقّ فاوّل درجات وجدانه هو المعرفة وحينئذٍ يختصّ[5]

١- ب ج د: «عن الطلب» ٢- ب ج د: «يخص» ٣- اعلم ان هذه التعريفات ماخوذة من الشفاء لابن سينا (انظر اوائل النمط التاسع الذى فى مقامات العارفين) ونص عبارته هناك هكذا:

«تنبيه» المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد، والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يخص باسم العابد، والمنصرف بفكره الى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحق فى سره يخص باسم العارف، وقد يتركب بعض هذه مع بعض».

٤و٥- ب ج د: «يخص».

باسم العارف، وقد يتركّب بعض هذه الاحوال مع بعض تركّباً ثنائيّاً وثلاثيّاً فالأوّل زاهد عابد، زاهد عارف، عابد عارف، وامّا الثّانى فتركّب[1] واحد.

البحث الثانى

فى انّه كيف يكون الزّهد والعبادة مؤدّيين الى المطلوب الذّاتىّ

الزّهد والعبادة من الأمور المتمّمة لأغراض المعنى المسمّى بالرّياضة فلنبيّن اوّلاً معنى الرّياضة وكيفيّة تأدّيها[2] الى المطلوب، امّا الرّياضة فى اللّغة فهى تمرين البهيمة على الحركات الّتى ترتضيها[3] الرّائض بحسب مقتضى اغراضه وتعويدها بها؛ ويستلزم ذلك منعها عن الحركات الّتى لا ترتضيها، ولمّا كانت النّفس الحيوانيّة الّتى هى مبدأ الادراكات والحركات الحيوانيّة قد لا تكون مطيعة للنّفس العاقلة باصل جبلّتها لاجرم كانت بمنزلة البهيمة الّتى لم ترض؛ تقودها الشّهوة تارة والغضب اخرى بحسب اثارة الوهم والمتخيّلة لها عمّا يتصوّرانه الى ما يلائمها فتتحرّك حركات مختلفة حيوانيّة بحسب اختلاف تلك الدّواعى فتستخدم حينئذ القوّة العاقلة فى تحصيل اغراضها فتكون هى الامّارة بالسّوء، امّا اذا قويت النّفس العاقلة على قهر تلك القوّة ومنعها عن الحركات والافعال الباعثة للقوّة الشّهويّة والغضبيّة وطوّعتها بحسب ما يقتضيه العقل العملىّ الى ان تصير متأدّبة فى خدمتها مؤتمرة بأوامرها منتهية عن مناهيها كانت العاقلة هى المطمئنّة الّتى تصدر عنها الافعال المنتظمة وكانت باقى القوى بأسرها مؤتمرة مستخدمة متسالمة[4] منقادة، ثمّ انّ بين كون هاتين القوّتين غالبة ومغلوبة مطلقاً حالة تكون القوّة الحيوانيّة فيها متابعة لهواها خارجة عن طاعة القوّة العاقلة ثمّ تفيء الى الحقّ وتلوم نفسها على ذلك الانهماك فتسمّى لوّامة، والى القوى الثّلاث اشير فى الكتاب العزيز؛ انّ النّفس لامّارة بالسّوء[5] يا ايّتها النّفس المطمئنّة ارجعى الى ربّك[6] ولا اقسم

١- ب ج د: «فتركيب». ٢- ج ب: «تاديتها». ٣- ا: «ترضيها». ٤- ب: «مسالمة» ج د: «سالمة». ٥- وسط آية ٥٣ سورة يوسف. ٦- آية ٢٧ و ٢٨ سورة الفجر.

بالنّفس اللّوّامة[١] فاذاً الرّياضة ههنا نهى النّفس عن هواها وامرها بطاعة مولاها، واليها اشير فى التّنزيل الالـهىّ: وامّا من خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوى[٢] وامّا متمّماتها فانّه لمّا كان الغرض الأصلىّ منها هو نيل الكمال الحقيقىّ، وكان ذلك النّيل موقوفاً على حصول الاستعداد له، وكان ذلك الاستعداد مشروطاً بزوال الموانع، وكانت الموانع داخليّة وخارجيّة كان ذلك الغرض مستلزماً لامور ثلاثة[٣]:

احدها ـ ازالـة ماعدا الحقّ الأوّل تعالى عن الوجهة المقصودة ازاحته عن سواء السّبيل وهى الموانع الخارجيّة.

الثّانى ـ تطويع النّفس الامّارة للنّفس المطمئنّة لينجذب الخيـال والوهم الى الجنبة[٤] العالية مستتبعين لسائر القوى الحيوانيّة وهى الموانع الدّاخليّة.

الثّالث ـ اعداد النّفس لان يتمثّل فيها[٥] الجلايا القدسيّة بسرعة.

ثمّ لمّا كان لهذه الاغراض متمّمات وامور تعين عليها لاجرم كان الزّهد الحقيقىّ ممّا يعين على الغرض الأوّل، وللعبادات الشّرعيّة ممّا يعين على الغرض الثّانى وذلك هو الغرض منها.

---

١ ـ آية ٢ سورة القيامة ٢ ـ آية ٤٠ سورة النازعات. ٣ ـ هذه الامور مأخوذة من النمط التاسع من كتاب الشفاء ونص عبارته هناك: «اشارة ـ ثم انه ليحتاج الى الرياضة، والرياضة متوجهة الى ثلاثة اغراض؛ الاول تنحية مادون الحق عن متن الايثار، والثانى تطويع النفس الامـارة للنفس المطمئنة لتنجذب قوى التخيل والوهم الى التوهمات المناسبة للامر القدسى منصرفة عن التوهمات المنصرفة للامر السفلى، والثالث تلطيف السر للتنبيه، والاول يعين عليه الزهد الحقيقى، والثانى يعين عليه عدة اشياء، العبادة المشفوعة بالفكرة ثم الالحان المستخدمة لقوى النفس الموقعة لما لحن به من الكلام موقع القبول من الاوهام، ثم نفس الكلام الواعظ من قائل زكى بعبارة بليغة ونغمة رخيمة وسمت رشيد، واما الغرض الثالث فيعين عليه الفكر اللطيف والعشق العفيف الذى يأمر فيه شمائل المعشوق ليس سلطان الشهوة» فلله در الشارح قدس سره فانـه اعرض عن الاشارة الى العشق ولو كان عفيفاً فضلا عن الخوض فيه.

٤ ـ ج د: «الجنة» [بتشديد النون]. ٥ ـ ا: «منها».

بيان الأوّل انّ الزّهد الحقيقيّ[١] هو اعراض النّفس عمّا يشغل سرّها عن التّوجّه الى[٢] القبلة الحقيقيّة وظاهر كونه معيناً على الغرض الأوّل، وامّا كون المواظبة على العبادات معيناً على الغرض الثّانى فظاهر أيضاً لانّها رياضة ما لقوى العابد العارف المدركة والمحرّكة لتجرّها بالتّعويد عن الجذبة السّافلة الى جناب[٣] القدس[٤] وكسر الهمّة المتعلّقة بما يضادّ الكمال الذّاتيّ. وانّما اعتبرنا الزّهد الحقيقيّ دون الظّاهريّ لانّ الاعراض عن المشتهيات البدنيّة اذا كان بحسب الظّاهر فقط مع ميل القلب اليها لم ينتفع به لقوله صلّى الله عليه وآله انّ الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم؛ نعم وان كان لابدّ للسّالك فى مبدء الأمر من الزّهد الظّاهريّ لانّ الزّهد الحقيقيّ مشروط به اوّلاً وقد اتّفق على انّ: الرّياء قنطرة الاخلاص؛ وامّا العبادات فأجلها[٥] ما كان مشفوعاً بالفكر المناسب، وفائدة ذلك انّ الغرض من العبادة تذكّر المعبود الحقّ والمجرّدين[٦] من الملائكة وذلك ممّا لا يتأتّى الّا بالفكر فلا جرم وجب كونها مشفوعة به؛ وان كان لتلك الاغراض متمّمات اخر و معينات كالكلام الواعظ من قائل زكيّ معتقد فيه، والالحان المناسبة البريئة عن التّعوّد بمخالطة اللّذّات الخسيسة، وعن الايقاع فى مجالس الانذال واجتماعاتهم لقبيح مايفعل؛ وغير ذلك ممّا هو مذكور فى مظانّه فقد لاح لك حينئذٍ الغرض من الزّهد والعبادة وكيفيّة تأدّيها الى المطلوب الاصلىّ.

١ـ هذا المبحث مأخوذ من الشفاء (النمط التاسع) ونص عبارته: «تنبيه= الزهد عند غير العارف معاملة ما كأنه يشترى بمتاع الدنيا متاع الاخرة، وعند العارف تنزه ما عما يشغل سره عن الحق وتكبر على كل شيء غير الحق، والعبادة عند غير العارف معاملة ما كأنه يعمل فى الدنيا لاجرة ياخذها فى الاخرة هى الاجر والثواب، وعند العارف رياضة ما لهممه وقوى نفسه المتوهمة والمتخيلة لتجرها بالتعويد عن جناب الغرور الى جناب الحق فتصير مسالمة للسر الباطن (الى آخر ما قال).

٢ـ جميع النسخ «عن». ٣ـ ا ب: «الجناب». ٤ـ ب ج د: «المقدس».

٥ـ ب ج: «فاجلها». ٦ـ ا: «والمجرد».

البحث الثالث

فى غرض غير العارف من الزهد والعبادة وغرضه منهما ومن عرفانه

الزّهد والعبادة عند غير العارف معاملتان؛ **امّا الزّهد** فلانّ مطلوب غير العارف منه ان يشترى بمتاع الدّنيا متاع الاخرة، **وامّا العبادة** فلانّ غرضه منها ان يأخذ الاجرة عليها فى الاخرة، وامّا غرض العارف منهما فقد سبق بيانه ، امّا من الزّهد فالتفات القلب عن[1] ماسوى الله لئلّا يمنعه من الاستغراق فى محبّته، وترك اخسّ المطلوبين لاشرفهما واجب فى اوائل العقول، وامّا من العبادة فان تصير القوى البدنيّة مراضة تحت قياد[2] النّفس فى توجّهها الى مطلوبها الاصلىّ من الاستغراق فى بحور الجلال لئلّا يمنعها عن ذلك بالاشتغال بالامور المضادّة له، وامّا غرضه من عرفانه فليس الّا الحقّ لذاته لاغيره حتّى العرفان فانّه امر اضافىّ يقال بالنّسبة الى المعروف فهو مغاير للمعروف لامحالة، فلو كان غرض العارف نفس العرفان لم يكن من مخلصى التّوحيد لانّه قد اراد مع الحقّ غيره وهذه حال المتبجّح بزينة فى ذاته، فامّا من عرف الحقّ وغاب عن ذاته كما ستعرف فهو لامحالة غائب عن العرفان واجد للمعروف فقط، وهو السّابح لجّة الوصول وهناك درجات التّحلية بالامور الوجوديّة الّتى هى النّعوت الالهيّة وهى غير متناهية واليها اشير فى الكتاب العزيز: قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربّى ولو جئنا بمثله مدداً[3] والله ولىّ الخلاص وله منتهى الاخلاص .

البحث الرابع

فى درجات حركات العارفين

فالاولى من تلك الدّرجات الحركة الّتى تسمّى فى عرف اهل الطّريقة بالإرادة، وذلك انّه اذا حصل للانسان اعتقاد انّ السّعادة التّامّة بالإقبال على الله تعالى وبالاعراض عمّا سواه سواء كان ذلك الاعتقاد برهانيّاً أو تقليديّاً أو بحسب الجبلة، فانّه

١- فى جميع النسخ «الى». ٢- ج د: «مبادى». ٣- آية ١٠٩ سورة الكهف.

يحدث عن ذلك الاعتقاد ارادة التّوجّه الى الله تعالى والفرار والبعد عمّا سواه؛ فمها بقى الانسان كذلك سمّى مريداً، ثمّ اذا توغّل فى السّلوك وبلغت به الارادة والرّياضة حدّاً ما[1] ظهرت عليه انوار الٰهيّة لذيذة تشبه البرق اللّامع المختفى ويسمّيها اهل الطّريقة بالاوقات وكلّ واحد منها محفوف بوجدين؛ وجد اليه وهو الشّوق المتقدّم عليه، و وجد عليه وهو التأسّف على فواته؛ وهو متأخّر عنه، لانّ مفارقة لذّة تلك المعارفة[2] بعد حصولها يوجب حنيناً وانيناً شوقاً[3] الى مافات، واليه اشار صاحب الوجد فى قوله: شعر:

اذا ماسقانى شربةً من رضا به ظمئت الى ذاك المدام فلم اروى[4]

وقول الآخر[5]:

فابكى ان نأوا شوقاً اليهم وأبكى ان دنوا خوف الفراق

ثمّ انّ هذه اللّوامع تكون فى مبدء الأمر قليلة ثمّ لاتزال تكثر بحسب الامعان فى الرّياضة والتّوغّل فيها وتزداد وتتفاوت ازمانها بحسب زيادة قوّة استعداد النّفس لها حتى تصير تلك الأحوال ملكات فيظهر عليها فى غير حال الارتياض وفى هذه الاحوال ربّما عرضت له تلك الغواشى وهو غافل عنها فتستفزّه عن مجلسه[6] وتوجب له الهرب والقلق[7] والاضطراب دفعة وذلك لكون النّفس غير متأهّبة لتلقيّه كما نقل عن سيّد المرسلين فى مبدء الوحى انّه كان يضطرب ويقول: زمّلونى زمّلونى، وكما اشير اليه فى الكتاب العزيز

١- مأخوذ من الشفاء (من النمط التاسع) ونص عبارته: «اشارة - ثم انه اذا بلغت به الارادة والرياضة حدّاً ما عنت له خلسات من اطلاع نور الحق عليه لذيذة كأنها بروق تومض اليه ثم تخمد عنه وهو المسمى عندهم اوقاتاً، وكل وقت يكتنفه وجدان؛ وجد اليه و وجد عليه، ثم انه ليكثر عليه هذه الغواشى اذا اسعن فى الارتياض، ثم انه ليتوغل فى ذلك حتى يغشاه فى غير الارتياض فكلما لمح شيئاً عاج منه الى جناب القدس يتذكر من اسره اسراً فغشيه غاش فيكاد يرى الحق فى كل شىء» وله ذيل فى اشاراته الاتية فمن اراده فليطلبه من هناك. ٢- ا: «العارفة» ج د: «المعارف». ٣- ب ج د: «تشوقاً». ٤- كذا فى النسخ. ٥- هاتان الكلمتان والبيت الاتى لم يذكرشىء منها فى نسخة ا. ٦- ج: «محله». ٧- ج: «والقلقة».

حكاية عن موسى عليه السلام: فلمّا رآها تهتزّ كأنّها جانّ ولّى مدبراً ولم يعقّب ياموسى اقبل ولا تخف انّك من الآمنين[١]، ثمّ انّه ليزداد تعويده بظهور تلك الغواشي الى ان تصير تلك الغواشي مألوفة له فتطمئنّ بها[٢] نفسه ويسكن اليها قلبه وتسمّى حينئذٍ في عرفهم سكينة حتّى تصير بعد ان كانت آثار البهجة باشراق تلك الأنوار في سرّه ظاهرة عليه وعلامات الأسف والتلهّف على فراقه كثيرةً لديه بحيث يقلّ ذلك الظّهور فيراه جليسه حال الاتّصال بجناب الحقّ حاضراً عنده في اوقات السّفر مقيماً معه وهو في الحالين غائب مسافر ولا يزال يتدرّج[٣] في ذلك بحسب صفاء جوهره واستعداده بالملكة التّامّة الى ان يصير له ذلك متى شاء ثمّ يترقّى في ذلك الى ان يتوقّف ذلك الأمر على مشيّته بل يكون له بمطالعة كلّ شيء عبرة من غير قصد الاعتبار[٤] بتلك المطالعة، فاذا عبر مقام السّلوك الى النّيل صار سرّه كمرآة[٥] مجلوّة حوذى[٦] بها وجه الحقّ متّسعاً باشراقه

١- ذيل آية ٣١ سورة القصص. ٢- ج د: «لها». ٣- ج د: «يندرج». ٤- ج د: «الاعتقاد». ٥- ج «مراة». ٦- النسخ: «حوفى» أو مايشبهه وصححناها بقرينة قول الشارح (ره) في شرح نهج البلاغة ضمن شرح قوله امير المؤمنين (ع): «والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه»: «فان علمه بعواقب الامور وادبارها و تطلعه الى نتائج الحركات بعين بصيرته التي هي كمرآة صافية حوذي بها صور الاشياء في المرائي العالية فارتسمت فيها كما هي» (ص ١٠٤ الطبعة الاولى) ونظيره قوله الآخر في وصف التالين للقرآن حق تلاوته (ص ٤٠٦ من الطبعة الاولى): «حتى صارت نفوسهم كمرائي مجلوة حوذي بها شطر الحقائق الالهية فتجلت وانتقشت بها» الى غيرهما واصل التعبير مأخوذ من كلام ابن سينا (انظر كتاب الاشارات؛ النمط التاسع): «اشارة - فاذا عبر الرياضة الى النيل صار سره مرآة مجلوة محاذياً بها شطر الحق ودرت عليه اللذات العلى (الى آخر كلامه)» وقد قال ايضاً قبل ذلك في كلام له: «واذا اعرضت النفس عنه الى مايلي العالم الجسداني أو الى صورة اخرى انمحى المتمثل الذي كان اولا كأن المرآة التي كانت يحاذي بها جانب القدس قد اعرض بها عنه الى جانب الحس أو الى شيء آخر من الامور القدسي» قال المحقق الطوسي (ره) في شرح العبارة الثانية مانصه: «اشارة الى حاجة الذهول وسببه، وتمثل بالمرآة لانها في الجسمانيات اشبه شيء بالنفس المستفيضة عن المجردات».

فيه مبتهجاً باعلى اللّذّات الّا انّه مع ذلك مبتهج بنفسه لما فيها من اثر الحقّ فله مع نظره الى الحقّ نظر آخر الى نفسه فهو بعد واقف دون مقام الاخلاص فاذا غاب عن نفسه[1] يلحظ الجناب المقدّس[2] فقط وان لحظ نفسه فبالعرض من حيث هى لاحظة للحقّ لامن حيث هى متزّينة بزينة الحقّ فهناك يتحقّق الوصول، وفى كلمات محقّقى اهل الطّريقة[3]: مارأينا شيئاً الّا ورأينا الله بعده، فلمّا ترقّوا قالوا: مارأينا شيئاً الّا ورأينا الله فيه، فلمّا ترقّوا قالوا: مارأينا شيئاً الّا ورأينا الله قبله، فلمّا ترقّوا قالوا: مارأينا شيئاً سوى الله، والكلمة[4] الاولى اشارة الى مقام الاعتبار مع قصده، والثّانية اشارة الى مقام حصول تلك البروق غيرمتوقّفة على مشيّته، والثّالثة اشارة الى مقام النّيل مع ملاحظة النّفس من حيث هى مبتهجة بزينة الحقّ فانّ الشّبح الّذى فى المرآة هوالمرئىّ قبلها، والرّابعة اشارة الى مقام الفناء وهوملاحظة الحقّ الأوّل مع الغيبة عن النّفس، وقدجمعوا أيضاً مراتب السّلوك ومقامات الوصول فى كلمة اخرى فقالوا: السّفر سفران؛ سفرالى الله، وسفر فى الله؛ والأوّل اشارة الى انتقالات النّفس فى مراتب السّلوك، والثّانى اشارة الى انتقالها فى درجات الوصول، والله ولىّ التّوفيق.

١- عبارة ابن سينا هكذا (فى النمط التاسع من كتاب الاشارات): «ثم انه ليغيب عن نفسه فيلحظ جناب القدس فقط وان لحظ نفسه فمن حيث هى لاحظة لامن حيث هى بزينتها وهناك يحق الوصول». ٢- ا: «القدس» والشارح قد يعبر فى كتبه بتعبير «جناب القدس» وقد يعبر بتعبير «الجناب المقدس». ٣- قال الشارح (ره) فى شرح نهج البلاغة ضمن ذكر معنى الظهور عند شرح قول امير المؤمنين (ع): «وكل ظاهر غيره باطن» مانصه (ص ١٨٠ من الطبعة الاولى): «كما اشار اليه بعض مجردى السالكين: مارأينا شيئاً (فساق الكلام الى آخره فقال) والاولى مرتبة الفكر والاستدلال عليه، والثانية مرتبة الحدس، والثالثة مرتبة المستدلين به لاعليه، والرابعة مرتبة الفناء فى ساحل عزته». ٤- فى النسخ «والاية».

البحث الخامس

فى احكام العارفين واخلاقهم

امّا الاحكام

فالأوّلـ انّ كلّ درجة قبل درجة الوصول فهى ناقصة بالقياس اليها وبيان ذلك امّا درجة الزّهد فلانّه اشتغال بغير الحقّ لانّ تخلية الذّات عن المنجّسات والعلائق البدنيّة مشروط بالشّعور بها والقصد الى اعدامها[1]، وذلك التفات الى غير الحقّ وشغل به.

وامّا العبادة فلانّ العابد اذا اتّكل على تطويع النّفس الامّارة للمطمئنّة فذلك عجز منه اذ لولا الخوف من الغير لم يحصل الاعتداد بطاعته والفرح بها، وامّا العرفان مع ابتهاج النّفس بزينة الحقّ والسّعادة بالوصول اليه فهو تيه؛ لانّ الابتهاج بالنّفس لقربها من الحقّ والفرح بكونها واصلة اليه ابتهاج بغير الله وعشق بالذّات لاحوال النّفس، وامّا الاشتغال بالحقّ ورفض كلّ ماعداه وهو آخر مقامات السّلوك اليه فهو الخلاص المطلق والاخلاص المحقّق.

الثّانىـ اتّفقت كلمة اهل العرفان على انّ مقامات السّالكين الى الحقّ لاتخلو من التّفريق والجمع فيما سوى الحقّ تعالى ثمّ من الجمع فيه، امّا التّفريق فهو تخلية الذّات عمّا سوى الحقّ تعالى فلها مراتب اربع؛ فالأولى لابدّ ان يكلّف السّالكون الى الحقّ بالأعراض عمّا سواه من اللّذّات البدنيّة والشّهوات الدّنياويّة ولن يزالوا فى كلفة الى ان تستعبد نفوسهم ازذال الميول الحيوانيّة اليها وهى المرتبة الثّانية، ثمّ يستعدّون بالسّعى الى ان يمحقوا[2] ما سوى الحقّ من قلوبهم ويشمّوا رائحة النّفحات الالهيّة ويتركوا الالتفات بالكلّيّة الى اللّذّات الفانية وهى المرتبة الثّالثة، ثمّ لايزالون يستعدّون بالانس بالقديم[3] الأعلى والكأس الاوفى الى ان يصير ماسوى الحقّ مستحقراً عندهم بالنّسبة الى تلك اللّذّات الكاملة وهى المرتبة الرّابعة، فهذه درجات التّخلية وهى فى لسان الحكماء

١ـ ج: «اعلامها». ٢ـ ا: «يمحق» ج: «يمحوا». ٣ـ ب: «النديم».

درجات الرّياضة النّسلبيّه وفى لسان المجرّدين[١] من الصّوفيّة درجات التّخلّق بنعوت الجلال. وامّا الجمع فهو تحلية الذّات بدرجات الرّياضة الايجابيّة وذلك بان يصير السّالك رؤفاً رحيماً جواداً كريماً وتسمّى هذه الحالة فى لسان الشّريعة التّخلّق باخلاق الله، وفى لسان المجرّدين التّرقّى فى مدارج الجلال، وامّا الجمع فى الله فلن يخلص الّا بالوقوف عنده بحيث ينقطع نظر الواصل عن نفسه وابتهاجها بزينتها به وبه يتحقّق الكمال التّامّ.

وامّا الاخلاق فيجب ان يكون العارف شجاعاً[٢] وذلك انّ الشّجاعة فضيلة مطلوبة بالذّات، وامّا السّبب المانع من الاقدام على الاهوال فخوف القتل الّذى غايته الموت والعارف بمعزلٍ عن[٣] تقيّة الموت، ويجب ان يكون عفيفاً لانّ العفّة ملكة مطلوبة لذاتها، والمانع منها غلبة القوى البدنيّة على مقتضى طباعها وانقهار[٤] النّفس فى قيادها والعارف بمعزلٍ عن ذلك اذ[٥] كانت قواه البدنيّة مقهورة فى يد قوّته[٦] العقليّة، ويجب ان يكون جواداً لانّ الجود فضيلة مطلوبة لذاتها، والمانع منها انّما هو حبّ المال والخوف من الفقر؛ والعارف منزّه عن حبّ الباطل الزّائل وحاصل على الغنى الحقيقىّ الّذى لافقر معه، ويجب ان يكون عدلاً لانّ العدالة ملكة قد عرفت انّها تحصل عن الحكمة والعفّة والشّجاعة وهذه الفضائل الثّلاث[٧] حاصلة له، ويجب ان يكون صفّاحاً عن زلّات الخلق فى حقّه لانّه لاينفعل عن شىءٍ سوى الله فهو اشرف عن ان ينفعل عن زلّة بشر[٨] والاشتغال بالانتقام مستلزم للانفعال، ويجب ان لايكون حقوداً لانّ اشتغال سرّه بالله يزيل عنه كلّ ماعداه، ويجب ان يكون طلق الوجه وذلك انّه فرحان بالحقّ وبكلّ

١ـ ا: «المحررين». ٢ـ عبارة ابن‌سينا هكذا (كتاب الاشارات؛ النمط السابع الذى فى مقامات العارفين): «تنبيه ـ العارف شجاع وكيف لا وهو بمعزل عن تقية الموت، وجواد كيف لا وهو بمعزل عن محبة الباطل، وصفاح وكيف لا ونفسه اكبر من ان تجرحها زلة بشر، ونساء للاحقاد وكيف لا وذكره مشغول بالحق». ٣ـ ا ب: «من». ٤ـ ا: «انتهار». ٥ـ ا ج: «اذاه». ٦ـ ا: «ترقوته». ٧ـ ب: «الثلاثة». ٨ـ ا: «البشر» ج د: «شر».

شیء یراه فانّه یریٰ فیه الحقّ فیدوم فرحه بدوام مطالعته لوجه الحقّ، ویجب ان یکون لیّن الجناب[1] متواضعاً للخلق بحیث یکون نظره الیهم علی سواءٍ فی ذلک، وذلک لانّه لاینظر الی ماسوی الله من حیث انّه هو حتّی یکون هناك تفاوت بین الهویّات بل انّما ینظر الی الکلّ من حیث تساوی نسبتهم الی الله تعالی ویجد جماع[2] الفضائل النّفسانیّة عند اقتضاصها موجودة فیه ظاهرة بیّنة العلّة، والیک الاعتبار والله الموفّق.

الفصل الخامس

فی بیان احکام اخری للنّفوس الکاملة والاشارة الی اسبابها

وفیه بحثان :

البحث الاول[3]

فی التّمکّن من الاخبار عن المغیبات وسببه

واجب علیک ایّها الاخ اذا ذکر انّ خلیفة من خلفاء الله أو ولیّاً من اولیائه اخبر عن امرٍ سیکون مبشّراً به أومنذراً ممّا لاتنی بدرکه قوّتک وانت انت قاصاب ان لاتبادر الی التّکذیب بامثال[4] ذلک فانّک عند اعتبارك مذاهب الطّبیعة تجد الی ذلک سبیلاً وله محملا ونحن نشیر الی سببه مجملاً ومفصّلاً.

امّا الاوّل فلانّ معرفة الامور الغیبیّة فی النّوم ممکنة فوجب ان یکون فی الیقظة کذلک؛ بیان الاوّل انّ الانسان کثیراًما یری فی النّوم شیئاً ثمّ یقع امّا صریح تلک الرّؤیاء أو تعبیرها، وذلک یوضح ماقلناه للرّائی، ومن لایرزق ذلک فی حال النّوم علمه بالتّواتر من الخلق العظیم.

١- کذا ولعله «الجانب». ٢- بد: «جملة». ٣- هذا المبحث مأخوذ من اواخر الاشارات فمن اراد التطبیق فلیراجعه. ٤- ج د «باسکان».

بيان الثّاني انّ ذلك لمّا صحّ في حال النّوم لم يمكن[1] القطع على امتناعه حال اليقظة فانّ النّاس لو لم يجرّبوا ذلك في حال النّوم لكان استبعادهم لوقوعه في النّوم اشدّ من استبعادهم له في اليقظة فانّه عند عدم التّجربة لو قيل لانسان: انّ جماعةً من الاولياء الكاملين اجتهدوا في تلويح مفكّراتهم الصّافية في تحصيل حكم غيبيّ فعجزوا ثمّ انّ واحداً منهم لمّا نام وصار كالميّت عرف ذلك الحكم فلابدّ ان يكذّب بذلك ويستنكره لعدم حصوله مع كمال الحركة وسلامة الحواسّ عن العطلة الّا انّ وقوع هذا الأمر كثيراً ممّا ازال الاستبعاد وصحّح الصّحّة، **وامّا الثّاني فمبنيّ على مقدّمتين:**

فالاولى ـ انّه قد ثبت في موضعه انّ العقول والنّفوس السّماويّة عالمة بالجزئيّات، امّا العقول فعلى وجه كلّيّ وامّا النّفوس فعلى وجه جزئيّ لانّ جميع الجزئيّات تنتهي في سلسلة الحاجة الى العقول؛ والعلم بالعلّة مستلزم للعلم بالمعلول، وكذلك ثبت انّ للفلك قوّةً جسمانيّةً هي مدركة للجزئيّات وثبت انّ الحوادث العنصريّة مستندة الى الاتّصالات والحركات الفلكيّة وثبت انّ المبدأ لتلك الحركات هي النّفوس[2] الجسمانيّة وثبت انّ العلم بالعلّة يوجب العلم بالمعلول فيلزم من مجموع ذلك كون النّفس الفلكيّة عالمة بجميع جزئيّات هذا العالم ومايحدث فيه، وكذلك ثبت انّ للفلك مع هذه النّفوس[3] الجسمانيّة نفساً مجرّدة ليست علاقتها مع الجسم علاقة انطباع فتكون أيضاً منتقشة بجميع الجزئيّات الّتي تحدث في هذا العالم فالعقول والنّفوس الفلكيّة المجرّدة والجسمانيّة اذاً منتقشة بها.

الثّانية ـ انّ النّفوس الانسانيّة متمكّنة من استفادة العلوم من تلك المبادى؛ وبيان ذلك بتقديم مقدّمات:

فالاولى ـ انّ القوى الانسانيّة متجاذبة فالنّفس عند اشتغالها بتدبير القوّة الغضبيّة غير متمكّنة[4] الالتفات الى القوّة الشّهوانيّة وبالعكس واذا اشتغل الحسّ الباطن بالحسّ

١ـ ب: «لم يكن». ٢ـ ب ج «النفس». ٣ـ ب ج د: «هذه النفس».
٤ـ ب: «غير ممكنة».

الظّاهر لم يتمكّن العقل من استعمال الحسّ الباطن فلم يمكنه استخدام المفكّرة[١] وأيضاً فاذا اشتغلت النّفس بالافعال الّتى تخصّها منعتها من اعانة القوى على افعالها ولذلك تجدها عند مساعدة القوى على فعل قوى تخصّها تذهل عن فعلها الخاصّ بها فتتركه.

الثّانية ـ انّك علمت ماهيّة الحسّ المشترك فيما سبق وعلمت انّه يرتسم[٢] فيه صور المحسوسات بالحواسّ الخمس[٣] لانّ[٤] هذه المحسوسات عند ارتسامها تصير مشاهدة وان عدمت فى الخارج، وبيّنّا ذلك بالقطرة النّازلة خطّاً مستقيماً.

الثّالثة ـ قد يشاهد قوم من المرضى والممرورين صوراً محسوسةً ويحكمون بصحّتها ويصيحون خوفاً منها فتلك الصّور ليست بمعدومة لانّ المعدوم لايشاهد، واذهى موجودة فليست فى الخارج والّا لرآها سليم الحسّ، واذ ليست فى الخارج فليس ارتسامها فى النّفس الناطقة اذ لاترتسم فيها الصّور الحسّيّة ولانّها لاتدرك الجزئيّات بذاتها فهى اذاً فى قوّة جسمانيّة؛ وليست القوّة الباصرة، لانّ المريض قد يكون اعمى أو بحيث لايبصر فهى اذاً فى قوّة غيرها ادركت هذه الصّور[٥] فى[٦] الحسّ المشترك ولن[٧] ترد عليه هذه الصّور من خارج فهى من داخل امّا ممّا انخزن فى الخيال فرأى فى لوح الحسّ أو ممّا تركّبه المتخيّلة وتخزنه فى الخيال فيرتسم نقشه فى الحسّ لانّها بمنزله مرآتين متقابلتين؛ والسّبب انّ النّفس فى حال المرض لاشتغالها بتدبير البدن ضعيفة عن تدبير المتخيّلة فاستولت المتخيّلة وقويت على التّشبيح، لايقال: لوكان كذلك لوجب فى كلّ مايتخيّل ان يحسّ اذلااختصاص لذلك بوقتٍ دون وقتٍ لانّا نقول: المانع من هذا الانتقاش دائماً شاغلان؛ حسّىّ وهواشتغال لوح الحسّ بمايرد عليه من الصّور الخارجيّة فلايتّسع للانتقاش بنقش آخر، وعقلىّ أو وهمىّ وهو انّ احدهما عند اشتغال[٨] المفكّرة تصير المفكّرة مستغرقة

١ـ ب: «الفكرة». ٢ـ ا: «رسم». ٣ـ ب: «الخسمة». ٤ـ «وان».

٥ـ ا: «هذه هى». ٦ـ ج: «هى» د: «وهى». ٧ـ اب: «وان». ٨ـ ب ج د: «استعمال».

لخدمته[1] فلاتتفرّغ لفعلها الخاصّ بها فلم تتمكّن من تركيب الصّور وتشبيحها للحسّ الّا انّه ربّما عجز احدهما عن ضبطها فحينئذٍ تستولى المحسوسة فتشاهدها[2].

الرابعة ـ النّوم شاغل للحسّ الظّاهر شغلاً ظاهراً وقديكون شاغلاً للنّفس أيضاً وذلك عند اشتغال الطّبيعة بالهضم فانّ النّفس تكون مظاهرة للقوّة الهاضمة على ذلك ومعينةً لها لما ثبت انّ النّفس عند اشتغالها بمهمّها تقف سائر القوى عن افعالها فلابدّ من مظاهرة النّفس لها والّا لما تمّ الهضم. واذا اشتغلت النّفس بذلك بقيت المتخيّلة خالية عن المدبّر متمكّنة من التّلويح والتّشبيح غير مظبوطة ولوح الحسّ خالٍ ممّا يرد عليه من الصّور الخارجيّة لتعطّل الحواسّ حالة النّوم ، واذا تمّ الفاعل والقابل وجد الفعل لامحالة فلاجرم صارت الصّور مشاهدة فى حال النّوم.

الخامسة ـ النّفس تقوى على عين ماادركته وقد تضعف عن ضبط عينه فتنتقل الى شبهه ومحاكيه من وجه ثمّ من ذلك المحاكى الى محاكى المحاكى الى ان تصل الى مالا يناسب المدرك الاوّل بوجه، وانّما يكون كذلك لاستيلاء المتخيّلة وضعف النّفس عن تصريفها كما ينبغى فاذا قويت النّفس جدّاً لم يكن اصلاحها للبدن عائقاً لها عن اتّصالها بمباديها وانتقاشها بماهناك بل تكون وافيةً بالجانبين فلايعوقها الالتفات الى احدهما عن الالتفات الى الآخر فاذا انضمّ الى ذلك كونها مرتاضةً كان تحفّظها عن مضادّات الرّياضة وتصرّفها فيما يناسبها اتمّ.

واذا عرفت هذه المقدّمات فاعلم انّ السّبب فى مشاهدة الصّور فى حال النّوم والمرض هو انّ النّفس اذا اتّصلت بالعقول الفعّالة انتقشت بامور فركّبت المتخيّلة صوراً جزئيّة تناسب تلك المعقولات ، ولوّحت تلك الصّور الى الحسّ المشترك فصارت مشاهدةً وقد يعرض للمتخيّلة ضعف امّا لمرض أولتحلّل الرّوح الحامل امّا عن كثرة حركتها فتميل الى الدّعة فتقع للنّفس فلتة منها فتتّصل بالعالم العقلىّ فتنتقش بالجلابا القدسيّة فتنزعج المتخيّلة الى تشبيح ذلك المعنى العقلىّ بصورة جزئيّة لانّها بسبب

١ـ ب ج د: «بخدمته». ٢ـ ا: «فتشاهده» ب ج د: «مشاهدة».

الاستراحة زال عنها الكلال والملال ولانّ النّفس تستعين بها فى ضبط تلك الأسرار فى تلك الصّور[١] الخياليّة[٢] وتحطّها الى الحسّ فتبقى مشاهدة، واذا علمت السّبب فى ذلك حالة النّوم لم يبعد اذا كانت النّفس قويّة الجوهر تتّسع للجوانب المتنازعة[٣] ان يقع لها هذا الانفلات[٤] فى حال اليقظة فتتّصل بالمبادئ فتقتنص اموراً قدسيّة فتركّب المتخيّلة لها صوراً تناسبها ثمّ تحطّها الى الحسّ المشترك فتكون محسوسة فتارة تكون ابصار صورة، وتارة تكون سماع كلام وان لم يكن لتلك الأمور وجود خارجيّ الّا انّ تلك الآثار قد تكون ضعيفة فلاتشتبها[٥] المتخيّلة كما ينبغى فتمحى سريعاً ، وقد تكون اقوى من ذلك فتحرّك الخيال فينتقل بقوّة الى ماله تعلّق بذلك المعنى من شبيه أو ضدّ لانّ الحكمة الالٰهيّة اقتضت ان يكون جبلّة هذه القوّة على هذا الوجه والّا لم ينتفع بها فى الانتقال من الحاصل الى المستحصل ولن يمنعها من الانتقال الّا احد[٦] امرين[٧] امّا استيلاء النّفس عليها وضبطها ، وامّا قوّة الصّور المنتقشة فيها فانّه أيضاً قد يرتسم فيها الصّور ارتساماً قويّاً بيّناً فيمنعها جلاؤها لها[٨] عن الانتقال منها الى الغير ، وما كان كذلك فى يقظة او نوم سمّى الهاماً أو وحياً صريحاً أو حلماً لايحتاج الى تعبير ، وما كان من القسم الثّانى اعنى ان تبقى الصّورة المنتقل اليها دون عين الاثر فانّه يحتاج الوحى الى تأويل والحلم الى تعبير .

تذنيب[٩]: قد عرفت انّ النّفس قد تعوقها عن الاتّصال بمباديها قواها البدنيّة فلذلك مايحتاج بعض النّاس الى الاستعانة بامور مكتسبة يعرض منها للحسّ حيرة وللخيال وقفة تنفلت معها النّفس لتلقّى المغيبات كما حكى عن بعض الكهّان من التّرك انّه كان يستعين بحركة شديدة جدّاً لايزال يلهث فيها حتّى يكاد يغشى عليه فتلوح له امور غيبيّة والحفظة يتلقّون ماينطق به ليبنوا عليه آرائهم المصلحيّة وكمن يشغل ابصار الصّبيان والنّساء

---

١ - ب ج د: «القشور». ٢ - ب: «الخالية». ٣ - ا: «المتنازع». ٤ - ج د: «الالتفات». ٥ - ج د: «فلاتثبتها». ٦ - ب: «لاحد». ٧ - ج د: «من احد الامرين».
٨ - ب: «جلاء حالها». ٩ - مطالب التذنيب كلها من شفاء ابن سينا؛ فراجع ان شئت.

وذوى القوى الضّعيفة باشياء شفّافة ترعش الأبصار برجرجتها وتدهشه بشفيفها كلطخ من سواد برّاق فى بيضة أو فى باطن الابهام وكاستعانة بعض الكهنة بالرّقص والتّصفيق وبايهام العزائم والتّخويف بالجن[1] اذا استنطقوا غيرهم؛ وان كان مايستعمله الكهنة من ذلك ممّا يختلّ به امر القوى ويفسدها ويؤدّى الى تعطيلها ولذلك لم يكن التّكهّن محموداً من العلماء والله ولىّ التّوفيق[2].

البحث الثانى

فى تمكّن النّفوس الانسانيّة من الاتيان بخوارق العادات

واجب على من اهّله الله لاستشراق انواره[3] اذا خصّه بالقوّة العاقلة الّتى هى سرّ من اسراره ان لايستبعد عمّن ارتقى درجة العرفان التّامّ ان تصدر منه افعالٌ لايتمكّن غيره من الاتيان بمثلها؛ وذلك كالامساك عن الطّعام المدّة المديدة الّتى يعجز الاتيان بمثله ابناء النّوع وكالتّحريك أو الحركة الّتى تخرج عن وسع مثله كما يشاهد من طوفانات تقع باستدعائهم وزلازل واستنزال عقوبات وخسف بقرىً حقّ عليها القول واستشفاء المرضى واستسقاء العطشى وخضوع عجم الحيوانات وغيرها فانّه عند الاعتبار يجد تلك اموراً ممكنةً من الطّبيعة ونحن نشير الى وجه امكانها ؛ امّا الامساك عن القوت فتأمّل امكانه بل وجوده فينا عند عروض عوارض غريبة لنا ؛ امّا بدنيّة كالأمراض

١- ا: «بالحق» ج د: «بالجزاء». ٢- ا: «والله الموفق». ٣- فليعلم ان الشارح (ره) قد ذكر نظائر ما اورده هنا فى مقدمة شرح نهج البلاغة فى القاعدة الثالثة التى هى فى بيان ان علياً عليه السلام كان مستجمعاً للفضائل الانسانية بحيث يمكن ان يقال هى بالنسبة الى المطالب المشتملة عليها هذه المباحث فى حكم نسخة من هذا الكتاب، استفدنا فى التصحيح من تلك القاعدة الا انا لانشير الى موارد الاختلاف لان الاشارة اليها تستوعب وقتاً كثيراً ومجالا وسيعاً لايقتضيه المقام فمن اراد الوقوف عليها فليراجع الكتاب (ص ٢٥-٣٠).

الحادّة[١] واما نفسانيّة كالخوف والغمّ، امّا البدنيّة فانّ القوى الطّبيعيّة[٢] تشتغل بسببها بهضم الموادّ الرّديّة عن تحريك الموادّ المحمودة فتجد الموادّ المحمودة حينئذٍ محفوظة قليلة التّحلّل غنيّة عن طلب البدل لما يتحلّل فربّما انقطع الغذاء عن صاحبها مدّة لو انقطع مثله عنه فى غيرحالته تلك عشر تلك المدّة هلك ؛ وهو مع ذلك محفوظ الحيوة، واما النّفسانيّة فكما يعرض بعروض الخوف للخائف من سقوط الشّهوة وفساد الهضم والعجز عن الافعال الطّبيعيّة الّتى كان متمكّناً منها قبل الخوف لوقوف القوى الطّبيعيّة عن افعالها بسبب اشتغال النّفس بما اهمّها عن الالتفات الى تدبير البدن ، **واذا عرفت** امكان الامساك الخارج عن الوسع بسبب العوارض الغريبة **فاعلم** انّ السّبب فى تحقّقه فى حقّ العارف توجّه النّفس بالكلّيّة الى عالم القدس المستلزم لتشبيع القوى البدنيّة لها وذلك انّ النّفس المطمئنّة اذا راضت القوى البدنيّة انجذبت القوى خلفها فى مهمّاتها الّتى تنزعج اليها ، واشتداد ذلك الانجذاب بشدّة ذلك الجذب فاذا اشتدّ الاشتغال عن الجهة المولّى عنها وقفت الافعال الطّبيعيّة المتعلّقة بالقوّة النّباتيّة فلم يكن من التّحليل الّا دون ما كان فى حال المرض وذلك لانّ المرض فى بعض الصّور مختصّ بما يقتضى الاحتياج الى الغذاء لتحلّل رطوبات البدن بسبب عروض الحرارات الغريبة المسمّاة بسوء المزاج الحارّ[٤] له لانّ الغذاء انّما يكون لسدّ بدل ما تحلّل من تلك الرّطوبات وشدّة الحاجة الى الغذاء انّما تكون بحسب كثرة التّحليل وكقصور القوى البدنيّة بسبب المرض المضادّ لها وانّما الحاجة الى حفظ تلك الرّطوبات لحفظ تلك القوى اذ[٣] كانت مادّة الحرارة الغريزيّة المقتضية[٥] لتعادل الاركان الّذى لاتقوم تلك الّا معه وشدّة الحاجة الى مايحفظ تلك

١- ج د : «الحارة». ٢- مأخوذ مما ذكره ابن سينا، فى اول النمط العاشر من الاشارات ونص عبارته هكذا «تنبيه- تذكر ان القوى الطبيعية التى فينا اذا شغلت عن تحريك المواد المحمودة بهضم المواد الردية انحفظت المواد المحمودة قليلة التحلل غنية عن البدل فربما انقطع عن صاحبها الغذاء مدة طويلة لو انقطع مثله فى غيرحالته بل عشر مدته هلك وهو مع ذلك محفوظ الحيوة». ٣- ا ج : «اذا». ٤- كذا ولعله: «الحاد». ٥- «المفضية».

القوى انّما هي بحسب شدّة فتورها . وامّا العرفان فانّه مختصّ بامر يوجب الاستغناء عن الغذاء وهو سكون البدن عند اعراض القوى البدنيّة عن افعالها جال مشايعتها للنّفس وانجذابها معها حال توجّهها الى الجناب المقدّس وتطعّمها بلذّة معارفة الحقّ ، واليه الاشارة بقوله تعالى حكاية عن خليله عليه السّلام : والّذى هو يطعمنى ويسقين[1] و بقول سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم : انّى لست كاحدكم ؛ابيت عند ربّى يطعمنى ويسقينى . واذا عرفت ذلك ظهر انّ المرض وان اقتضى الامساك الخارق للعادة الّا انّ العرفان بذلك الاقتضاء اولى ، **وامّا القدرة على الحركة** الّتى تخرج عن وسع مثله **فهى ايضاً ممكنة وبيان سببها** انّك علمت انّ مبدأ القوى البدنيّة هو الرّوح الحيوانىّ فالعوارض الغريبة الّتى تعرض للانسان تارة تقتضى انقباض الرّوح بحركته الى داخل كالخوف والحزن ، وذلك يقتضى انحطاط القوّة وسقوطها ، وتارة تقتضى حركته الى خارج كالغضب او انبساطاً معتدلاً كالفرح المطرب والانتشاء[2] المعتدل وذلك يقتضى ازدياد القوّة ونشاطها **واذا**

١ـ آية ٧٩ سورة الشعراء. ٢ـ ب : «الانتشاب» **اقول:** هذا المطلب مأخوذ من كلام ابن سينا في اوائل النمط العاشر من كتاب الاشارات ونص عبارته: «**تنبيه** ـ قد يكون للانسان وهو على اعتدال من احواله حد من المنة محصور المنتهى (الى ان قال) وكما يعرض له عند الانتشاء المعتدل وكما يعرض له عند الفرح المطرب فلاعجب لو عنت للعارف هزة كما يعن عند الفرح فاولت القوة التي يعرض له سلاطة او غشيته عزة كما يغشى عند المنافسة فاشتعلت قواه حمية (الى آخر ماقال) » قال المحقق الطوسى (ره) ضمن شرح العبارة مانصه : « والانتشاء السكر (الى ان قال) واعلم ان مبدأ القوى البدنية هوالروح الحيواني فالعوارض المقتضية لانقباض الروح وحركته الى داخل كالحزن والخوف يقتضي انحطاط القوة والمقتضية لحركته الى خارج كالغضب والمنافسة اولانبساطه انبساطاً غيرمفرط كالفرح المطرب والانتشاء المعتدل يقتضي ازديادها **وانماقيد الانتشاء بالاعتدال** لان السكر المفرط يوهن القوة لاضراره بالدماغ والارواح الدماغية، ثم لما كان فرح العارف ببهجة الحق اعظم من فرح غيره بغيرها وكانت الحالة التي تعرض له وتحركه اعتزازاً بالحق اوحمية الهية اشد مما يكون لغيره كان اقتداره على حركة لايقدر غيره عليها امراً ممكناً ومن ذلك يتعين معنى الكلام المنسوب الى على (ع): والله ماقلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة ربانية» .

عرفت ذلك فنقول: لمّا كان فرح العارف ببهجة الحقّ اتمّ واعظم من فرح من عداه بما عداها وكانت الغواشي الّتي تغشاه وتحرّكه اعتزازاً بالحقّ اوحميّة ربّانيّة اعظم ممّا يعرض لغيره لاجرم كان اقتداره على حركة غير مقدورة لغيره ممكناً وسنبيّن وقوعه ان شاء الله تعالى، **وامّا السّبب في الامور الباقية** على الاصول السّابقة هو انّك علمت انّ تعلّق النّفس بالبدن ليس بانطباعها فيه انّما هو على وجه انّها مدبّرة له مع تجرّدها[1] ثمّ انّ الهيئات النّفسانيّة قد تكون مبادئ لحدوث الحوادث **وبيانه امّا اوّلا فلانّك تشاهد انساناً** يمشي على جذع ممدود على الارض ويتصرّف عليه كيف يشاء[2] ولو عرض ذلك الجذع بعينه على جدار عال او موضع عال لوجدته عند المشي عليه راجفاً متزلزلاً يوعده[3] وهمه بالسّقوط مرّة بعد اخرى لتصوّره وانفعال بدنه عن وهمه حتّى ربّما سقط. **وامّا ثانياً** فلانّ الامزجة تتغيّر عن العوارض النّفسانيّة كثيراً كالغضب وكالحزن والخوف والفرح وغير ذلك وهو ضروريّ . **وامّا ثالثاً** فلانّ توهّم المرض او الصّحّة قد يوجب ذلك وهو ايضاً ضروريّ ؛ **اذا عرفت هذا فنقول** : انّ الامزجة قابلة لهذه الانفعالات عنّ هذه الافعال النّفسانيّة فلامانع اذاً ان يكون لبعض النّفوس خاصيّة لاجلها يتمكّن من التّصرّف في عنصر هذا العالم بحيث تكون نسبتها الى كلّيّة العناصر كنسبة انفسنا الى ابداننا[4] فيكون لها حينئذٍ تأثير في اعدادات الموادّ العنصريّة لان يفاض عليها صور الامور الغريبة الّتي تخرج عن وسع مثلها فاذا انضمّت الى ذلك الرّياضات فانكسرت سورة الشّهوة والغضب وبقيا[5] اسيرين في يد القوّة العاقلة فلاشكّ انّها حينئذٍ تكون اقوى على تلك الافعال

١ـ مأخوذ من كلام ابن سينا في اواخر النمط العاشر من الاشارات ونص عبارته: «تذكرة وتنبيه ـ ايس قد بان لك ان النفس الناطقة ليست علاقتها مع البدن علاقة انطباع بل ضرباً من علائق اخر، وعلمت ان هيئة تمكن العقد منها ومايتبعه قد يتأدى الى بدنها مع مباينتها له بالجوهر حتى ان وهم الماشي على جذع معروض فوق فضاء يفعل في ازلائه مالا يفعله وهم مثله والجذع على قرار (الى آخر ماقال)».
٢ـ ب ج: «شاء».
٣ـ في النسخ: «بواعده».
٤ـ في شرح نهج البلاغة للشارح (ره): «ابداننا».
٥ في شرح نهج البلاغة: «و بقيتا اسيرتين».

وتلك الخاصيّة امّا بحسب المزاج الاصليّ او بحسب مزاج طار غير مكتسب او بحسب الكسب والاجتهاد فى الرّياضة وتصفية النّفس، والّذى يكون بحسب المزاج الاصلىّ فذوو المعجزات من الانبياء أو الكرامات من الاولياء، فان انضمّ اليها الاجتهاد فى الرّياضة بلغت الغاية فى ذلك الكمال، وقد يغلب على مزاج من له هذه الخاصيّة ان يستعملها فى طرف الشرّ وفى الامور الخبيثة[1] ولا يزكّى نفسه كالسّاحر فيمنعه خبثه عن التّرقّى الى درجة السّابقين فى الكمال فهذا القدر هو الّذى اردنا من المقدّمات وبالله التّوفيق.

القسم الثّانى فى المقاصد؛ وفيه فصول:

الفصل الاول

فى المباحث المتعلّقة بالعقل والعلم والجهل والظّنّ والنّظر

وفيه اثنتان وعشرون كلمة:

الكلمة الاولى قوله عليه السّلام: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

اقول: الغطاء فى اصل اللّغة هو ما يستر به الشّئ ويغطّى، واليقين فى عرف العلماء هو اعتقاد انّ الشّئ كذا مع اعتقاد انّه لا يمكن ان لا يكون كذا، وهو اخصّ من العلم الّذى هو اخصّ من الاعتقاد الجازم المطابق الّذى هو اخصّ من الاعتقاد المطابق الّذى هو اخصّ من مطلق الاعتقاد. واعلم انّه ليس المراد من لفظ الغطاء والمغطّى والتّغطية ههنا هو ما يتعارفه افهام الخلق حال اطلاقه والّا لم يبق للكلام فائدة بل لابدّ من مفهوم آخر يحتاج الى تفطّن ما زائد على نباهة اهل الظّاهر سواء كان اطلاق لفظ الغطاء على ذلك المعنى وعلى غيره حقيقة امّا بحسب الاشتراك اللّفظىّ او المعنوىّ على سبيل التّواطى بان يكون الغطاء حقيقة نوعيّة ذلك المعنى من جملة اشخاصها الّتى لا يخالف بعضها بعضاً الّا

١ـ ج د: «الخسيسة».

بالعدد[1] اوعلى سبيل التّشكيك على معنى انّ في افراد الغطاء ماهو اشدّ تغطيةً واقوى من غيره ، أو مجازاً على معنى انّ الغطاء حقيقة عرفيّة في جسم ستر جسماً مجاز في المعنى الّذي نريده فانّ البحث عن ذلك لفظيّ غير مهمّ . **فامّا بيان ذلك المعنى فقبل تقريره نقول :** انّك قد علمت انّ النّفوس الانسانيّة في الكمال والنّقصان على مراتب، وعرفت انّ اعلى تلك المراتب مرتبة نفوس قدسيّة استغرقت في محبّة الله تعالى وابتهجت بمطالعة أنوار كبريائه غاية الابتهاج ؛ وهي درجة الانبياء ومن يليهم من الاولياء الكاملين في قوّتيهم النّظريّة والعمليّة المشار اليها بقوله تعالى : السّابقون السّابقون * اولئك المقرّبون[2] ثمّ عرفت انّ ذلك الاستغراق مستلزم لاعراضهم عمّا سوى الحقّ تعالى من العوائق البدنيّة واللّذّات الدّنيّة اعراض استحقارٍ لها واستهانةٍ بها، بل اعراضاً لالتفات معه اليها بوجهٍ **واذا عرفت ذلك فنقول :** المراد من الغطاء المذكور في الخبر هو البدن والشّوائب المادّيّة الحاصلة حال تعلّق النّفس به وكونها مدبّرة له ، **امّا وجه كونه غطاءً** فلانّ الاشارات النّبويّة مشتملة على مواعيد ووعيدات بانواع من الكرامات الاخرويّة وضروبٍ من العقوبات لاتفى بدركها القوّة الانسانيّة الّا لو قد نفضت هذا البدن وتجرّدت إلى عالمها فالنفس مادامت ملابسة له فهي ملتحفة مغطّاة بالشّوائب العارضة والهيئات اللّازمة لها من ملابسته ، فاذا فارقته وتجرّدت عنه ابصرت ما اعدّ لها بعد المفارقة من سعادة اوشقاوة واليه اشير في التّنزيل الالهيّ: فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد[3] وهذا الحكم وان كان عامّاً للنّفوس الانسانيّة الّا انّ النّفوس القدسيّة البالغة في الكمال الى الحدّ المذكور وان كانت في الظّاهر ملتحفةً بجلابيب الابدان متغطّيةً بأغطية الشّوائب المادّيّة وكأنّها[4] لمّا[5] رزقت من الاعراض عمّا سوى القبلة الحقيقيّة ومن التّوجّه والاقبال

١ـ ب : «بالعداد» . ٢ـ آية ١٠ و ١١ سورة الواقعة . ٣ـ ذيل آية ٢٢ سورة ق .

٤ـ ب ج : «فكأنها» . ٥ـ يمكن قراءة الكلمة بكسر اللام وتخفيف الميم بناءً على انها مركبة من لام الجر وما الموصول .

عليها بالكلّيّة فصار كلّ كمال لها بالقوّة فعليّاً قد نضت تلك الاغطية وخلعت تلك الاغشية والقت تلك الجلابيب الحسّيّة وخلصت الى الحضرة القدسيّة متّصلة بالملأ الاعلى، مرتوية بالكأس الاوفى، مشاهدة لامور تعجز عن ادراكها الاوهام وتكلّ عن بيانها العبارات والافهام مبتهجة بمالاعينٌ رأت ولااذنٌ سمعت صادرة عن كمالاتها الحاصلة لها آثار هي المعجزات والكرامات حتّى انّها لوفارقت ابدانها بالكلّيّة لمازاد ذلك الاستغراق وتلك المشاهدة على ماكان قبل المفارقة.

ثمّ لمّا كان ولىّ الله اميرالمؤمنين علىّ عليه السّلام متسنّماً لذروة ذلك المقام رائياً ببصيرته الاسرارالالهيّة مطّلعاً بقوّته القدسيّة على الاطوار الورائيّة لاجرم صدق فى مقاله الكاشف عن كماله: لوكشف الغطاء ماازددت يقيناً؛ ولم يكن ذلك منه دعوى عريّة عن البرهان بل دلّت على صدقه اخباراته وانذاراته الصّادقة ونجوم حكمه[1] الزّاهرة[2] وكشفت عن حقيقة مقاله آياته الباهرة و كراماته الظّاهرة، وقد اشرنا لك الى اسباب التّمكّن من تلك الآيات وسنبيّن وقوعها منه انشاءالله تعالى.

اللّهمّ ياواهب الحياة ويا منتهى طلب الحاجات[3] اذقنا حلاوة العرفان، وملّكنا ملكة التّجرّد عن جلابيب هذه الابدان، واهّلنا لاستشراق سنا خواطف انوارك، واجعل ذواتنا من اتمّ قوابل فيض اسرارك، وهيّئ لنا من امرنا رشداً[4].

الكلمة الثانية

قوله عليه السّلام: النّاس نيام فاذا ماتوا انتبهوا.

اقول: النّوم كما يقال بحسب الحقيقة على تعطّل الحواسّ الظّاهرة عن الادراك

١ـ ب: «حكمته». ٢ـ ج: «الظاهرة». ٣ـ كذا فى النسخ ولابأس به الا ان العبارة وردت فى الصحيفة السجادية؛ وهناك هكذا: «اللهم يا منتهى مطلب الحاجات (انظراول الدعاء الثالث عشروهومن دعائه فى طلب الحوائج). ٤ـ ذيل آية ١٠ من سورة الكهف.

للأسباب الّتی ذکرناها کذلک قد یقال مجازاً علی اشتغال النّفس بالعلائق الجسمانیّة ومتابعة القوی البدنیّة وغفلتها عن مبدئها المفارق وعدم التفاتها الیه **وکذلک الانتباه** کما یقال حقیقةً علی استعمال الحواسّ الظّاهرة للأسباب المذکورة کذلک یقال مجازاً علی اقبال النّفس علی القبلة الحقیقیّة وانتقاشها بالجلایا القدسیّة **بیان وجه التّجوّز** عن النّوم انّ عدم انصباب النّفس الی الجناب القدسیّ حین اشتغالها بالعلائق الجسدانیّة وتعطّلها بسببه عن الانتقاش بصور المعقولات مشابه لعدم انصباب الرّوح النّفسانیّ الی الحواسّ الظاهرة وتعطّلها بسبب ذلک عن الانتقاش بصور المحسوسات، **بیان وجه التّجوّز عن الانتباه** هو انّ الانتباه المحسوس لمّا کان عبارة عن انتقاش لوح الحسّ المشترک عن المحسوسات بسبب استعمال[1] الحواسّ الظّاهرة عن انصباب الرّوح النّفسانی الیها کذلک الانتباه المعقول هو انتقاش لوح النّفس بصور المعقولات عن مبادیها بسبب التفاتها واقبالها علیها، **واذا عرفت ذلک فاعلم** انّه علیه السّلام اشار بالموت الی مفارقة الحیاة، وبالنّوم والانتباه ههنا الی المعنیین المجازیّین، وانت بعد وقوفک علی وجه التّجوّز تستفتح[2] بعین بصیرتک سرّ هذه الکلمة، ثمّ انّ النّاس نیامٌ فی مرقد الطّبیعة لن ینتبهوا الّا عند مفارقته، ثمّ یلوح لک انّ القضیّة مهملة فی قوّة الجزئیّة وانّ الحکم خاصّ بمن عدا درجة السّابقین فانّهم ابداً ایقاظ فی صورة نیام قد هجروا مضاجع الطّبائع فهم فی لجّة الوصول سابحون، ثمّ للباقین فی النّوم درجات متفاوتة فأقربها الی الیقظة نفس کان اشتغالها عن الالتفات الی الجناب المقدّس بمجرّد مصالح البدن ومتابعتها للقوی البدنیّة فیما لابدّ منه فی اقامة تدبیره وفی حاجته الی مایقود الضّرورة الیه ممّا رخّصت فیه الشّریعة؛ هذا بعد أن تکون متحلّیةً بالمعرفة عن البرهان مراعیةً لشرائط الایمان، واشدّها فیه اغتماراً وابعدها عن ساحة الرّضوان داراً نفس ألقت زمامها الی قواها البدنیّة وانهمکت فی طاعتها؛ فأعرضت بالکلّیّة عن مبادیها؛ ولم تستیقظها من رقدة الغافلین شدّة استماع منادیها،

١ـ کذا فی النسخ والصحیح: «اشتغال». ٢ـ ب: «تستلیح» ج د: «تستنتج».

فخوطبت تقريعاً بألهاكم التكاثر، حتّى زرتم المقابر[١] ومنع[٢] مناديها[٣] من التّكرير عليها اذ[٤] كان قد اعذر اليها، فأرهم في عمرتهم حتّى حين. أيحسبون أنّما نمدّهم به من مالٍ وبنين. نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون[٥] ومابينهما درجاتٌ بعضها فوق بعضٍ، فاذا فارقت النّفوس مضاجعها ابصر كلّ منها بعين بصيرته ماكان قد اعدّله وهيّئ، فأبصر الاوّلون بها العزّة وجمالها، ولاحظوا جلال الحضرة القدسيّة وكمالها، وجوهٌ يومئذٍ ناضرة، الى ربّها ناظرة[٦] ووجوه يومئذٍ مسفرة، ضاحكة مستبشرة[٧] وشاهد الاخرون سلاسل الهيئات البدنيّة واغلال الملكات الرّديّة، وجوه يومئذٍ باسرة، تظنّ ان يفعل بها فاقرة[٨] ووجوه يومئذٍ عليها غبرة، ترهقها قترة[٩] ومابين الدّرجتين بحسابه.

فانظر الى هذه الالفاظ الخفيفة كيف انطوت على هذه الاسرار اللّطيفة.. ! واحسن بهذه العبارات الوجيزة كيف استلزمت هذه التّشبيهات العزيزة.. ! وكيف لاوقد قال فيه النّبيّ صلّى الله عليه وآله: اعطيت جوامع الكلم، واعطي عليّ جوامع العلم، ولمّا نزلت وتعيها اذن واعية[١٠] قال (ص): اللّهمّ اجعلها اذن عليٍّ؛ فقال (ع): والله مانسيت بعدها ابداً. وقال عليه السّلام: علّمني رسول الله (ص) من العلم الف بابٍ فانفتح لي من كلّ باب الف باب. وكان مصداق ذلك قوله صلّى الله عليه وآله: انا مدينة العلم وعليّ بابها، فليت شعري كم في الخزائن التي وراء تلك الابواب من الكنوز والذّخائر؟! وكم في بحورٍ اولئك غوّاصها من زواهر الجواهر؟! شعر:

اشتاقكم حتّى اذا نهض الهوى بي نحوكم قعدت بي الايّام[١١]

١- آية ١ و ٢ سورة التكاثر. ٢- ب: «وضع». ٣- ج: «مباديها». ٤- اب د: «اذا». ٥- آية ٤ و ٥٥ و ٥٦ سورة المؤمنين. ٦- آية ٢٢ و ٢٣ سورة القيامة. ٧- آية ٣٨ و ٣٩ سورة عبس. ٨- آية ٢٤ و ٢٥ سورة القيامة. ٩- آية ٤٠ و ٤١ سورة عبس. ١٠- ذيل آية ١٢ سورة الحاقة وصدرها: لنجعلها لكم تذكرة، وسابقتها: انا لما طغا الماء حملناكم في الجارية.

١١- لم اعرف قائل البيت الا ان في هامش نسخة الالف بيتين هكذا «تمامه:

وكانها مع قربكم مر الحيا وكأنها مع بعدكم اعوام

ولقدوقفت بربعكم اشكوالجوى فعليكم مني و منه سلام»

يقولون لو واصلتنا سكن الهوى بقلبك يا مجنون وانقطع الحزن
فها انا قد واصلتهم مثل قولهم وماهدأ الاشواق والقلب ماسكن

الكلمة الثالثة

قوله عليه السّلام : من عرف نفسه فقد عرف ربّه .

اقول: المعرفة بحسب عرف العلماء يخصّ التصوّر دون التصديق وان قلّ الفرق بينها وبين العلم في وضع اللغة ثمّ ما اسهل ماياتّى لك الاطّلاع على معنى هذه المتّصلة بعد احاطتك بالاصول السّابقة فانّك قد علمت انّ للنّفس الانسانيّة قوّتين عالمة وعاملة هما في مبدء الامر خاليتان عن الكمال، وعلمت انّ العاملة هي الّتي تكون لها بحسب حاجتها الى تدبير البدن وتكميله، وانّ العالمة هي الّتي تكون لها بحسب تأثّرها عن مباديها وحاجتها الى تكميل جوهرها عقلاً بالفعل[1]، ثمّ اطّلعت على مراتب استعدادات هذه القوّة **واذا عرفت ذلك فاعلم** انّ المراد حينئذٍ من اطّلع على نفسه فعرفها بكثرة عيوبها ونقصاناتها وفقرها الى كمالات خارجة عن ذاتها ليست لها من حيث هي هي بل يحتاج لها الى استعدادات مترتّبة حتّى يفاض عليها بحسب استحقاقها حالاً بعد حال ثمّ علم كيفيّة تنقّل قوّته العاقلة في المراتب المذكورة امّا بحسب ذوق العرفان او بحسب سوق[2] البرهان فقد استلزم ذلك معرفته لربّه بحسبها استلزاماً ضروريّاً لما انّ العلم بالمعلول مستلزم للعلم بعلّته الّا انّه ينبغي ان يعلم انّ معرفته بالكنه غير ممكنة الّا له اذ كانت حقيقته بريئةً عن جهات التّركيب العقليّة والخارجيّة المستلزمة للامكان المستلزم للفقر والنّقصان، ومعرفة الشّيء بكنهه انّما تحصل بالاطّلاع على اجزاء ماهيّته وابعاضها فالمطّلع عليه اذاً لوازم[3] سلبيّة او اضافيّة تلزم معقوليّته وواجبيّته لزوماً عقليّاً وعند ذلك المقام تزاحم

١- راجع ص١٧-١٤ . ٢- ج د: «شوق» (بالشين المعجمة) . ٣- ج د: «لورام» .

اقدام العقول وغايتها الغرق فى لجّة ذلك الوصول.

فان قلت : لم لم يقل عليه السّلام: من عرف ربّه عرف نفسه؛ ومعلوم انّ ترتيب هذه المتّصلة على هذا الوجه أو لى فانّ استلزام مقدّمها لتاليها يكون اقوى من استلزامه له ان لو كانت[1] على التّرتيب المذكور الآن لانّه استدلال ببرهان لمّ، ولاشكّ انّ برهان لمّ اقوى من برهان انّ؛ لما انّ العلم بالعلّة المعيّنة مستلزم للعلم بالمعلول المعيّن واما العلم بالمعلول المعيّن فلايدلّ الّا على العلّة المطلقة؛ امّا المعيّنة فلا، لجواز تعليل المعلول النّوعىّ بعلّتين فلايتعيّن الشّخصىّ[2] لاحديهما ؟

قلت : لاشكّ فيما ذكرته من انّ برهان لمّ اقوى والاستدلال به اولى الّا انّا نقول : انّ هذه الكلمة خرجت منه عليه السّلام مخرج التّأديب والحثّ على جماع مكارم الاخلاق واقتناء الفضائل ؛ وذلك انّ الانسان اذا عرف نفسه بكثرة عيوبها ونقصانها وحاجتها الى التّكميل كان ذلك داعياً له على اصلاح قوّتيه العمليّة والنّظريّة ثمّ انّه نبّه على وجوب معرفة النّفس بعد ذكرها بانّها اقرب قريب الى الانسان بحيث يحتاج فى معرفتها الى طلب زائد هى وسيلة الى الغاية المطلوبة للكلّ الواجبة على الاطلاق وهى معرفة الصّانع وهذا شأن المؤدّب الحاذق ان يعيّن مطلوبه اوّلاً لمن[3] يؤدّبه عليه ثمّ ينبّهه على حسنه و وجه وجوبه عليه وليس مقصوده الاوّل ههنا هو التّنبيه على وجوب معرفة الله ولو انّه قدّم معرفة الله تعالى لفات الغرض المذكور من الكلمة؛ ولما بقى ذلك الذّوق لها، ولما كان ذلك حثّاً للانسان على الاطّلاع على عيب نفسه ، وانت بعد محض هذه الكلمة فى سقاء ذهنك وارسال الرّائد الفكرىّ فى جميع مفهوماتها ستجمع لك زبدتها؛ والله ولىّ هدايتنا، وبه حولنا وقوّتنا، اللّهمّ اهّلنا لاستشراق نفحات عزّتك، وملّكنا ملكة الاتّصال بارباب حضرتك، وانشر لنا جناح الفرح[4] بمطالعة كبريائك، ولمحات جمالك وبهائك، انّك انت الوهّاب.

١- ب: «ان كانت». ٢- ب: «الشخص». ٣- ب ج: «سن». ٤- «الفرج» بالجيم.

الكلمة الرابعة

قوله عليه السّلام: ماهلك امرؤٌ عرف قدره[1].

اقول: الهلاك فی اللّغة هوالسّقوط، وهذه القضيّة سالبة كلّيّة تقديرها: لاواحد ممّن عرف ربّه بها لكيلا يهلك، ينتج: لاواحد ممّن عرف نفسه بهالكٌ، امّا الصّغرى فقد مرّ بيانها، وامّا الكبرى فبيانها انّه لمّا كانت السّعادة الابديّة والكمال المسعد[2] هوالاتّصال بالملأ الاعلى ومطالعة بهاء[3] الاسرار الالهيّة والمثول بين يدى الواجب الاوّل، وكان ذلك الكمال هوالمستلزم للسّلامة المطلوبة للخلق من الهوىّ فی قعرجهنّم وحافظاً لزلل اقدام السّالكين الواصلين من السّقوط عن الصّراط المستقيم الى حضيض الجحيم لاجرم صحّت كبرى هذا القياس وصحّت بصحّتها نتيجته، وهذا المطلوب وان حصل لغير هذا الصّنف اعنى اصحاب النّوع الانسانىّ فانّما يحصل لهم بحسب الباعث على الحركة المنبعثة فی تحصيل الحدّ الاوسط والتّفطّن للتّرتيب؛ وامّا حصوله لمثله عليه السّلام[فلا] فانّ قوّته النّشريفة البالغة غير مفتقرة فيه الى شوق باعث على الحركة فی تحصيل الاوسط بل تنساق قوّته القدسيّة اليه طبعاً فيحصل المطلوب طبعاً. شعر:

ذى المعالى فليعملوا ان من تعالى هكذا هكذا والّا فلا لا

الكلمة الخامسة

قوله عليه السّلام: رحم الله امرءً عرف قدره ولم يتعدّطوره.

اقول: قدرالانسان مقداره، وقيمته فی كلّ وقت من فضيلةٍ يكون عليها اورذيلةٍ اوشرفٍ او خسّةٍ، او كمال او نقصان، وطوره حالته القوليّة او الفعليّة الّتى ينبغى ان

١- هو مذكور فی نهج البلاغة هكذا: «هلك امرء لم يعرف قدره» (انظر ص ٦٠١ من شرح ابن ميثم من الطبعة الاولى). ٢- ج د: «العد» د: «السعد». ٣- فی النسخ: «بها».

يكون عليها عندكونه فى ذلك المقدار من الكمال او النّقصان، وتعدّاه تجاوزه الى حالة اخرى لايليق بمقداره ذلك، **واذا عرفت هذا** كان المقصود من هذه الكلمة استنزال الرّحمة بدعائه عليه‌السّلام لعبد اطّلع على مقداره فى مدّة حياته الدّنيا مراعياً لموافقة طوره وهوقوله او فعله و بالجملة الحال الّتى يليق بمقداره لمقداره بحيث لايتعدّاه الى حالة وطور يكون اليق بمقدار آخر غير مقداره، وذلك كان يكون مثلاً من اهل الدّناءة فيأخذ فى الكبر والفخر بالآباء وغير ذلك، اويكون شريف العقل عالماً فيعمل اعمال الملوك ويقتنى مقتنياتهم؛ فانّ ذلك فى الحقيقة جور وهوطرف الافراط من فضيلة العدالة وتجاوز منها اليه.

ويمكن ان تأوّل هذه الكلمة على وجه آخر

فنقول: انّ **قدر الانسان** مقداره ومبلغه الّذى ينبغى ان يصل اليه، وطوره حدّه الّذى ينبغى ان يقف عليه وتعدّاه تجاوزه، ثمّ المبلغ الّذى ينبغى ان يطلب هوما عرفت انّه الوسط الحقيقىّ من كلّ حركة ارادية خيريّة وهو الفضيلة النّفسانيّة الّتى تحدث عنه[1] متسالمة[2] القوى البدنيّة بعضها لبعض، واستسلامها للقوّة المميّزة حتّى لايتغالب ولا يتحرّك نحومطلوباتها على حدّ[3] طباعها وهى الفضيلة المسمّاة بالعدالة وقد عرفتها وعرفت انّها تحدث عن اجتماع الفضائل الثّلاث الّتى هى امّهات الفضائل، وهى الحكمة والعفّة والشّجاعة وقد عرفت حدودها وانواعها، **واذا عرفت ذلك فنقول**: مقصود هذه الكلمة انّما هو استنزال الرّحمة الالٰهيّة بدعائه عليه السّلام لعبد عرف هذه الفضيلة المستلزمة لحصول هذه الفضائل ثمّ وقف عندها فانّها طوره الّذى ينبغى ان يقف عنده و لم يتجاوزها الى طرف الافراط فيدخل فى زمرة الجائرين[4] الملعونين بلسان الله: الا لعنة الله على الظّالمين[5].

فان قلت: لو اراد ذلك لقال تماماً لذلك: ولم يقصر عن طوره؛ اذ كان تحقّق

١ـ ب: «عنها». ٢ـ فى النسخ: «مسالمة». ٣ـ ا: «جد» ج: «حده».

٤ـ د: «الجابرين» (بالباء الموحدة؛ من الجبر). ٥ـ ذيل آية ١٨ سورة هود.

تلك الفضيلة لايتمّ مع التّقصير عنها والوقوف دونها والدّخول في المهانة التّي هي طرف التّفريط من تلك الفضيلة ؟

قلت : انّه لاحاجة به عليه‌السّلام الى ذكر هذا القيد اذيكون تكريراً وقد تنزّهت الفاظه اصلا عن الوجازة المستلزمة للجزالة؛اذ المعنى الّذي اردت واليه قصدت مذكور في الكلام مدلول عليه بطريق الالتزام، وذلك انّ استنزال الرّحمة لمن يتجاوز هذه الفضيلة يستلزم النّهي عن تجاوزها ، والنّهي عن التّجاوز مستلزم للأمر بالوقوف عندها ، وهو مستلزم للأمر بطلبها وعدم الوقوف دونها فلاجرم ذكر عليه السّلام هذا القيد ولم يذكر ذلك ؛ والاوّل اظهر ، والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة السادسة

قوله عليه‌السّلام : قيمة كلّ امرءٍ مايحسنه[1].

اقول : القيمة يقال بحسب الحقيقة على مايقوم مقام الشّئ ويعوّض عنه وهو الثّمن ويقال بحسب المجاز على الامور الّتي تكتسبها النّفس الانسانيّة من الهيئات كالعلوم والاخلاق الفاضلة واضدادها ، و **وجه المجاز** انّ التّفاوت كما انّه حاصل في قيمة الشّئ بحسب تفاوت جوهر المثمن في الجودة والرّداءة والشّرف والخسّة ،وبحسب تفاوت انظار اهل التّقويم ورغبات الطّالبين كذلك هو حاصل فيما يحسنه الانسان ممّا هو مكتسب له من تلك الهيئات كالاعتقادات المختلفة ؛فمنها علوم موصلة الى السّعادة الابديّة ،ومنها اعتقادات

١- شرحها الشارح (ره) في شرحه على نهج البلاغة هكذا (ص ٥٩٠ من الطبعة الاولى) : « غرض هذه الكلمة الترغيب في اعلى مايكتسب من الكمالات النفسانية والصناعات ونحوها، وقيمة المرء بمقداره في اعتبار المعتبرين ومحله في نفوسهم من استحقاق تعظيم وتبجيل ، او احتقار وانتقاص ، وظاهر ان ذلك تابع لما يحسنه المرء ويكتسبه من الكمالات المذكورة، فأعلاهم قيمة وارفعهم منزلة في نفوس الناس اعظمهم كمالا ، وانقصهم درجة اخسهم فيما هو عليه من حرفة او صناعة ، وذلك بحسب اعتبار عقول الناس للكمالات ولوازمها » .

مخلّدة فى الشقاوة السّرمديّة،وما بينهما درجات،وكذلك الحال فى باقى الامور المكتسبة للإنسان والطبيعيّة له. ثمّ انّ ذلك التّفاوت دلّ على انّ الموصوف باحد هذه الصّفات كيف هومستلزم لتفاوت درجات الاستدلال على احواله فى ذاته وكمالها ونقصانها بحسب تفاوتها فى ذلك فلاجرم صدق عليه السّلام انّ «قيمة كلّ امرءٍ مايحسنه».

واعلم انّ فى هذا الكلام مع اشتماله على الوجازة والصّدق والبلاغة حثّاً على اكتساب اشرف انواع الثّمن المذكور من الكمالات النّظريّة والعمليّة واقتناء المكارم، وذلك انّ العاقل اذا سمع هذا اللّفظ واطّلع على سرّه مع ما فى نفسه من محبّة ان يكون اشرف ابناء نوعه فلابدّ وان يجتهد ويبالغ فى طلب اقصى المراتب الشّريفة فيكون ساعياً فى تحصيل القيمة الاوفى حتّى اذا حصلت دلّت على شرف ذاته وكمالها فى نفسها كما تدلّ القيمة على شرف ماهى قيمة له.

واعلم انّه يحتمل ههنا ان تفسّر القيمة باعتبار الخلق بعضهم لبعض ويكون التقدير انّ اعتبار النّاظرين ووزنهم للانسان فى نفسه بميزان العقل لا بالنّظر الى ذاته من حيث هى ذاته بل بالنّظر الى مايحسنه؛ فيكون اعتبارهم لذاته تابعاً لاعتبارهم الهيئات الّتى اكتسبها والاعمال الّتى ارتكبها، ويكون رجحان ذاتها وشفافيّتها وكمالها فى انظارهم ونقصانها وشرفها وخستها الّذى هوقيمته فى الحقيقة تابعاً لشرف احواله وافعاله وما يحسنه من الصّناعات الموجبة للتّكميل والتّنقيص. والاعتبار الاوّل اظهر؛ وبالله التّوفيق.

الكلمة السابعة

قوله عليه السّلام: النّاس ابناء مايحسنون.

اقول: معنى هذه الكلمة قريب من معنى الّتى قبلها وذلك لان[1] الابن كما يطلق حقيقةً على حيوان يتولّد عن آخر من نوعه نطفته من حيث هو كذلك وينسب اليه فيما يصدر عنه من الافعال ويشاهد منه من الاخلاق والاقوال وكثيراً ما تختلف تلك

١ـ ب ج د: «ان».

النّسبة بحسب اختلاف درجات افعال آبائهم في الخير والشرّ وتفاوت اخلاقهم في الشّرف والخسّة حتّى لو كان الاب رجلاً شريفاً أو وضيعاً ففعل الابن فعلاً مناسباً لفعل ابيه أو تكلّم بكلام مناسب لكلامه قيل: فلان ابن ابيه؛ كذلك يطلق مجازاً على من ينسب الى امرٍ شريف أو خسيس يكون عالماً به وعاقلاً له وذلك من باب الاستعارة والتّشبيه حتّى اذا تكرّر عنه ذلك الامر أو عرف منه فضيلة أو رذيلة نسب اليها وصار معروفاً بها كما كان يعرف بانّه ابن فلان وينسب[1] اليه **وفي هذا الكلام ايضاً ما في الاوّل من الحثّ على طلب اشرف الرّتب** واعلى الدّرجات الموصلة الى السّعادة الدّنياويّة والاخرويّة **وتنبيه** للعاقل على ما عسى ان يكون غافلاً عنه من انّه يجب ان لا يرضى بناقص الاعمال ودنيّها بل يواظب على طلب الاشرف من ذلك والاعلى حتّى لا ينتسب الّا اليه ولا ينتسب الى اب ساقطٍ وضيعٍ فيعلم حينئذٍ انّ الفخر السّنّي والكمال البهيّ والشّرف الاصيل والمنصب الجليل انّما هو بتخلية الذّات عن المنجّسات وتحليتها باشرف الصّفات لا بشرف القنيات[2] والنّسبة الى العظام الرّفاة؛ شعر:

وما الفخر بالعظم الرّميم وانّما ... فخار الّذي يبغي الفخار بنفسه

الكلمة الثامنة

قوله عليه السّلام: المرء مخبوءٌ تحت لسانه[3].

اقول: يقال: **خبأت الشيء اخبأه خبئاً** اذا سترته وحفظته عن النّظر، و **اللّسان**

١- ا: «نسب». ٢- ب: «القينات» (بتقديم الياء على النون) ج: «العنيات» (بالعين المهملة) د: «العينات» (بتقديم الياء على النون).

٢- شرحها الشارح (ره) في شرحه على نهج البلاغة بهذه العبارة (انظر ص ٦٠١ من الطبعة الاولى):

«اى حاله مستورة في عدم نطقه فحذف المضاف للعلم به، وتحت لسانه كناية عن سكوته وذلك ان مقداره بمقدار عقله، ومقدار عقله يعرف من مقدار كلامه لدلالته عليه، فاذا تكلم بكلام الحكماء ظهر كونه حكيماً، او بكلام السفهاء عرف كونه منهم، وما بين المرتبتين بالنسبة».

يطلق حقيقةً على اللّحمة المخصوصة الموجودة فى الفم ويقال مجازاً على نفس العبارة كما اشير اليه فى التّنزيل الالٰهىّ: واختلاف السنتكم والوانكم[1] والمعنيان محتملا الارادة وتقدير الخبر: معرفة المرء مخبوّ تحت لسانه لانّ نفس حقيقه المرء لايظهرها العبارة **واعلم** انّه لمّا كان الانسان ليس عبارة عن مجرّد هذا البدن المحسوس بل لابدّ فى تحقّق الانسان من امرٍ آخر كما علمت قبل وكان لاينفكّ ذلك الامر عن ان يكون موصوفاً بصفة كمال او صفة نقصان و كان ذلك الجزء منه ومايصحبه من الصّفات الكماليّة والنّقصانيّة مستوراً لايطّلع عليه[2] احدمن ابناء نوعه بشئ من الحواسّ، اذ كان غيرمحسوس بل لابدّ فى الاطّلاع عليه بحسب العقل من دليل يوضح تحقّقه لاجرم صدق عليه انّه مستورمخبوء.

ثمّ انّ العناية الالهيّة اقتضت ان يكون له قوّة نطقيّة معربة عن تلك الصّفات بحسب الالتزام كاشفة لستر الجهل بها عن بصائر المبصرين وضمائر المختبرين فلاجرم صدق انّ المرء مخبوء تحت لسانه، والمقصود من جهة «تحت» انّما هى الجهة الوهميّة لاالمكانيّة وانّما خصّصها بجهة «تحت» لانّ العبارة الّتى هى المقصود من وضع اللّسان لمّا كان سبباً يكشف لذلك السّتر ويظهر معرفة المرء من خباء الجهل به الى ظاهره بالانتقاش فى اذهان المختبرين و كان السّبب اعلى من المسبّب لاجرم كان المسبّب الّذى هو المعرفة تحت سببه الّذى هواللّسان المشار اليه.

وان حملنا اللّسان على حقيقته كان ايضاً حسناً فانّ هذه اللّحمة المخصوصة لها سببيّة فى تلك المعرفة واظهارها فانّها محلّ العبارة فهى سبب معدّها وباقى التّقرير بحاله، وهذه نكتة لطيفة فى باب الاستعارة وهى قطرة من بحراسرار كلامه عليه السّلام فانظر الى عناية الله كيف خصّته بهذه القوّة القدسيّة الشّريفة البالغة تقريراً وبياناً لقوله تعالى: يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً وماٰيذّكّر الّا اولوا الالباب[3].

١- من آية ٢٢ سورة الروم. ٢- ب ج: «عليها». ٣- آية ٢٦٩ سورة البقرة.

الكلمة التاسعة

قوله عليه السّلام: الشّرف بالعقل والادب لا بالحسب والنّسب.

اقول: الشّرف العلوّ في المرتبة، **وامّا العقل** فقد عرفت حقيقته واقسامه ومراتبه، **وامّا الادب** فهو اصلاح القوّة العمليّة بجماع مكارم الاخلاق، **وامّا الحسب** فهو الكفاية من المال ومايجرى مجراه وان كان قديراد به مايؤثر من المكارم ايضاً ولكنّه بهذا المعنى يكون من اجزاء الشّرف، **والنّسب** الأصل.

وامّا بيان هذا الحكم فهو انّك قد علمت انّ الكمال الّذى يخصّ الانسان على قسمين، وذلك لانّك علمت انّ لنفسه قوّتين؛ نظريّة وعمليّة فلذلك كان كمال احداهما وهى النّظريّة تحصيل المعارف الحقيقيّة والعلوم اليقينيّة وكان كمال الاخرى وهى العمليّة وغايتها نظم الامور وترتيبها فاذا حصل للانسان الكمال فى هاتين القوّتين فقد سعد السّعادة التّامّة، **امّا كماله النّظرىّ** فان يحصّل لنفسه المعقولات الاولى الّتى هى العلوم الاوّليّة المعدّة لتحصيل المعقولات الثّانية وينتهى فى التّرقّى الى درجة العقل المستفاد كما قرّرناه، **وامّا كماله بحسب قوّته العمليّة** فهو الكمال الخلقىّ ومبدؤه من ترتيب قواه وافعاله الخاصّة بها حتّى لاتتغالب[1] وتتسالم فيه بحسب تميز قوّته النّظريّة مترتّبة منظومة كما ينبغى وينتهى الى التّرتيب المدينىّ[2] الّذى يترتّب فيه الأفعال والقوى بين النّاس حتّى ينتظموا كذلك[3] الانتظام ويسعدوا سعادة مشتركة كما وقع ذلك فى الشّخص الواحد فاذاً الكمال الاوّل بمنزلة الجزء الصّورىّ والكمال الثّانى بمنزلة الجزء المادّىّ ولاتمام لاحدهما دون الآخر[4] فانّ بالعمل يتمّ العلم والمبدأ بلاتمام ضائع، والعلم مبدءٌ للعمل والتّمام بلامبدءٍ ممتنع، وفى كلام علىّ عليه السّلام: «العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل، والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والّا ارتحل» وهو يحقّق ماقلناه، فاذا بلغ الانسان الى النّهاية فى هاتين المرتبتين

١- اج د: «حتى تتغالب». ٢- ج د: «الدينى». ٣- ج د: «ذلك». ٤- ج د: «الا بالاخر».

فقد فاز الفوز التّام اذ[1] صار عالماً صغيراً فتصوّر حقائق الموجودات وتمثّلت فى ذاته ثمّ حصل على فضيلة العدالة بجميع اجزائها وانواع اجزائها فحصل على الوسط الحقيقىّ المعبّر عنه فى الرّموز الالٰهيّة بالصّراط المستقيم فلم يفته من النّعيم شىء اذا استعدّ بهذا الكمال لجوار ربّ العالمين **اذا عرفت ذلك فاعلم** انّه عليه‌السّلام عبّر بالعقل عن الكمال الاوّل و بالادب عن الكمال الثّانى ، **وينبغى ان يعلم**[2] انّه لافخر ولامباهاة الّا بهذه الفضائل فقط ، وامّا الفخر الوهمىّ كافتخار من يفتخر بما جمع من مال او بماسبق له من الاسلاف لانّهم كانوا على شىءٍ من انواع الفضائل او عليها كلّها فليس بفخرٍ ؛ امّا بالمال فلانّ الشّرف الحقيقىّ لايعتبر الّا بالكمال النّفسانىّ الباقى ابداً فالفخر والمباهاة ليس الّا به .

والمال ليس كذلك امّا اوّلاً فلانّه ليس بفضيلةٍ نفسانيّةٍ فلايكسب سعادة اخرويّة بل ربّما اكسب ضدّها واذا كان خارجاً عن نفس الانسان كان المباهى به مباهياً بأمرٍ خارجٍ عنه، ومن باهى بماهو خارج عنه فقد باهى بمالايملكه . **وامّا ثانياً** فلانّه غير باقٍ وكيف يبقى ماهو معرض للآفات والزّوال فى كلّ لحظةٍ وليس صاحبه منه على ثقةٍ فى وقتٍ من الاوقات، واذا كان كذلك فترى انّه ممّا لا[3] يستحقّ ان يباهى[4] به ويفخر واصدق الأمثال فيه قوله تعالى: واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لاحدهما جنّتين من اعنابٍ (الى قوله) فأصبح يقلّب كفّيه على ما انفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم اشرك بربّى احداً[5] وقوله: واضرب لهم مثل الحيوة الدّنيا كماءٍ أنزلناه من السّماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرّياح وكان الله على كلّ شىءٍ مقتدراً[6] وقد اشتمل القرآن والسّنّة النّبويّة لذلك[7] على امثلة كثيرة .

١ـ ا : «اذا» . ٢ـ ب د : «تعلم» . ٣ـ كلمة «لا» ليست فى اب . ٤ـ د : «لايباهى» فالكلمة فى موضع من نسخة «د» زائدة ومن نسختى «اب» ساقطة . ٥ـ اشارة الى سبعة آيات فى سورة الكهف (من آية ٣٢ـ٣٨) . ٦ـ آية ٤٥ من سورة الكهف . ٧ـ ج د : «كذلك» .

واما الفخر بالنسب فغاية مايدّعيه المفتخر المتشرّف به اذا كان صادقاً انّ آباءه واسلافه كانوا قد جمعوا الفضائل وحصلوا على الكمالات الّتى بها الفخر والشّرف لكن انظر اليه لو حضر اسلافه وقالوا: الفضل الّذى تدّعيه فينا هولنا دونك فنحن مستبدّون به فما الّذى فيك منه ممّا ليس فى غيرك ؟ فانّك تجده حينئذٍ مفحماً مسكتاً خجلاً غير حاصل على شيءٍ ؛ واليه الاشارة بقوله عليه السّلام: لاتأتونى بأنسابكم واتونى بأعمالكم.

وحكى عن مملوكٍ كان لبعض الحكماء انّه افتخر عليه بعض رؤساء زمانه فقال له المملوك: ان افتخرت علىّ بفرسك فالحسن والفراهة للفرس لالك ، وان افتخرت ببزّتك[1] وآلاتك[2] ، فالحسن لها دونك ، وان افتخرت بآبائك فالفضل كان لهم[3] دونك ، فاذا كانت المحاسن والفضائل كلّها خارجة عنك وانت منسلخ منها وقد رددناها على اهلها بل لم تخرج عنهم حتّى تردّ اليهم[4] فانت من !؟[5] **وحكى عن بعض الحكماء** انّه دخل على بعض الاغنياء وكان يحتشد فى الزّينة[6] ويفتخر بكثرة ماله وآلاته وحضرت الحكيم بصفة فتنخّع بها والتفت فى البيت يميناً وشمالاً فوجد البيت كلّه مزيّناً بالآلات المستحسنة فلم يجد لها موضعاً فبصق فى وجه صاحب البيت ؛ فلمّا عوتب على ذلك قال : نظرت الى البيت و جميع مافيه فلم اجد اقبح منه فبصقت عليه ؛ وهذا يكون استحقاق الخالين[7] من الفضائل النّفسيّة المفتخرين بالامور الخارجيّة الوهميّة ، شعر :

من كان مفتخراً بالمال والنّسب فانّما فخرنا بالعلم والادب

لاخير فى رجلٍ حرٍّ بلا ادبٍ لاخير فيه ولو يمشى على الذّهب

ولهذا السّرّ صدق عليه السّلام فى مقاله الصّادر عن كماله : الشّرف بالعقل والادب لابالحسب والنّسب .

١- ج : «بنزلك» د : «بمنزلك». ٢- ا : «وبالائك». ٣- اب: «فيهم». ٤- ب ج د: «عليهم». ٥- كذا فى النسخ : وكان القياس ان يقال: من انت؟ فكأنه كان اصطلاحاً خاصاً استعملانى مقام التحقير هكذا. ٦- ج د: «يحتشد فى الرتبة». ٧- ج د: «استخفاف الحالين»

الكلمة العاشرة

قوله عليه‌السّلام: لاتنظر الى من قال وانظر الى ماقال.

اقول: المراد بالنّظر ههنا الاعتبار العقليّ لاالنّظر بالبصر فانّه غير لائق ههنا وذلك انّه لمّا كان الفخر الابديّ والشّرف السّرمديّ انّما هو بالتّحلّى بالكمالات العقليّة والفضائل الخُلقيّه بعد التّخلّى عن ادناس اضدادها ونزع اطمار مقابلاتها، وكان مايعدّ فى العرف كمالاً ونقصاناً ويظنّ فى الظّاهر جمالاً وقباحةً[1] من حسن البزّة ونضارة الوجه وقبح منظرهما ومايعتبر من مشخّصات الشّخص اللّازمة له فى الوجود وما يصحبها من عزّ وذلّ، وفقر وغنىً، وشرف بيت وخسّة، ورفعة اصل ودناءة، وغير ذلك اموراً وهميّةً واحكاماً خياليّةً صير اليها من متابعة النّفس للقوّة الشّهويّة وغفلتها عن الكمال الحقيقيّ والنّقصان البائر، وكانت العناية الالٰهيّة قد اقتضت انّ[2] القوّة النّطقيّة معربة عمّا يحصل فى ضمير الانسان ومفهمة لما فى ذهنه ممّا لايطّلع عليه غيره من الكمالات والنّقصانات النّفسانيّة المدلول عليها بالالتزام من مخاطباته، والمستنبطة بالانتقالات الفكريّة من اقواله ومحاوراته؛ لاجرم حقّ لذوى العقول ان يلاحظوا بنواظر بصائرهم مايقول القائل حين يقول، فيستدلّوا[3] بنظم قوله وترتيب الفاظه واستلزامها للحكم النّفسيّة والآداب الخُلقيّة على كمال عقله؛ وبضدّ ذلك على نقصان عقله، ويكون ذلك سبباً لفهم مقداره وادراك وزنه، وانّه هل هو فى حيّز الملائكة المقرّبين، اوفى مرابض البهائم، او بين ذلك، ولاينظروا الى من قال اى الى الشّخص من حيث انّه ذلك الشّخص والى الامور المشخّصة له والكمالات المزيّنة لذلك الشّخص الّتى انّما تعدّ كمالاً فى بادى الرّأى فاذا اعتبرت حقيقتها كانت وبالاً، والمنهىّ عنه ههنا هو النّظر الأوّل اليها

١- ج د: «قباحاً» وهو بالضم مصدر بمعنى القباحة. ٢- «ان» ليست فى ب ج د، وكان الاولى ان تكون العبارة هكذا «ان تكون». ٣- ا ج د: «ويستدلوا».

الحاكم بكونها من الكمالات التي ينبغي ان تقتنى فانه يجب على العاقل ان لاينظر[١] الى الشخص من حيث انه موصوف بتلك الكمالات الوهمية ولايعتبره ويلتفت[٢] اليه[٣] من هذه الجهة، وكذلك لايعتبره من حيث انه ذوفقرٍ ومسكنةٍ او في اطمارٍ ورثاثة حالٍ او انه ليس من الاصول الشريفة والآباء المعرقة[٤] فيرفضه لذلك ويستنقصه فان المرء بأصغريه؛ قلبه ولسانه، ولايغرنك جُلٌّ تحته دبر[٥] فان مايعد في الظاهر كمالاً لو كان هو الكمال الحقيقي لكان الاحق به والاولى سيد المرسلين والكامل من عباد الله ولما منح البعداء عن واهب الكل من ذلك الكمال مثقال خردلةٍ، والتاليان باطلان فالمقدم كذلك امّا الملازمة فلان العناية الالهية جلت عن وضع الأشياء الا في مواضعها، واما التاليان فظاهر البطلان بل يعتبره[٦] من اقواله المستلزمة لنقصانه او كماله فيحكم عليه بأحدهما بعد الاختبار فيكبره ويكرمه او يحتقره ويهينه عن سهام بصيرة خرقت استار غيبه ولمحت اسرار لبه، والله تعالى هو الموفق.

الكلمة الحادية عشر

قوله عليه السلام: اذا تم العقل نقص الكلام[٧].

اقول: سر هذه الكلمة ظاهر مما سبق وذلك ان النفس كلما ازدادت علواً في

١- ا: «ان ينظر». ٢- ب: «يلفت». ٣- في النسخ: «عليه». ٤- من قولهم: اعرق فلان اى صار عريقاً في الكرم. ٥- ا: «وبر» ب «دبره» وفي كتب اللغة: «دبر البعير كفرح فهو دبر اى صار ذادبرة وهي بالتحريك قرحة الدابة والبعير ومنه المثل المعروف: هان على الاسلس مالاقى الدبر، والانثى دبرة ودبراء». ٦- ج: «تعتبره» (بصيغة الخطاب) وكذا في الافعال الاتية. ٧- نقل السيد الرضي(ره) هذه الكلمة في نهج البلاغة في باب الكلم القصار وشرحها ابن ميثم (ره) ضمن شرحه لذلك الكتاب هكذا (ص ٥٨٨ من الطبعة الاولى): «تمام العقل يستلزم كمال قوته على ضبط القوى البدنية وتصريفها ـ

مراتب الكمال كـان ضبطها للقوّة المتخيّلة اشدّ فكان الكلام الصّادر عنهـا اقلّ وجوداً اذلايصدر عنها حينئذٍ كلمة الّا عن تروٍّ وتثبّتٍ ومراجعةٍ لعقلها فى كيفيّة وضع تلك الكلمة واستلاحة ماتؤول اليه ومايلزم عنها من المفهومات وتمييزاحتمالاتها وحركةالفكر[1] فى استحضار السّبب الموجب للكلام حتّى تصير الكلمة الخارجة مهذّبـة مميّزة محكمة متقنة لايكون منهـا حذر ولايلحق بسببهـا ضرر، واذا كانت كلمة تامّة العقل موقوفة الوجود على هذه الشّروط الكثيرة والاسباب البعيدة فلابدّ وان تكون اقلّيّة الوجود وتزداد اقلّيّة وجودها بحسب زيـادة درجات العقل الى ان يصير السّكوت فى موضعه والكلام فى موضعه ملكةً وخلقاً للعاقل،وهذا بخلاف ناقص مراتب العقل فانّه كلّما كان عقله انقص كان خروج الكلام منه اكثرواقبح،وذلك لقلّة ضبطالقوّة العاقلة للمتخيّلة وعدم مراجعة العقل العمليّ للقوّة النّظريّة فى استنباط الآراء الصّالحة والاقوال المصلحيّة وذلك لنقصان درك القوّة النّظريّة وبالجملـة لأقلّيّة الشّروط الموجبة لقلّة الكلام، والعلّة كلّما كانت ابسط كان صدور المعلول عنها اقرب واسرع، وبالله التّوفيق.

الكلمة الثانية عشر

قولـه عليـه السّلام: لاداء أعيا من الجهل.

اقول : الدّاء المرض والاعيا[2] الّذى لادواء له كأنّ الاطبّاء عيوا عن دوائه، **والجهل** قد يرادبه عدم العلم عمّا من شأنه ان يعلم كالانسان، وقد يرادبه الاعتقاد الجازم الغير المطابق الحاصل من شبهة[3] الدّليل، والمعنى الاوّل عدميّ ويقـابل العلم تقـابل العدم

← بمقتضى الاراء المحمودة الصالحة و وزن مايبرز الى الوجود الخارجى عنها من الاقوال والافعال بميزان الاعتبار، وفى ذلك من الكلفة والشرائط مايستلزم نقصان الكلام بخلاف مالا يوزن ولايعتبر من الاقوال.»

١- ب : « خ ل : الفعل ». ٢- : اب : «العياء» . ٣ - ج د : « شبه».

والملكة ويسمّى جهلاً بسيطاً والثّانی وجودیّ ويقابل العلم نقابل التّضادّ ويسمّى جهلاً مركّباً، واطلاق لفظ الجهل بحسب الاشتراك اللّفظیّ، واعلم انّ الدّاء قد يكون بدنيّاً وقد يكون نفسانيّاً وعلى الحالين فقد يكون ذاعياءٍ وقدلايكون؛ ثمّ النّفس وان كانت ذات ادواءٍ كثيرةٍ غير انّ اشدّها عياءً واقواها سببيّةً للبعد عن الرّحمة الالٰهيّة هوداء الجهل المركّب خصوصاً ما كان منه مضادّاً للعلم بالصّانع تعالى وصفاته فانّه لايرجى له صلاح ولايتوقّع لصاحبه[1] فلاح ، وهوالمنبع[2] لاكثرالامراض النّفسانيّة وذلك انّك لمّا[3] عرفت انّ الكمال الدّائم والسّعادة التّامّة للنّفس انّما هوبحصول العلم بمباديها وتصوّر الحضرة الالٰهيّة كما هی بحسب الامكان فاعرف انّ النّقصان اللّازم والشّقاوة الثّابتة انّما هی بحصول الاعتقادات المضادّة لذلك اليقين وتمكّنها من جوهر النّفس لعدم امكان اجتماعهما ، وامّا الجهل البسيط فيمكن علاجه اذا كان غيرمنافٍ للعلم الّذی هو سبب السّعادة وكذلك سائرالامراض النّفسانيّة بعدان تكون للنّفس المسكة[4] التّامّة بمباديها العالية فانّ اكثرها تكون امّا حالات غيرمتمكنّة من جوهر النّفس او هيئات مستفادة من الامزجة فتزول بزوالها ، وامّاسائرالأمراض البدنيّة فانّه وان كان فيها مالايمكن علاجه لكن تفاوت مابين الموتين[5] بتفاوت مابين المريضين[6] وتفاوت مابين المريضين[7] بتفاوت مابين الغايتين من صحّتها وعافيتها ، وعرفت انّ غاية عافية النّفس هوتحصيل الكمال الباقی وغاية صحّة البدن فی الغالب كمالٌ فانٍ فانّ بصحّته للنّفس كمالاً مايكون باقياً[و] كان ذلك مشروطاً بصحّتها عن داء الجهل حتّى لوكان متمكّناً من جوهرها لكان كلّ سعی بدنیّ عليها وبالاً ونقصاناً وخيبةً وخسراناً ولو كان اشكل مرضٍ بدنیٍّ حاصلاً[8] مع صحّة النّفس عن ذلك المرض لما ضرّها ذلك فی معادها اذلاتخلو مع ذلك من استفادة كمالٍ ما ، والوصول الى سعادة تليق بها لو فقدت[9] بسبب ذلك المرض علماً وكمالاً ما

١- ا: «لعلاجه». ٢- فی النسخ : «المنع». ٣- ب : «اذا». ٤- ج د : «الملكة». ٥- ج : «الوجهين» د : «المرتبتين». ٦ و٧- ج د : «المرضين» فی كلاالموردين. ٨- كذا. ٩- ب «فقد».

فقد تحقّق انّ داء الجهل أعيا كلّ داء ، ولمّا كان الدّاء من حيث هو غير ملائم للطّبع وكان الدّاء الّذى هو الجهل أعيا الادواء واعسرها برءً واكثرها مضرّة على الانسان كان فى هذه الكلمة تنبيه له على انّه يجب عليه ان يجتهد فى حسم اسباب هذا الدّاء فى الابتداء قبل استحكامه وتمكّنه من جوهر نفسه ويبالغ فى ان لايعرض له فانّ الصّحّة قبل المرض انفع منها بعده ، و طريق ذلك الحسم ان يلازم الاعمال الجميلة الّتى توجب كمال النّفس من اوّل زمانه ويتخيّر لنفسه افضل الاطبّاء بحسب اجتهاده فان لم يفعل واستعرض شيئاً من تلك الاسباب قبل تمكّن الدّاء الّذى تلك اسبابه وتنبّه لطلب العلاج فليرُض نفسه بلجام الصّبر وليلفتها بمقود النّدم وليجرّها بالتّمرين والتّعويد الى ان ينقّى لوح نفسه من مقدّمات ذلك المرض ثمّ ليغذّها[1] بالعلوم اليقينيّة وملازمة الأعمال الجميلة فانّها سترجع الى الصّحة التّامّة اللّذيذة والسّعادة الدّائمة ويكون فى غاية الغبطة والسّرور ابداً فقد صدق بحر العلم والفضائل : لاداء أعيا من الجهل.

الكلمة الثالثة عشر

قوله عليه السّلام : لامرض أضنى من قلّة العقل.

وفى نسخة : اخفى من قلّة العقل.

اقول : الضّنى مخامرة المرض كلّما ظنّ المريض انّه برأ انتكس[2] **وامّا العقل** فقد عرفته وهو مقول بحسب الاشتراك اللّفظىّ على القوّة الّتى بها يكون التّمييز بين الامور الحسنة والقبيحة والسّعى فى مصالح البدن وتدبير المعاش وهى المسمّاة عقلاً عمليّاً ، وعلى القوّة الّتى بها يكون تكميل جوهر النّفس [وهى المسمّاة] عقلاً بالفعل ، وعلى درجات استعداد هذه القوّة لتباين حدودها وحقائقها وقد اومأنا الى ذلك غير مرّة **واذا عرفت ذلك فنقول : قد تطلق**

١- ب : «ليعدها» ا : «ليبعدها» .

٢- ب ج : «ينكس» وفى اللغة : «انتكس المريض عادته العلة بعد النقة».

قلّة العقل على النّقصان الحاصل من جميع هذه المراتب لكنّ المقصود الظّاهر والنّقصان الباثر[1] المذموم بحسب العرف هوالنّقصان فى العقل بالملكة اعنى الاستعداد الّذى يكون لدرك المعقولات وفى العقل العمليّ اعنى الاستعداد للتّميز بين الامورالحسنة والقبيحة، وان كان قد يكون النّقصان ههنا تابعاً للنّقصان الاوّل وهذا التّخصيص بحسب المفهوم من هذه الكلمة والّا فقد تطلق قلّة العقل ايضاًعلى عادم الغريزة وعلى العقل الهيولانيّ، والسّبب فى ذلك هو اختلال امرالقوى النّفسانيّة؛ امّا لضعف الارواح الحاملة لها وقلّة كمّيّتها او لسوء تركّبها وامتزاجها وخروجه عن الاعتدال الّذى تتمكّن النّفس من تصريف القوى معه فيكون سبب عدم تمكّن النّفس من تصريف تلك القوى فيما يصلحها فيكون بسببه قصور استعدادها لقصور آلتها، وقديكون السّبب فى قلّة تدبير امرالمعاش واصلاح الدّنيا ونقصان الاستعداد لذلك هوالتفات النّفس فى غالب احوالها الى الوجهة الحقيقيّة واصلاح امر المعاد وقطع العلائق الجسمانيّة فيسمّى صاحبها فى العرف ابله ومغفّلاً اى سليم الصّدر قليل الاهتمام بشأن الدّنيا غافل عن طلبها قليل العقل لكيفيّة اكتسابها وهم الّذين قال صلّى الله عليه وآله فيهم : أكثر اهل الجنّة البله ؛ لكنّ هذا المعنى غير مراد ههنا لانّ المرض ليس بمضنٍ فضلاً ان يكون اضنى من غيره **اذا عرفت ذلك فنقول: امّا اطلاقه** عليه السّلام المرض على النّقصان المذكورمن استعداد النّفس **فاطلاق مجازيّ** لانّ المرض من الكيفيّات المختصّة ببدن الحيوان **ووجه المناسبة** انّ الكيفيّة المسمّاة بالمرض لمّا كانت مانعةً من السّعى فى مصالح البدن ومايتعلّق به وكان نقصان استعداد النّفس فى المراتب المذكورة مانعاً لها من قبول تمام الفيض الالٰهيّ الّذى من شرطه تمام الاستعدادات لاجرم اطلق عليه السّلام لفظ المرض عليه؛ وهى استعارة حسنة وانتقال لطيف لايصدر مثله الّا عن مثل ذلك الذّهن الصّافى المتوقّد. **وامّا البات المطلوب من هذه الكلمة** وهو انّه لامرض اضنى من هذا المرض فيستدعى اوّلاً بيان انّ الضّنى من

١- ب ج : «الباتر» د: «الباطن» وفى هامشه: «الباتر».

يطلق على هذا المرض واطلاقه ايضاً مجازيّ و ذلك انّ الضنى من عوارض الأمراض البدنيّة وقد بيّنّا وجه التّجوّز بلفظ المرض فكذلك يطلق لفظ عارض المرض البدنيّ على عارض هذا المرض لمكان المشابهة ، **و بيانها** انّ المرض البدنيّ كما يشتدّ و يخامر البدن حتّى كلّما ظنّ المريض انّه برأ نكس [1] فكذلك للمذكور [2] في درجات الاستعداد[3] مرض قد يشتدّ ويخامر نفساً قام بها حتّى كلّما ظنّت انّه قد كمل عقلها وتمّ استعدادها فهي منتكسة[4] في ذلك المرض ناقصة العيار عند صحّة الاعتبار.

واما انّه اضنى من سائر الامراض فلانّ خوف المرض وقوّة ضرره تابع لشرف الجزء المريض وخطره وكلّما كان المرض اقرب الى جزءٍ شريف كان خوفه اكثر وخطره اكبر وكان اشدّ واضنى من غيره وعرفت انّ النّفس هي الجزء الاشرف من الانسان بل هي تمام الانسان وانّ صحّتها و كمالها هو المطلوب الاصليّ من خلقها والسّبب الغائيّ من وجودها فاعرف انّ مرضها اشدّ مرضٍ واضناه ونقصانها ارذل نقصان وارداه، وتجد كلّ مرض بالنّسبة اليه صحّةً وكلّ الم بالقياس الى المه راحةً.

واما على الرّواية الثّانية :

وهو انّه اخفى الامراض فلاشكّ فيه وخصوصاً بالقياس الى من لحقه وتعلّق به فانّ نقصان صاحب هذا المرض به هو الموجب لاعتقاده انّه كامل فكلّ من كان استعداده للفضل انقص كان اعتقاده الوهميّ لكماله اقوى وازيد، شعر:

كدعواك[5] كلّ يدّعي صحّة العقل ومن ذاالّذي يدري بما فيه من جهل؟!

وكلّ من كان استعداده للفضل ازيد كان اعترافه بالعجز عن الوصول اتمّ؛ والسّبب في ذلك محبّة النّفس للكمال من حيث هو وغفلة نفس الاوّل عن نقصانها فيعتقد انّ الكمال لها لازم، واطّلاع الثّاني على عيب نفسه وحاجتها الى التّكميل من نقصانها ومعرفتها

١- من قولهم : « نكس المريض مجهولا = عاوده المرض كأنه قلب الى المرض» .

٢- ا: «فلذلك المذكور» (باللام بعد الفاء). ٣- ج : «الاستعدادات». ٤- ا : «متنسكة» ب ج د : «منكسة» . ٥- ا: البيت مطلع قصيدة للمتنبي (انظر طبعة صادر ص ٤٤١) .

بقدرما هي محتاجة اليه من الكمال وشرفه وعزّته ، ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتناوهب لنا من لدنك رحمةً انّك انت الوهّاب[1].

الكلمة الرابعة عشر

قوله عليه‌السّلام : نعمة الجاهل كروضةٍ في مزبلةٍ.

اقول : النّعمة في الأصل هي المال وقد كثر استعماله حتّى قيل في كلّ كمال يلحق الانسان انّه نعمة امّا بحسب الاشتراك اللّفظيّ او المعنويّ، **والرّوضة** مستنقع الماء ومنبت الخضر، **والمزبلة** موضع الزّبل ومرماه، **والمقصود** الذّاتيّ من هذه الكلمة بيان انّ الجاهل وان حصل على النّعمة[2] الدّنياويّة بأجمعها فهي غيرلائقة به وهوغيرصالح لان يكون محلّاً لها ومع ذلك فلابدّ ان تزول عنه **و تقريرذلك** انّ النّعمة قد تكون نعمة باقية وهي الكمال النّفسانيّ،وقد تكون نعمة فانية وهي الكمال البدنيّ؛وعلى التّقديرين فقد تحصلان معاً للإنسان الواحد وقديخلو منهما وقد يحصل له احداهما دون الاخرى والاوّل آخذٌ بطرفي السّعادتين ؛ هذا عطاؤنا فامنن اوأمسك بغيرحساب ،وانّ له عندنا لزلفى وحسن مآب[3]، والثّاني حاصل على خسران الصّفقتين ؛ خسر الدّنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين[4]، والثّالث ان حصل على النّعمة الباقية فهو في عيشةٍ راضيةٍ في جنّةٍ عالية[5]، وان اشتمل على النّعمة الفانية فقط فامّه هاوية[6]، الّذي جمع مالاً وعدّده ، يحسب انّ ماله أخلده ، كلّالينبذنّ في الحطمة[7]، والاشارة في هذه الكلمة الى صاحب هذه النّعمة.

وامّا تشبيهه عليه‌السّلام لهذه النّعمة بالرّوضة الكائنة في المزبلة **فبيانه من وجهين:**

١ـ آية ٨ سورة آل عمران. ٢ـ ا : « وان حصل له النعمة». ٣ـ آية ٣٩ و ٤٠ سورة ص. ٤ـ ذيل آية ١١ سورة الحج وصدرها: «ومن الناس من يعبدالله على حرفٍ فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه». ٥ ـ آية ٢١ و ٢٢ سورة الحاقة. ٦ـ آية ٩ سورة القارعة. ٧ ـ آية ٢ و ٣ و ٤ سورة الهمزة.

احدهماـ انّ المزبلة لايبقى الماء فيها بل عن قليلٍ تكون يبساً لانداوة فيها فكذلك الجاهل تكون نعمته معرضة[١] للزّوال فهى ان لم تزل فى حياته فلابدّ من زوالها بموته.

الثّانىـ انّ المزبلة لمّا كانت محلّ النّجاسة كانت غيرلائقةٍ لاستنقاع الماء المنتفع به فيها فكذلك الجاهل ذوالمال لمّا كان غيرواضع للأشياء مواضعها من حيث انّه جاهل وغير مصرّف لذلك المال كما ينبغى وفى الوجه الّذى ينبغى لعدم العلم بالوجوه والمصارف لاجرم كان غيرلائق لان يكون محلاً لها اذا كان غير منتفع بها بوجهٍ.

ويحتمل وجهاً آخر

وذلك انّ العادة فى الرّوضة ان تعشب وتخضرّ بسبب استنقاع الماء فيها فربّما تبقى هذه الاعشاب وتلك الخضرة زماناً لجودة الأرض وحفظها للنّداوة ونما وزاد ماينتفع به الحيوان فاذا كانت الرّوضة فى مزبلةٍ لم تكن لائقة للانتفاع بخضرتها فى مسرّة وابتهاج وغير ذلك ولم يكن للحيوان عليها اعتماد فى مرعىً فكذلك حال الانسان مع النّعمة الحاضرة ان كان عالماً بمصارفها واضعاً لها فى مواضعها كان كروضة فى ارض حرّة[٢] ينتفع هو بها [فيدّخر] فى الدّنيا والآخرة حمداً[٣] جميلاً وثواباً جزيلاً وينتفع غيره بنضارة خضرتها ونداوة[٤] عشبتها[٥]، وان كان جاهلاً غيرواضع لها فى مواضعها كان كالرّوضة فى مزبلة غيرمنتفع بها، وهذه الوجود محتملة لبيان هذا المثل؛ وتلك الأمثال نضربها للنّاس لعلّهم يتفكّرون[٦].

الكلمة الخامسة عشر

قوله عليه السّلام: اغنى الغنى العقل.

اقول: الغنى قد يطلق ويراد به عدم الحاجة، وقد يطلق ويراد به حصول الامور

١ـ كذا فى جميع النسخ. ٢ـ ب: «حر». ٣ـ ا: «حميداً». ٤ـ ب ج: «لذاذة». ٥ـ ب ج: «عشبها». ٦ـ ذيل آية ٢١ سورة الحشر.

المحتاج اليها ويقابله الفقر بمعنيين ، وعلى التقديرين فانه مقول بحسب التشكيك على جزئياته اذ منه ماهو اشد ومنه ما هواضعف ، **واما العقل** فقد عرفت اقسامه ومراتبه وحقائق تلك المراتب؛ واذا كان كذلك **فنقول: المراد** من الكلمة بيان ان اشد درجات الغنى العقل ، **والمراد بالغنى** حصول الامور المحتاج اليها ههنا ؛ فان اعظم الامور المحتاج اليها واشرفها درجة في حصول الكمال بها هو العقل اذ كان سبب السعادتين وبه تنال المقاصد الكلية وبه تحصل الكمالات الحقيقية دون مايحتاج اليه من مال وغيره ، **ويمكن ان يفسر الغنى** أيضاً ههنا بعدم الحاجة الا انا نحتاج[1] الى زيادة اضمار اذ الاستعداد المسمى عقلاً ليس بعدم الحاجة بل مستلزم لعدم الحاجة الى حصوله بعد حصوله فيصير التقدير : اقوى درجات الغنى لازم عن حصول العقل؛ الا انه جعل المحمول ههنا نفس العقل لما[2] ان حمل الملزوم مستلزم لحمل اللازم واعلم : انا لانعنى ان بمجرد حصول العقل يحصل الغنى المطلق بل يحتاج الى قيد آخر به يحصل ثمرة العقل المطلوبة من افاضته بالعناية الازلية وهو ان يعنى باصلاح القوى البدنية و تطويعها للقوة العاقلة و تصريفها بحسب اوامرها ونواهيها فانك ان لم تفعل ذلك لم تخلص لذوقك حلاوة ثمرة عقلك من شوب مرارات ثمرات طاعات تلك القوى ، ولم تصف لك بها لذة عن كدورات لحقت من متابعة الهوى ، والله ولي توفيقنا ؛ واياه نستعين على قهر الشياطين ، وهو حسبنا[3].

الكلمة السادسة عشر

قوله عليه السلام : احمق الحمق الفقر[4].

اقول : الحمق نقصان العقل ويقال بحسب التشكيك على درجات النقصان فان

١- ا : «الا ان يحتاج» فلعله : «الا انه يحتاج». ٢- ب ج : «كما». ٣- ج: «وهو حسبنا ونعم الوكيل». ٤- يقرب منه قوله (ع) الاخر : «واكبر الفقر الحمق» وهو مما نقله الشريف الرضي (ره) في نهج البلاغة وشرحه ابن ميثم (ره) ضمن ماشرحه لمن اراده فلينظر شرح نهج البلاغة (ص ٥٨٠ من الطبعة الاولى).

منها ماهو اشدّ؛ومنها ماهواضعف ، والفقر يطلق ويرادبه الحاجة الى المال؛ ويطلق ويرادبه الحاجة الى الفضائل النّفسانيّة؛ والاستعداد الّذى به يكون ادراك الامورالكلّيّة الاوّليّة ومافوقه من الدّرجات وان كانت الحاجة اعمّ من ذلك ، وقديراد به عدم المحتاج اليه فى الوجهين ، **واعلم انّ** تقدير القضيّة على هذا الوجه : اشدّ درجات العقل نقصاناً هو الفقر فموضوع القضيّة قولنا: اشدّ درجات العقل نقصاناً،ومحمولها :الفقر ، والمراد بالفقر ههنا الحاجة الى الفضائل والاستعداد المذكور ، وحينئذٍ يلوح لك صدق هذه القضيّة فانّ اشدّ درجات نقصان العقل عدم الاستعداد المذكور المستلزم للخلوّ عن الفضائل النّفسانيّة ، **وقد يحمل الفقر ههنا على المعنى** وهو الحاجة الى المال او عدمه الّا انّ ذلك المعنى لايحمل على اشدّ درجات نقصان العقل بانّه هو؛ فانّ الحاجة ليس نفس نقصان العقل بل يحتاج الى اضمارشيءٍ آخرفى ايضاح هذه القضيّة حتّى يصير التّقدير: اشدّ درجات نقصان العقل لازم عن الفقر الّا انّه لمّا كان حمل الملزوم يستلزم حمل اللّازم اكتفى فى الكلام مراعاةللوجازة بحمل الملزوم. **وامّاعلّة هذا الحكم** فلانّ العقلاء اتّفقوا على انّ المال مهذّب لصاحبه وموجب لزيادة العقل ومنشّط[1] لاكتساب الملكات الفاضلة عند استعماله فى الوجوه الّتى ينبغى ولذلك قالت الحكماء: انّ المال انّما جعل زيادة فى القوّة[2] والرّأى وضربوا لذلك الامثال كالمثل المشهور فى كتاب كليلة ودمنة فى الباب الثّالث منه على لسان الجرذ الّذى زعموا انّه كان فى بيت النّاسك[3] واذا كان كذلك علمت انّ الحاجة الى المال المسمّى فقراً عند تحقّقه فى محلٍّ يستلزم خلوّ ذلك المحلّ عن تلك الكمالات النّفسانيّة مع مايلزم الفقر من حيث هو فقر من عدم مقاومة النّفس للهوى وانقيادها لقبائح اللّذّات ومن ارتكاب الرّذائل الرّديّة كالحسد والمهانة وانقهار[4] النّفس وانفعالها فيما يطلب منها ممّا يوجب السّقوط فى مواقع[5] التّهم والدّخول فيما لاينبغى المستلزم كلّ ذلك نقصان العقل ورداءته، وحينئذٍ يتّضح المعنى على هذا التّقدير الّا انّ فى هذا

١ـ ا د : «ينشط» . ٢ـ ا : «للقوة» . ٣ـ انظر باب الحمامة المطوقة .
٤ـ ا : «انتهار» . ٥ ـ فى النسخ : «وسواقع» .

الوجه تعسّفاً ما، ومع ذلك فانّ لقائل ان يقول: انّ الفقر بالمعنى المذكور وان اوجب نقصاناً للعقل الّا انّه لايكون اشدّ نقصان، **ويمكن ان يقال**: انّ الاشدّيّة ههنا اضافيّة اى انّ الدّرجة من النّقصان الّتى يوجبها الفقر اشدّ بالنّسبة الى ماهو اضعف منها، وفيه مافيه من التّكلّف.

الكلمة السابعة عشر

قوله عليه السلام: افقر الفقر الحمق[1].

اقول: قد عرفت انّ الفقر يطلق على الحاجة المذكورة الى طرفى المال والفضيلة النّفسانيّة وعلى عدم الامور المحتاج اليها اطلاقاً فى كلّ معنى من هذه الثّلاثة على جزئيّاته بحسب التّشكيك فانّ درجات الفقر متفاوتة بالشّدّة والضّعف، **واذا عرفت ذلك فنقول**: المقصود من هذه الكلمة الحكم بانّ اشدّ درجات الفقر هو نقصان العقل وعلّة هذا الحكم انّه لمّا كان بين درجة الفقر الّتى هى الحاجة الى المال والّتى هى الحاجة الى الفضائل النّفسانيّة من التّفاوت بالشّدّة والضّعف مايكاد يوجب الحكم بانّه لانسبة بينهما ولااشتراك فلاجرم صحّ حمل الحمق على اشدّ الفقر حملاً بانّه هو؛ اذ الحمق فى الحقيقة اشدّ فقر بفرض كما علمت، وهاتان الكلمتان آخذتان بمجامع الحسن لفظاً ومعنىً فانظر ايّها الاخ الى هذا الامام الفاضل سلام الله عليه كيف جمع فى هاتين الكلمتين بين الوجازة والجزالة؛ شعر:

وهل فيه عيب لمن عابه ؟! سوى انّه رجل فاضل

---

١ ـ اشرنا فى ذيل الكلمة السابقة الى ما فى نهج البلاغة مما يقرب من ذلك فان شئت فراجع شرح نهج البلاغة للشارح (ره) ص ٥٨٠ من الطبعة الاولى.

الكلمة الثامنة عشر

قوله عليه السلام : الحكمة ضالّة المؤمن[١].

اقول : قد عرفت اقسام الحكمة وحقائقها، **والضّالّة** ماضاع من البهيمة للذّكر والانثى، **والايمان** فى اللّغة التّصديق؛ وفى عرف الشّريعة عبارة عن التّصديق بكلّ ما علم مجيء الرّسول به ضرورةً وهومذهب المحقّقين من المتكلّمين كأبى الحسن الأشعرىّ واتباعه، [والمؤمن من اتّصف بصفة التّصديق][٢] ويقابله الكافر لمن لم يتحقّق[٣] فيه هذه الكلّ وعليه رأى ابى حنيفة، وعند جمهور المعتزلة والسّلف الصّالحين رضى الله عنهم انّه اسم للمطيع. ولمّا كانت الطّاعة عندهم[٤] لايتحقّق الّا باجزاءٍ ثلاثة، التّصديق بالقلب لما جاء به الرّسول، والاقرار باللّسان، والعمل بالاركان؛ كان الايمان ايضاً كذلك فالمؤمن لايستحقّ اطلاق هذا الاسم عندهم الّا اذا تحقّقت فيه هذه الأجزاء الثّلاثة فهى اجزاء ماهيّة الايمان ويقابله الفاسق لمن اخلّ بشيءٍ من هذه الأجزاء اذ يمتنعون من تسمية التّارك لاحدها مؤمناً لعدم ماهيّة الايمان منه، ويخصّون اسم الكافر بتارك الكلّ او[٥] الجاحد ظاهراً[٦] وان عمل لانّ العمل مترتّب على التّصديق وعليه الامام الشّافعىّ رضى الله عنه[٧] من الفقهاء **واذا عرفت ذلك فاعلم** انّه عليه السّلام حكم بانّها ضالّة المؤمن **وشبّهها بالضّالّة من وجهين :**

احدهما ـ انّ من شأن الضّالّة انّ صاحبها ينشدها ويطلبها ويجتهد فيها بالجعل وغيره

١ـ نقلها الشريف الرضى (ره) فى نهج البلاغة وقال الشارح ابن ميثم (ره) فى شرحها (ص ٥٩٠ من الطبعة الاولى) : « استعار لفظ الضالة للحكمة بالنسبة الى المؤمن باعتبار انها مطلوبه الذى يبحث عنه وينشده كما ينشد الضالة صاحبها». ٢ـ كأن مثل العبارة سقطت من هنا بقرينة ذكر الكافر بعده بعنوان المقابلة ولعله « والمؤمن من تحققت فيه هذه الصفة ».
٣ـ ب : «يتحقق فيه». ٤ـ ب : «عنهم». ٥ـ ج د: «و». ٦ـ ب ج: «ظاهر».
٧ـ كلمة الترضى فى ب فقط.

فكذلك طالب الحكمة يجتهد في طلبها بحسب البرهان ويبالغ في التفتيش عن كيفية المسالك في طلبها ويلتمس معرفتها من أفواه الاستاذين من العلماء وأهل المعارف كما يلتمس صاحب الضالة ضالته من أفواه المنشدين والعارفين بها وبمظانها فلاجرم كانت ضالة بالنسبة اليه .

الثاني- انه لما كان من شأن الضالة ان لاتنفك عن أحد وجهين؛ اما ان يجدها طالبها ويفوز بمقاصده وخاصة ان كان متقرباً بطلبها الى من هو أعلى منه متوقعاً على وجدانها الحباء[1] والمنحة ، واما ان لايجدها فيبقى في الاسف والخوف والحرمان فكذلك الحكمة لما كان من شأنها انه اما ان يجدها طالبها اوليس ؛ فان وجدها فقد فاز بالمقاصد الكلية وحصل على الاغراض الباقية ؛ وان لم يجدها وهو متقرب بها الى نيل رضا الله تعالى ومستعد بها لقبول نعمه الباقية في جواره المقدس فقد حصل على الخيبة وضياع السعي وحرمان ما الحكمة الى نيله وسيلة فكانت بالحقيقة ضالة واي ضالة.

واما تحصيص المؤمن بها فلان غير المؤمن اما غير المصدق واما العاصي ؛ اما غير المصدق فتكذيبه ينافي طلبه لان الجزء الاشرف من الحكمة هو معرفة الصانع والمكذب بوجوده كيف يطلب معرفته؟! وكذلك عصيان العاصي حال عصيانه[2] منافٍ لطلبه وهو ظاهر ، فهذا هو المفهوم من هذه الكلمة ؛ والله تعالى يجعل خاتمة سعينا في طلبها وجداناً لها ، ويرشدنا على منشدها ، ويدلنا على معرفتها والعارفين[3] بها عن صدقٍ ، والمطلعين على اسرارها بيقينٍ وهو[4] الموفق.

الكلمة التاسعة عشر

قوله عليه السلام : المرء عدو ماجهله[5]

اقول : العداوة بغض صادق يهتم معه بجمع[6] الاسباب الموذية للمبغوض وعجة فعل

١- الحباء بالكسر بمعنى العطاء بالفتح . ٢- «عصيانه» ليس في نسخة ١ .

٣ - «معرفتها العارفين» . ٤- ا: «والله» .

٥- وفي معناه ما نقله الشريف الرضي (ره) في الباب الثالث من نهج البلاغة بهذه العبارة: ـ

الشّرّ الّذى يمكن فعله به ، **وامّا الجهل** فقد عرفت اقسامه و حقائقها **والمقصود اثبات العداوة للجاهل مع مايجهله** بالمعنيين المذكورين للجهل وبيانه هو انّ القوّة الوهميّة غير مدركة للامور المعقولة بل انّما تدرك المحسوسات وتوافق الحسّ وتتبعه فى احكامه من[1] المحسوسات حقّه[2] و يصدّقها العقل فيها ولمطابقتها العقل كانت الهندسيّات وما يجرى مجراها سديدة الوضوح لايكاد يقع فيها اختلاف فى الآراء اذ[3] لايعارض العقل فى شىء منها **وامّا المعقولات الصّرفة فهى** منكرة لها ومكذّبة بها لقصورها عن ادراكها ، ولذلك كانت احكامها فيها كاذبة يكذّبها العقل فيها كحكمها بانّ كلّ موجود فلابدّ وان[4] يكون فى جهة لما[5] انّ كلّ محسوس كذلك فكذّب العقل ذلك بما انّ بعض الموجودات ليس كذلك كالبارى تعالى[6] **فاذا**[7] **عرفت** انّ هذه القوّة لاحظّ لها فى ادراك المعقولات الصّرفة وانّها منكرة لها وماثلة بمقتضى طبعها وفطرتها الى الامور المحسوسة **فنقول : انّ الجاهل بالشّىء ان كان جهله به بسيطاً** كان السّبب فى بغضه له ومقابلته بالانكار قصور قوّته العاقلة عن ادراكه ومطاوعتها للقوّة الوهميّة الّتى هى بمقتضى جبلّتها منكرة له وغير قابلة للتّصديق به الّا فى صورة محسوس[8] ، **وان كان مركّباً** كان السّبب فى ذلك البغض والنّفار هو مساعدة القوّة

← «الناس اعداء ماجهلوا» وقال شارح هذا الكتاب الحاضر فى شرح العبارة فى شرح نهج البلاغة ما نصه (ص ٦٠٢ من الطبعة الاولى):

« الجهل بالشىء مستلزم لعدم تصور منفعة العلم به فيحصل الجاهل من ذلك على اعتقاد انه لافائدة فى تعلمه فيستلزم ذلك مجانبته له ثم يتأكد تلك المجانبة والبعد بكون العلم اشرف فضيلة يفخر بها اهله على الجهال ويكون لهم بها الحكم عليهم وانتقاصهم وحطهم عن درجة الاعتبار مع اعتقاد الجهال لكما لهم ايضاً لذلك فيشتد لذلك مجانبتهم للعلم واهله وعداوتهم لهذه الفضيلة» .

٦ - ب ج : «بجميع» .

---

١ - ب ج د : «فى» . ٢ — كذا فى جميع النسخ . ٣ - ا : « و » .

٤ - ج د : « فلابد ان » . ٥ - ا : «كما» . ٦ - ب ج : « عز اسمه » .

٧ - ب ج : « و اذا » . ٨ - ج د : « محسوسة » .

العاقلة للقوّة الوهميّة على الانكار لقصورها عن الاطّلاع على ذلك الامر مع زيادة اقوى وهى تكيّف النّفس بالاعتقاد الثّابت الجازم المضادّ لحصول ذلك المعقول ولذلك كانت عداوة من تلبّس بظاهر الشّريعة ممّن يدّعى التّفقّه والزّهد وليس به للمحقّقين واصحاب الانظار الدّقيقة وجمع العلوم الجليلة اشدّ واقوى من عداوة العوامّ والخالين من العقائد المضادّة للعلم حتّى ربّما أطلقوا الفتيا باباحة دمائهم وأوهموا الملوك بالا باطيل الصّادرة عن عقائدهم الفاسدة الّتى ربّما كان اكثرها متأكّداً بالحسد فى الرّتب الحاصلة عن ذلك العلم والكمال انّهم كفّار يضلّون الخلق ويفسدون فى الارض بغير الحقّ، وهؤلاء لا يرجى صلاحهم ولا ينتظر فلاحهم. **واما الاوّلون** فهم وان عادوا ما جهلوه وأبغضوا ما لم يتصوّروه فانّهم ربّما انقادوا بالتّعويد والممارسة وجذب المؤدّب الحاذق بلطافته الى سبيل الخير اذ[1] كان فطام النّفس عن رضاع لبان الوهم وان كان صعباً لكنّه ممكن بحسب التّدريج والتّعويد فقد لاح لك سرّ قوله عليه السّلام: المرء عدوّ ما جهله.

الكلمة العشرون

قوله عليه السّلام: قلب الاحمق فى فيه ولسان العاقل وراء قلبه[2].

اقول: قد سبق انّ **المراد بالقلب** فى عرف اهل العرفان النّفس ثمّ ليس المقصود

١ـ ا: «اذا».

٢ـ فى الباب الثالث من نهج البلاغة وهو باب الكلم القصار (انظر شرح ابن ميثم (ره) شارح هذه الكلمات على ذلك الكتاب ص ٥٨٥ من الطبعة الاولى).

«وقال عليه السلام: لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الاحمق وراء لسانه، قال السيد (ره): وهذا من المعانى العجيبة الشريفة والمراد به ان العاقل لا يطلق لسانه الا بعد مشاورة الروية و مؤامرة الفكرة، والاحمق يسبق هذات لسانه و فلتات كلامه على مراجعة لكره و ساحطة رايه فكان لسان العاقل تابع لقلبه وكأن قلب الاحمق تابع للسانه. ←

ههنا انّ القلب نفسه فى الفم فاذاً هو ما يقوم بالنّفس من التّصوّرات وجودها[1] فى الفم عبارة عن ظهورها فى العبارة اللّسانيّة الخارجه من الفم، وكذلك ليس المقصود من لسان العاقل هو هذه اللّحمة المخصوصة فانّا لو قلنا: انّ المراد بالقلب ايضاً اللّحمة المخصوصة لم يكن اللّسان وراء لها بل المقصود العبارة اذ يطلق عليها انّها لسان ايضاً كما يقال: اللّسان الفارسىّ مخالف للعربىّ، واليه الاشارة بقوله تعالى: واختلاف ألسنتكم والوانكم[2] وليس المقصود هو هذا التّشكل اللّحمىّ، ثمّ ليس المقصود من الوراء ايضاً الجهة الحسّيّة فانّ النّفس لا جهة لها حتّى يتعيّن لها وراء؛ بل الجهة العقليّة، ولا من النّفس ايضاً ذاتها بل تصوّراتها الصّادرة عن الافكار الصّادقة؛ وحينئذٍ يصير تقدير الكلمة هكذا: الأسرار القائمة بنفس الاحمق وما ينبغى منه ان لا يظهره موجود فى فمه اى فى عبارته اللّسانية، **و امّا العاقل فعبارته بما**[3] يتكلّم به **تابعٌ لتصوّراته** العقليّة الصّادرة عن الافكار الصّادقة.

وامّا السّبب فى تكلّم الاحمق بالجزاف وبما لا ينبغى هو امّا عدم الفكر فى استنباط الواجب فيما يجب ان يفعل من الامور الانسانيّة اورداءة تلك الافكار لقصور استعداد

← **وروى عنه هذا الكلام بلفظ آخر و هو:**
قلب الاحمق فى فيه ولسان العاقل فى قلبه.

واقول: انه استعار لفظ الوراء فى الموضعين لما يعقل من تأخر لفظ العاقل عن رويته و من تأخر روية الاحمق وفكره فيما يقول عن بوادر مقاله من غير مراجعة لعقله **والمعنى ما اشار اليه السيد(ره) وعلى الرواية الاخرى** فأراد أن ما يتصوره الاحمق هو فى فيه اى يبرز على لسانه من غير فكر واما نطق العاقل فمخزون فى عقله لا يخرج الا عن روية صادقة، ولفظ القلب فى الاول مجاز فيما يبرز من تصوراته فى الفاظه ولفظ اللسان مجاز فى الفاظه الذهنية».

١- ج: «ووجودها».

٢- من آية ٢٢ سورة الروم و تمامها: «ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين».

٣- ا: «لما» ج د: «مما».

النّفس عن التّرتيب الصّحيح فهي لقصورها غير مطّلعة على قصورها بل معتقدة للكمال ومع ذلك فاذا لم يتوقّف تحريكها وفعلها على فكرٍ ولا تروٍّ كان كلّ ما يتصوّره مبذولاً مذاعاً[1] سواء كان ممّا يجوز ابداؤه اولا يجوز . **وامّا العاقل** فلمّا كانت افعاله واستنباطه للواجب موقوفاً على الافكار الصّحيحة والنّظر والتّروّي لاجرم كانت اقواله المعبّر عنها بلسانه تابعةً لافكارعقله فكان لسانه وراء قلبه ؛ والله الموفّق للصّواب .

الكلمة الحادية والعشرون

قوله عليه السّلام: ظنّ العاقل كهانة .

اقول : الظّن هوالاعتقاد باحد النّقيضين فان كان مطابقاً للمعتقد كان ظنّاً صادقاً وان لم يطابقه كان كاذباً ، وصدق هذا الاعتقاد وكذبه تابعان لصحّة ترتيب الأمارات و فسادها وصدقها وكذبها ؛ فانّ ترتيب الأمارات الصّادقة ترتيباً صحيحاً على القانون الّذى يجب رعايته فى صحّة القياس استلزم ذلك التّرتيب افاضة الظّنّ الصّادق على الذّهن وان اختلّ قيدٌ من تلك القيود لم يحصل اولم يحصل مطابقته للمعتقدوهوقابل للشّدّة والضّعف وتنتهى مراتبه فى القوّة الى الجزم وفى الضّعف الى الشّكّ ، ويستعان فى طلب قوّته بكثرة الأمارات وجمعها والنّظر فيها ، وقد يحصل هذا الاعتقاد عن كثرة التّخيّلات بسبب اليبس العارض لمزاج الرّوح الحامل للقوّة المتخيّلة فتخفّ حركتها بسبب ذلك و يقلّ ضبط النّفس لها لفساد آلتها ولكنّه يكون ظنّاً كاذباً ولا عبرة به.

وامّا الكهانة فهى ضرب من الاطّلاع على الامور الغيبيّة وقد علمت كيفيّة السّبب فى الاطّلاع عليها غيرانّ الآثار الصّادرة عن الكاهن ضعيفة قليلة بحسب ضعف استعداده وقلّته ولذلك لاتتمكّن فى الغالب من الاخبار بشيءٍ من غير سؤالٍ بل يحتاج الى سؤال باعثٍ له على التّلقّى والاعداد لنفسه بالحركة وغيرها ممّا يدهش الحسّ ويحيّر الخيال كما حكيناه عند بيان السّبب فعندما يعتنى الوهم ويتوكّل بذلك التّطلب فكثيراً ما يعرض

---

١ - ا : « مبدداً لامراعى ».

للكاهن اتّصال ويكون لمح الغيب؛ تارةً بضرب من الظّن القوىّ، وأخرى بجنّىّ خطّاف[1] اوهاتف لا يرى[2].

واذ قد بان لك انّ الكهانة ضرب من تلقّى المغيبات

فنقول: انّ ظنّ العاقل فى اغلب احواله يكون بحسب نظره فى الأمارات الصّادقة الكثيرة فتتعوّد نفسه بالاستعداد بذلك لسرعة الانتقال من المبادئ الى المطالب، وقد يكون العاقل ذا قوّةٍ قدسيّةٍ فيكون استعداده اتمّ واقوى فيكاد يخطئ، اولا يكون ظنّه مطابقاً؛

١ـ اشارة الى قوله تعالى: «الا من خطف الخطفة» الاية (سورة الصافات؛ آية ١٠).

٢ـ اعلم ان للشارح (ره) كلاماً نفيساً فى بيان معنى الكاهن و الساحر ذكره فى شرح نهج البلاغة فى شرح قول امير المومنين (ع): «فانها تدعو الى الكهانة» فمن اراده فليراجع الكتاب (ص ١٩٥-١٩٤ من الطبعة الاولى).

فليعلم ايضاً ان الشارح (ره) يشير بما قال هنا الى ما ذكره ابن سينا فى اشارة من اشارات اواخر الشفاء فلا بأس بذكر كلامه وهو قوله:

«**اشارة** ـ انه قد يستعين بعض الطبائع بالفعال يعرض منها للحس حيرة وللخيال وقفة فتستعد القوة المتلقية للغيب تلقياً صالحاً و قد وجه الوهم الى غرض يعينه فيتخصص بذلك قوله مثل ما يؤثر عن قوم من الاتراك انهم اذا نزعوا الى كاهنهم فى تقدمة معرفة فزع هوالى شد حشيث جداً فلا يزال يلهث فيه حتى يكاد يغشى عليه ثم ينطق بما يخيل اليه والمستمعة يضبطون ما ينطق له ضبطاً حتى نبهوا عليه تدبيراً ومثل ما يستنطق فى هذا المعنى بتأمل شيء شفاف سرعش للبصر بزجرجته او مدهش اياه بشفيفه، ومثل ما يشغل بتأمل لطخ من سواد براق، وباشياء تترقرق وباشياء تمور فان جميع ذلك ما يشغل الحس بضرب من التحير، و ما يحرك الخيال تحريكاً سحيراً كأنه اجبار لاطبع، وفى حيرتهما احتيال فرصة الخلسة المذكورة، و اكثر ما يؤثر هذا ففى طباع من هو بطباعه الى الدهش اقرب وبقبول الاحاديث المختلطة اجدر كما لبله من الصبيان، وربما اعان على ذلك الاسهاب فى كلام المختلط لمسيس الحس وكل ما فيه تحير وتدهيش فاذا اشتد توكل الوهم بذلك الطلب لم يلبث ان يعرض ذلك الاتصال فتارة يكون لمحان الغيب ضرباً من ظن قوى، وتارة يكون شبيهاً بخطاب من جنى اوهتاف من غائب، وتارة يكون مع تراء من شيء للبصر بكالحة حتى يشاهد صورة الغيب مشاهدة».

كما انّ الكاهن يكاد ان لايكون تلقّيه للامور الغيبيّة صادقاً، ويختلف ذلك بحسب اختلاف الاستعدادات في الظنّ والكاهن فأطلق عليه السّلام لفظ الكهانة على ظنّ العاقل تجوّزاً حسناً للمشاركة في انّ كلّ واحدٍ منهما يتلقّى بقوّة استعداده الافاضة وان اختلفت اسباب ذلك الاستعداد، والمقصود بيان شرف ظنّ العاقل بتشبيهه بالكهانة، وتسمّى العرب مثل هذا الظنّ ألمعيّاً؛ قال الشاعر[1]:

الألمعيّ الذي يظنّ بك الظنّ ـــــــ كأن قد رأى وقد سمعا

والله ولىّ التوفيق.

الكلمة الثانية والعشرون

قوله عليه السّلام: من نظر اعتبر.

اقول: هذه شرطيّة متّصلة قد اثبت عليه السّلام فيها انّ الاعتبار لازم للنّظر ولنبيّن حقيقة النّظر والاعتبار **فنقول: النّظر والفكر** عبارة عن حركة النّفس بالقوّة الفكريّة

---

١ ـ يريد بالشاعر الاوس بن حجر فان البيت من قصيدة له يرثى بها فضالة بن كعب ابن كلدة؛ اولها:

ايتها النفس أجملى جزعا ان الذى تحذرين قد وقعا

(الى ان قال)

ان الذى جمع السماحة ـــــ والنجدة و البر والتقى جمعا
الا لمعى الذى يظن بك ـــــ الظن كأن تدر أى وقد سمعا

(الى ان قال)

اودى فلا تنفع الاشاحة من اسر لمن قد يحاول البدعا

والبيت مما استشهد به في المختصر و المطول لاثبات ان « الذى يظن بك » الى آخره وصف كاشف عن معنى الا لمعى فان معنى الا لمعى ما يستفاد من الوصف المذكور.

متوجّهة بها من المطالب متردّدة فى المعانى الحاضرة عندها طالبة مبادىء تلك المطالب الموصلة اليها حتّى يظفر بالحدّ الاوسط منها ويضعه[1] مع طر فى المطلوب احد الاوضاع المخصوصة الّتى يستلزم المطلوب فيرجع منها اليه وان كان قد يطلق على غير هذا المعنى ،واما الاعتبار فهو مأخوذ من العبور وهو المجاوزة والتعدّى من شيء الى شيء، ولمّا كان السّالك بالنّظر متجاوزاً بقدم فكره المبادىء الى المطالب لاجرم كان معتبراً **واذا عرفت ذلك لاح لك حينئذٍ وجه الملازمة بين النّظر والاعتبار** وانّ من نظر النّظر التّام بشروطه الصّحيحة فلابدّ وان[2] يعتبر.

فان قلت :المراد من الاعتبار ليس هو العبور بل الاتّعاظ والازجار بدليل قوله تعالى: وانّ لكم فى الانعام لعبرة[3] وقوله تعالى: انّ فى ذلك لعبرة لاولى الابصار[4]؟

قلت : لانسلّم بل الاعتبار حقيقة فيما ذكرنا بدليل انّه يقال : اعتبر فاتّعظ فتعليل[5] الاتّعاظ بالاعتبار والنّاظر فى كيفيّة خلقة الانعام و فى خلق السّماوات والارض عارٌ بحركته الفكريّة فى ترتيب دليل من خلقها على وجود الصّانع وحكمته الى ذلك المطلوب الّا انّ الاتّعاظ لمّا كان من لوازم ذلك العبور حتّى اذا تقرّرت فى النّفس حقائق الاشياء وما يجب ان يقتنى فتطلبه وما ينبغى ان يترك فتجتنبه ممّا هو ضارّ لها فى امر معادها فحينئذٍ تنزجر عن متابعة هواها فيما يوجب لها العذاب الاليم و ذلك معنى اتّعاظها؛ والى ذلك اشير فى التّنزيل الالهىّ: انّما يخشى الله من عباده العلماء[6] الّذين لمحوا بلواحظ افكارهم عواقب الامور ونتائج المقدّمات فلازموا خشية الله تعالى وانزجروا عن متابعة الهوى لاجرم اطلق فى موضع آخر لفظ العبرة والاعتبار على الاتّعاظ مجازاً من باب اطلاق اسم الملزوم

---

١ - ا : « تضعه » . ٢-ج :«فلابدان » .

٣ - صدر آيتين وهما ٦٦ سورة النحل و ٢١ سورة المؤمنين .

٤- ذيل آيتين ؛ ١٣ سورة آل عمران و ٤٤ سورة النور .

٥- ا ب د « لتعلل » . ٦- من (وسط) آية ٢٨ سورة الفاطر.

على لازمه وصار هذا المجاز لحسنه متداولاً كثيراً ما يعتبر به عن الاتّعاظ لظهور معنى الاتّعاظ فربّما التبس على من لم يفرق بين المعنيين انّه حقيقة في الاتّعاظ دون غيره والتّحقيق هو ما ذكرناه .

وفي هذه الكلمة تنبيه على وجوب النّظر اذ[1] كان لايحصل الاعتبار المؤدّي الى نيل المطالب العليّة والسّعادة الابديّة المستلزم للانزجار عن النّواهي المردية والاتّعاظ[2] عن المطارح الشّقيّة، ومالايتمّ الواجب الذّاتيّ الّا به كان اولى بوجوب الوجود ، والله الموفّق للصّواب.

---

١ - ب : « اذا ». ٢ - يشبه في بعض النسخ : «الايقاظ».

الفصل الثانى

فى المباحث المتعلّقة بالاخلاق الرّضيّة والرّديّة والآداب المتعلّقة بها؛ وفيه اثنتان وثلاثون كلمة.

الكلمة الاولى

قوله عليه السّلام: من عذب لسانه كثر اخوانه.

اقول: العذب الماء الطّيّب الخالص من الشّوب ويقال بحسب المجاز على كلّ لذيذ خالص من شائبة اذىً، والمراد من اللّسان ههنا الكلام كما سبقت الاشارة اليه لانّ جرم اللّسان لاينسب اليه الطّيب والعذوبة، والاخوان الاصدقاء والاعوان، والمقصود الصّريح انّ من لانت كلمته للخلق وتمرّن لسانه بالملاطفة الحسنة لهم بطيب الكلام والاستجابة منهم وتواضع لهم فانّ طباعهم تميل اليه وتشتاق الى مصاحبته ومخالطته فيكون ذلك سبباً لكثرتهم وهذه القضيّة من المجرّبات من انواع القضايا الواجب قبولها، و امّا علّة تلك الميول الطّبيعيّة فاعلم انّ الشّهوات والنّفرات الطبيعيّة للحيوان تكون بحسب تصوّر الوهم او[1] العقل للامور الموذية الضّارّة او[2] المريحة النّافعة فان تصوّر الحيوان انّ كذا موذٍ له فانّه ينبعث بسبب ذلك التّصوّر شوق طالب لدفع ذلك الضّارّ امّا بالمقاومة اوالهرب، وان تصوّر انّ ذلك نافع اولذيذ فانّه ينبعث عن ذلك الادراك شوق طالب لادراك الملائمة من ذلك النّافع اللّذيذ وقد اعلمناك ذلك كلّه وبيّنّا كيفيّة تحريك القوى وبعث بعضها لبعض على اختلاف طبقاتها، واذا عرفت ذلك فاعلم انّ التّودّد بالملاطفة الحسنة بطيب الكلام

---

١ - ب ج: «و». ٢ - ب ج: «و».

وحلاوته ولينه قديكون طبيعيّاً في الانسان وقديكون تكليفيّاً [١] وعلى التّقديرين فانّ ادراك الخلق له من صاحبه داعٍ لهم الى محبتّه والميل اليه باعث لشوقهم الطّالب لادراك الملائمة فيما [٢] يتوهّم فيه او يعقل من الامور النّافعة او [٣] اللّذيذة فتنبعث [٤] ارادتهم على السّعي في مصالحه [٥] وطلب اخوّته و مصادقته، وفي هذه الكلمة تنبيه على تحصيل هذا المعنى فانّه سبب عظيم من الاسباب الدّاعية الى الالفة المستلزمة للمحبّة في الله الّتي هي مطلوبة من من الشّريعة بوضع كثير من السّنن و بها تكون السّعادة الدّنياويّة والاخرويّة فانّ امر المعاش لايتمّ الّا بمعاونة اودّاء واخوان واعوان ناصحين و ذلك امر ظاهر، وكذلك التّودّد سبب للالفة، والالفة سبب للمحبّة، و المحبّة سبب لاجتماع القلوب و الابدان، وهما سببان لاستنزال الرّحمة بالدّعوات و انزال البركات كما يبيّن فيما بعد ان شاء الله تعالى، وبالجملة فكلمة الانبياء متطابقة على الامر بتحصيل المودّة بهذه الطّريق قال عليه السّلام: من لانت كلمته وجبت محبتّه، و التّنزيل الالٰهيّ ناطق به: وقولوا للنّاس حسناً [٦]، و في حقّ الوالدين: وقل لهما قولاً كريماً [٧] وقل لهم قولاً ميسوراً [٨] وفي كلمات عليّ (ع): التّودّد نصف العقل، واشرف انواع التّودّد ما كان عن عذوبة الكلام، والاستشهاد في ذلك كثير والله الموفّق.

الكلمة الثانية

قوله عليه السّلام: من لان عوده كثفت أغصانه [٩].

اقول: العود يطلق حقيقةً على ساق الشّجر وبحسب المجاز على ما يشابهه في امرٍ

---

١ - ب: «تكلفاً» ج: «تكلفياً» د: «تكليفاً». ٢ - ج د: «مما». ٣ - ب ج: «و».
٤ - ج د: «فتلتفت». ٥ - كذا ولعله: «مصاحبته». ٦ - من آية ٨٣ سورة البقرة.
٧ - ذيل آية ٢٣ سورة الاسراء. ٨ - ذيل آية ٢٨ سورة الاسراء و صدرها: «واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها». ٩ - قال الشارح (ره) في شرح نهج البلاغة في شرح تلك الفقرة مانصه (انظر ص ٦٠٧ من الطبعة اولى):
«استعار لفظ العود للطبيعة وكنى بلينه عن التواضع، وكذلك استعار لفظ الاغصان

ما، وقد أطلقه عليه السّلام ههنا على الانسان ، وكذلك **اللّين** يقال بحسب الحقيقة على ماقبل الانغماز حسّاً ؛ فعبّر به عن التّواضع وكرم الاخلاق وطيبها ، **والكثافة** تقال على كثرة الاجزاء الحسّيّة فعبّر بها ههنا عن شدّة الشّوكة وكثرة الاخوان والاعوان، **وهذه القضيّة متّصلة ايضاً يحتاج فى تحقيقها الى بيان وجوه التّجوّزات المذكورة ثمّ الى بيان الملازمة بين تاليها ومقدّمها؛ امّا الاوّل** فامّا بالعود عن[1] الانسان فلانّ التّجوّز يكفى فيه أدنى ملابسة وههنا وجوه من المشاركة فى القوّة النّباتيّة والنّامية وقوّة التّغذية وفى النّموّ باستقامة وغيرها، والمشاركة فى [بعض[2]] هذه الامور توجب المشابهة فضلاً عن كلّها فكان ذلك التّجوّز اطلاقاً حسناً لاحد الانواع على نوع آخر للمشابهة بينهما وهو استعارة حسنة. **وامّا باللّين عن التّواضع وطيب الاخلاق** فلانّ اللين كما انّه اذا حصل فى الجسم دلّ على وجود الرّطوبة الّتى تقبل معها الانغماز من الغامز كذلك التّواضع وطيب الاخلاق اذا حصل فى الشّخص دلّ على رطوبة سرّه ولينه بالاستعداد للرّحمة الالهيّة وقبوله للانغماز بانفعال طباعه و استجابته لمصادقة الاصدقاء ، واكرام الخلطاء ، وتأهّله لفيض العناية الالٰهيّة بالرّغبة فى تحصيل شريف الصّفات وجميل الاحدوثات ، وتصوّر[3] اللّذّة والمنفعة فى تحصيل الاخوان وتقوية الشّوكة بهم، **وامّا بالكثافة عن ازدحام الاخوان** فظاهر فانّه لامعنى للكثافة الّا تراكم الاجزاء و ازدحامها وهو ظاهر ههنا، و[4] هذا بيان التّجوّز فى المفردات.

امّا بيانه فى الملازمة والتّركيب فلانّه كما انّ الشّجرة انّما تكثف وتعظم وتكثر أغصانه وتلتفّ بكثرة الاوراق عن الرّطوبة الحاصلة المنمية[5] المستعدّة للانبات كذلك

← للاعوان والاتباع وكنى بكثافتها عن اجتماعهم عليه وكثرته و قوته بهم ، والمراد ان من كانت له فضيلة التواضع ولين الجانب كثرت اعوانه واتباعه و قوى باجتماعهم عليه ».

١ـ ا : « على ». ٢ ـ ما بين القوسين زدناها تصحيحاً للعبارة. ٣ ـ ج : « بصور اللذة ». ٤ ـ ب ج: ليست الواو فيهما. ٥ ـ اج د : « المتمنة » ب : «الممتنة » فالتصحيح نظرى.

الانسان يشرّف وتشتدّ شوكته وتكثر اخوانه واعوانه وأحبّاؤه ؛ الصّادر كلّ ذلك عن تواضعه ولين جانبه وكرم اخلاقه وطيبها في حقّهم المعبّر عنه في الكلمة بلين العود حتّى يتّصلوا[1] به اتّصال الاغصان و يعظم بهم عظم الشّجرة بأغصانها الملتفّة الكثيفة ، **وامّا صحّة الملازمة** فأمر ظاهر معلوم بالتّجربة والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة الثالثة

قوله عليه السّلام : بشّر مال البخيل بحادثٍ اووارثٍ .

اقول : اطلاق البشارة ههنا مجاز من باب اطلاق احد الضّدّين على الاخر و **البخل** هو طرف التّفريط من الرّذيلتين اللّتين هما طرفان للوسط الّذى هو السّخاء و قد عرفته ، **وامّا سببه** فحكم الوهم بانّ في بذل المال مضرّةً تلحقه فيكون ذلك سبباً لحركة القوّة الشّهويّة الى جمعه فتحرّك بسببها الآلات الى الجمع والتّحصيل وقد يختلف بالشّدّة والضّعف بحسب اختلاف ذلك الادراك فيهما فمن النّاس [من هو] مستعدٌّ بحسب أصل مزاجه وجبلّته لقوّة هذا التّوهّم[2] الموجب لتحريك تلك القوّة ، ومنهم من يعرض له ذلك بحسب حدوث استعداد قوّته الوهميّة لادراك سببه الوهمىّ ، **وههنا دقيقة** وهى انّ تخصيص مال البخيل بهذه البشارة المجازيّة المستلزمة لانذاره لايدلّ على انّ مال الجواد ليس كذلك فانّ احد الامرين المبشّر بهما لابدّ منه في المالين وقد عرفت انّ تخصيص الشّيء بالذّكر لايدلّ على نفيه عمّا عداه ؛ وقد ورد في كلامه عليه السّلام بلفظ آخر مايعمّ البخيل وغيره فقال : لكلّ امرءٍ في ماله شريكان ؛ الحادث و الوارث[3] لكن لابدّ من فائدة يستلزمها هذا الحكم وهى الاهانة للبخيل اذ كان قد استعمل لفظ التّعظيم في الاهانة كقوله

١ـ اج د : « حتى يتصلون » . ٢ـ ا : «الوهم» . ٣ـ شرحه في نهج البلاغة هكذا (ص ٦٢٠ من الطبعة الاولى): « نفر عن ادخار المال بذكر الشريكين المكروهين » وهناك بدل «الحادث» : « الحوادث » .

تعالى: ذق انّك انت العزيز الكريم[١] وتبكيته لعدم بذل المال فى وجهه وتقريع له وتقرير لما يكرهه ومواجهته بما ينفّر طبعه اشدّ نفار بما لابدّ منه اذ[٢] كانت مفارقة المال عليه اشدّ من مفارقته على الجواد، ثمّ لو حمل الجواد على نفسه فى انّ هذه النّذارة واردة عليها لهوّن[٣] عنده بعض ما يجده من هذه المواجهة لما انّ المصيبة اذا عمّت هانت لاح له حينئذٍ الفرق بين الاصل والفرع بما انّ بذل المال عن الجواد يكسبه حمداً ومجداً أثيلاً فى العاجل ونعيماً وثواباً جزيلاً فى الآجل، وهو محروم من ذلك لعدم علّة استحقاقه[٤] فيه وربّما كان ذلك سبب رشده وسبب حرصه على التّخلّق بضدّ خلقه واعداد نفسه لاقتناء اسبابه ان كان قد قضى له ذلك ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور[٥].

الكلمة الرابعة

قوله عليه السلام: النّاس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم.

اقول: تقدير الخبر: النّاس بأهل زمانهم، وانّما حذف المضاف للعلم به كما فى قوله تعالى: واسأل القرية، اذ لا مشابهة للنّاس مع ذات الزّمان، ثمّ ليس المراد من مشابهتهم المشابهة فى الصّور الجزئيّة او الشّخصيّة كما يقال: وجه فلان يشبه وجه فلان فانّهم بالآباء فى ذلك أشبه؛ بل المراد أنّهم أشبه فى أفعالهم وعاداتهم وأخلاقهم وحالاتهم العارضة الغالبة. ثمّ انّه عليه السّلام نبّه بقوله «اشبه» على عدم نفى الشّبه بالآباء بالكلّيّة فانّهم وان كانوا يشبهون الاباء الّا انّهم بأهل زمانهم أشبه.

واما السّبب الغالب فى ذلك فاعلم انّه لمّا كان الغالب على الخلق الغفلة والجهل البسيط وكانت النّفوس الانسانيّة قد جبلت على محبّة البدن وكثيراً ما تكون مطيعة للقوى متّبعة للهوى مواظبة على اقتناء الكمالات الوهميّة ولم يكن لتلك القوى البدنيّة

١- آية ٤٩ سورة الدخان. ٢- ب: «اذا». ٣- ب ج: «ليهون عنه».

٤- ا: «لعدم استحقاقه». ٥- ذيل آية ٤٠ سورة النور.

كما علمت حظّ في ادراك الامور الكلّيّة بل لاتدرك الّا الامور الحاضرة المحسوسة الجزئيّة او[1] المتعلّقة بالمحسوس وكان الغالب انّ وجود الابناء وغالب حياتهم وتصرّفاتهم في زمان غير زمان الاباء لاجرم كانت نفوسهم اكثر انفعالاً واطوع لاخلاق زمانهم وعاداتهم وزيّهم وحالاتهم منها لعادات الآباء وحالاتهم لمكان المشاهدة للحال الحاضرة والمنادمة والاتّصال والمعاشرة والغفلة عن حال الآباء لاقلّيّة معاشرتهم ومصاحبتهم لتقضّيهم واقلّيّة وجودهم في زمان وجود الابناء حتّى انّ انساناً لوعاشر أباً صالحاً وتأدّب بآدابه وتخلّق بأخلاقه ثمّ فقده وعاشر من له ضدّ تلك الاخلاق فانّه ربّما استنكرها في اوّل الصّحبة ثمّ انّ نفسه بعد حين تنفعل عن تلك الاخلاق وتكتسبها لكثرة مشاهدتها وتكرّرها على قوى الحسّ وعتلة[2] النّفس بها وتحلّل الاخلاق الاولى على التّدريج فربّما انسلخ بالكلّيّة عن تلك الاخلاق الصّالحة الى التّكيّف بضدّها وبالعكس وكذلك لو كان لابيه صنعة[3] مستحسنة في وجوده اولباس يليق بحاله من اهل زمانه وكذلك سائر العادات الّتي يعتادها ذلك الأب ويتخلّق بها ويليق بحاله في وقته ثمّ نشأ ولده في وقت آخر بين آخرين المنكرين للزّيّ الاوّل ومستحسنين لزيّ ثانٍ وعادةٍ قد اكتسبوها غير الاولى فانّه لايتزيّا الّا بذلك الزّيّ ولا يغيّر تلك العادة ولايتخلّق بغير تلك الاخلاق الحاضرة دون اخلاق آبائه وعاداتهم، ولوفرضنا انّه نشأ عليها وتزيّا بها مدّةً وتكلّف البقاء عليها فانّ طبعه لابدّ وان يقوده الى العادات والاخلاق الحاضرة امّا كلّها اوبعضها وليس ذلك الّا لما قلناه من من كثرة المشاهدة والاطّلاع الحسّيّ على الامور الحاضرة الّتي عليها أهل زمانه وانفعال النّفس بها وغفلتها عن الاحتراز بمراجعة العقل في مراعاة أنفع تلك الاخلاق الماضية والحاضرة في امر المعاش والمعاد واكتسابه[4] واعتبار أضرّ تلك العادات والحالات فيهما

---

١ - ج : «و». ٢- كأنه بضم العين المهملة وسكون القاف و يمكن ان يكون مقلوب و مصحف « عاتة » فيكون كالالفة بالشيء وزناً و معنى، وللعقلة ايضاً هنا معنى مناسب لانه يقال: « لفلان عقلة يعقل بها الناس، وهي ما يعقل به كالقيد والعقال». ٣ - ج : « صفة ».
٤- في النسخ : «واقتنائه».

واجتنابه حتّى لوكانت لاهل زمانٍ مضى خلّة حميدة تقود الى الهدى وهى مستنكرة فى الزّمان الحاضرلم يلتفت فى ارتكابها[1] الى انكار منكريها بل ارتكبها و واظب عليها ، ولوكان لاهل زمانه عادة اوحالة تقود الى ردى تركها ؛ وان كانت مستحسنة بينهم ، والله ولىّ الاعانة على الالتفات الى ما يرضيه[2] وهوالموفّق.

الكلمة الخامسة

قوله عليه السّلام : اكرم الحسب حسن الخلق[3] .

اقول: قدعرفت انّ **الحسب** يقال بحسب الاشتراك اللّفظى على ما يعدّ من المآثر وعلى الكفاية من المال وما يجراه مجراه . **وامّا الخلق** فقدعرفت حدّه وهوينقسم الى طبيعىٍّ يقتضية اصل المزاج كالضّحك المفرط من أدنى معجبٍ وكالحزن والغمّ من ادنى شىءٍ يعرض والى غير طبيعىٍّ يستفادمن التّمرّن[4] والتّعوّد ، وقديكون مبدأه بالرّويّة والفكرثمّ يستمرّ عليه مرّةومرّة حتّى يصيرملكةً وخلقاً وعلى التّقديرين فامّا ان تكون تلك الحال داعيةً الى افعال الخير و ايثار الجميل وهو الخلق الحسن ، او الى عكسه وهو الخلق السّيّىء الرّدىّ .

اذا عرفت ذلك فاعلم انّه يحسن تأويل الكلمة على حسب مفهومى الحسب امّا على المفهوم الاوّل فاعلم انّه عليه السّلام قد وصف حسن الخلق بافضليّة كرم ما يعدّ من المكارم الّتى تؤثرعن الانسان ؛ وبرهان صدقه انّك علمت انّ اصول الفضائل الخلقيّة ثلاثة ؛ الحكمة والعفّة والشّجاعة ، ومجموعها العدالة ؛ ثمّ انّ الملكة الّتى للنّفس المسمّاة خلقاً هى الاصل الّذى تصدرعنه هذه الفضائل وانواعها ولاشكّ انّ الاصل اشرف

١- فى النسخ : « لم يرتكب فى التفاتها » . ٢ - ب ج د : « برضينا » .

٣- شرحها الشارح (ره) فى شرحه على نهج البلاغة بقوله فى كلام له (ص ٥٨٥ من الطبعة الاولى) : « رغب فى حسن الخلق بكونه اكرم الحسب لكونه اشرف الكمالات الباقية » (الى آخرما قال) . ٤- فى النسخ : « البدن » ويمكن ان يكون «المرن» (بفتح الميم وكسرالراء) وهوالعادة .

واكرم[١] من الفرع ، **واما على المفهوم الثاني فهو** انّ حسن الخلق لمّا كان منبعاً لاصول الفضائل المذكورة كان اكرم كفايةٍ تكون اذ[٢] كان كفاية الجزء الباقي من الانسان و كان المال كفاية للجزء[٣] الحيوانيّ الفاني منه، والباقيات الصّالحات خيرٌ عند ربّك ثواباً وخيرٌ املاً[٤].

وفي هذه الكلمة تنبيه على مراعاة حسن الخلق ان كان موجوداً، وعلى الاجتهاد في اكتسابه ان كان مفقوداً؛ اذ بيّنّا انّه قد يكون مكتسباً وانّ اكتسابه ممكن وذلك انّه منشأ لجماع مكارم الاخلاق والفضائل الّتي هي سبب للسّعادة الباقية، والله ولّي الهداية.

الكلمة السادسة

قوله عليه السّلام: لاظفر مع البغي.

اقول: الظّفر الفوز بالمطلوب بغلبة عدوٍّ وغيره، **والبغي** الظّلم وحقيقته انّه ضرار غير مستحقّ للتّوصّل الى كثرة المقتنيات من حيث لاينبغي والمقصود انّ من قهر خصمه على سبيل ظلمٍ لم يعدّ في الحقيقة ظافراً به؛ وان كان قد يطلق ذلك بحسب العرف، وذلك لانّ[٥] الظّفر الحقيقيّ انّما يكون بمطلوبٍ مستحقٍّ فانّ المطلوب الغير المستحقّ وان حصل للطّالب الّا انّه في قوّة المنتزع وكيف يكون ظفراً وفي مقابلته الذّمّ العاجل بألسنة الخلق اجمعين من بعد لسان الوحي : الا لعنة الله على الظّالمين[٦] مع انّ ذلك قد يكون مقرّباً لاجل الظّالم لمقابلة بقائه ودفعه باجتماع هم الصّالحين كما جاء في الاثر : الظّالم قصير العمر ، مع النّتيجة الكبرى والطّامّة العظمى وهو حرمان الرّضوان لتحقّق الوعيد الصّادق في حقّه: والظّالمين أعدّلهم عذاباً اليماً[٧] والظّالمون مالهم من ولّيٍ ولانصيرٍ[٨]، الى غير

١- ج د : «واكمل». ٢- ا : «او». ٣- ج د : «الجزء». ٤- ذيل آية ٤٦ سورة الكهف وصدرها : «المال والبنون زينة الحيوة الدنيا». ٥- ج د : «ان».
٦- ذيل آية ١٧ سورة هود. ٧- ذيل آية ٢١ سورة الدهر وصدرها: «يدخل من يشاء في رحمته» وهي آخر آية تلك السورة. ٨- ذيل آية ٨ سورة الشورى.

ذلك ممّا اشتمل عليه التّنزيل الالٰهيّ والسّنّة النّبويّة فأيّ ظفرٍ لمن الفى زمام عقله بيد شهوته ؛ فقادته الى حلول[١] دارالبوار ه جهنّم يصلونها وبئس القرار[٢]واىّ فوزٍ لمن أخبر أصدق القائلين بما يلقاه من عدم الولىّ والحميم؟ ! وتوعّده[٣] مالك يوم الدّين بما أعدّله من العذاب الاليم؟ ! وتطابقت على خسرانه كلمة النّبيّين؟ ! وانطلقت[٤] بلعنه[٥] وتوبيخه ألسنة اللّاعنين؟ ! نعوذ بالله من سيّئات العمل[٦]وقبح الزّلل وبه نستعين فقد علمت انّ الباغى لايسمّى ظافراً وان تصوّر بصورته، والظّالم لايعدّ فائزاً وان اتّسم بسمته ، ولذلك قال عليه السّلام : ماظفر من ظفر الاثم به ،والغالب بالشّرّ مغلوب ، وذلك سرّ قوله عليه السّلام: لاظفر مع البغى.

الكلمة السابعة

قوله عليه السلام : لاثناء مع كبر[٧].

اقول : الثّناء الكلام الجميل، **وامّا الكبر** فهو العظمة والتّرفّع على الخلق واستحقارهم وهو لازم للظّنّ الكاذب بالنّفس فى استحقاق رتبةٍ هى غير مستحقّة لها تكون[٨] لغيرها من غير ان يكذّب الانسان نفسه الأمّارة فى ذلك لقهرها القوّة العقليّة **والمقصود ههنا** نفى وقوع الكلام الجميل فى حقّ المتكبّرين وبان انّ[٩] الثّناء مع الكبر ممّا لايجتمعان وصدق هذه القضيّة بيّن بعد تقديم ماسلف **ونزيده تقريراً فنقول:** انّ بين الثّناء الجميل والكبر منافاةً تقرب من منافاة الضّدّين وذلك انّ الكبر مستلزم لاستحقار الخلق بسبب

١- هذه اللفظه ليست فى ا. ٢- ذيل آية ٢٨ وتمام آية ٢٩ سورة ابراهيم وصدر الاية الاولى: «الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم». ٣- ب ج: «يوعده» د: «يوعده» (بتشديد العين). ٤- كذا فى النسخ والمعنى ايضاً صحيح ومع ذلك يمكن ان يوضع موضعها «ونطقت». ٥- ب: «بلعنته». ٦- اب: «العقل» ج: «الخلق العقل» د: «الخلق» فالتصحيح قياسى. ٧- د: «الكبر». ٨- ب: «لاتكون». ٩- ب ج د: «وبيان».

اعتقاد الانفراد بالمرتبة الّتى لاتوجد للغير **وذلك الاحتقار والاستصغار مستلزم لتنفير طباع الخلق عمّن صدرعنه، امّا العقلاء** فلاستحقارهم ايّاه وأنّه لامقدار لما يتكبّر به عندهم ولا اعتداد به لخساسة[1] ادبه وسوء خلقه ونزارة حظّه من السّعادة الباقية واطّلاعهم على عدم اطّلاعه على عيب نفسه فهو وان كان مستحقراً لهم غير ناظرٍ اليهم كبراً فهو فى عيونهم أحقر ومن طباعهم أبعد؛ ومع ذلك كيف يتصوّر ثناؤهم عليه ومدحهم له، **وامّا الباقون من العوامّ وغيرهم** فانّما تميل طباعهم الى من يتواضع لهم ويقرّبهم الى نفسه بلين الكلمة والاحترام والشّفقة وبذل النّفع بالمال والجاه وغيره[2] سيّما وكثيرٌ منهم يعتقد لعجزه عن الاطّلاع على نقصانه انّه كامل فى ذاته فلايسلّم انّ لأحدٍ عليه فضلاً البتّة، ومعلوم انّ المتكبّر عليهم المستحقر لشأنهم المستصغر لهم لايبذل لهم من نفسه ماذكرنا[3] واذا[4] كان كذلك لم يتحقّق منهم الميل اليه ؛ فلم يتصوّر منهم الثّناء عليه لعدم الموجب له ولم يصدر منهم مدح له لفقد علّة المدح فقد صدق عليه السّلام فى بيان هذا السّلب الكلّىّ، والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثامنة

قوله عليه السّلام : لابرّ مع شحّ .

اقول : البرّ ههنا الاحسان وان كان قد يرادبه أيضاً الصّدق على سبيل الاشتراك اللّفظىّ، **والشّحّ** البخل مع زيادة حرصٍ، وحدّه انّه منع ماينبغى بذله عن المستحقّ مع شدّة طلب الجمع، **واذا كان كذلك فاعلم انّ المراد من «لابرّ» انّ الاحسان مع الشّحّ**

١- ج د : « لكناسة ». ٢- د: « وغيرهما ». ٣- ب : « ذكرناه ».
٤- ب : « واذ ».

ممّا لايجتمعان بيانه انّ الاحسان بذل بعض مالايجب بذله،و بذل بعض مالايجب مع منع مايجب بذله متنافيا الاجتماع فى محلّ عاقل؛لانّ من منع بذل الواجب عن[1] مستحقّه كيف يتصوّر منه بذل ماليس بواجب فقد تحقّقت صحّة هذا السّلب الكلّىّ.

وفى هذه الكلمة تنبيهٌ على وجوب ترك الشّحّ اذا كان لايمكن فعل الواجب من البرّ الّا به،ومالايتمّ الواجب الّا به كان واجباً. **فان قلت:** قديكون الشّحّ ملكة طبيعيّة وحينئذٍ لايمكن زوالها فيخرج عن الوسع فيخرج عن التّكليف بتركه؟ـ **قلت:** انّ التّجربة شاهدة بامكان زواله لكن لادفعةً بل بالتّعويد والتّدريج ويؤيّده قوله تعالى: ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون[2]،الّذين يبخلون ويأمرون النّاس بالبخل[3]؛ذمّهم على البخل والشّحّ وعلى الامر به،ولوكان لايمكن زواله لما كان متعلّق الذّمّ والعقاب؛والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة التاسعة

قوله عليه السّلام: لااجتناب محرّم مع حرص.

اقول: الحرص هو بذل الوسع فى طلب الامور الّتى يمكن تحصيلها وهو امر اضافىّ يختلف فى استحقاق الحمد والذّمّ به بحسب اختلاف الامر المطلوب فى الشّرف والخسّة فان كان المطلوب أمراً شريفاً كاقتناء[4] الامور الباقية والكمالات المسعدة كان الحرص عليه امراً محموداً،وان كان امراً خسيساً كاكتساب الامور الفانية واللّذّات الوهميّة المنقصة[5] كان حرصاً مذموماً،والحرص المشارإليه فى هذه الكلمة هوالحرص على

١- ليست فى ب. ٢- ذيل آية ٩ سورة الحشر و ١٦ سورة التغابن. ٣- صدر آية ٣٧ سورة النساء و ٢٤ سورة الحديد. ٤-ج د: «كاكتساب». ٥-ا: «النقصية» ولكن قال الفيومى فى المصباح المنير: «نقص نقصاً من باب قتل ذهب منه شىء بعد تمامه ونقصته يتعدى ولايتعدى هذه اللغة الفصيحة وبها جاء القرآن فى قوله ننقصها من اطرافها،وشعر منقوص،وفى لغة ضعيفة يتعدى بالهمزة والتضعيف ولم يأت فى كلام فصيح».

اقتناء الامور الفانية من اقتناء الاموال وجمعها والازدياد بها من اىّ وجهٍ كان وعلى اىّ وجهٍ كان اعنى[١] ان لايكون مراعياً فيها قانون العقل والحرّيّة ويعلم ممّاسبق انّ الحرص المذموم مستلزمٌ لطرف الافراط من طرفى فضيلة العفّة اذ كان مستلزماً للخروج فى[٢] الطّلب الى مالاينبغى وما لايرخّص فى طلبه الشّريعة ولا العقل فيكون المطلوب من[٣] محالّ الحرمة ومواضعها واذا تحقّق الحرص المذموم فى الانسان فقد صدق عليه انّه مواقع للحرام لامحالة[٤] فهو غير مجتنب لمحرّم وبه يخرج عن العفّة وبخروجه عنها يخرج عن العدالة ويدخل فى زمرة الفجّار ولذلك كثيراًما ذمّ عليه السّلام ارباب التّجارات فقال: التّاجر فاجر والفاجر فى النّار الّا من أخذ الحقّ وأعطى الحقّ؛ فقوله: «التّاجرفاجر» اشارة الى انّ التّاجر لايخلو فى غالب الامر من الحرص المذموم فيخرج به عن ملكة العفّة الى طرف الفجور، وقوله: «الّا من أخذ الحقّ وأعطى الحقّ» اى الخالى عنه الملازم لفضيلة الحرّيّة الّتى هى نوع من أنواع العفّة، ولمّا كان تعلّم الأحكام الشّرعيّة والتّحلّى بآداب الشّريعة كثيراًما يصدر عن ذلك الحرص كان من الواجب ان يقدّم الانسان على السّعى فى التّجارة العلم بتلك الاحكام ليتميّز للمتّجر ماترخّص الشريعة فيه من غيره، روى انّه عليه السّلام كان يدور فى الاسواق ويقول: معاشر النّاس الفقه ثمّ المتجر، الفقه ثمّ المتجر، والله للرّبا فى هذه الامّة أخفى من دبيب النّمل على الصّفا. وقال عليه السّلام: من اتّجر بغير علمٍ ارتطم فى الرّبا ثمّ ارتطم؛ والارتطام التّوحّل، وروى عن الصّادق عليه السّلام انّه قال: من لم يتفقّه فى دينه ثمّ اتّجر تورّط فى الشّبهات، وكلّ ذلك اشارة الى انّ تعلّم الاحكام[٥] الفقهيّة والآداب الشّرعيّة مانعٌ للخلق من الحرص المذموم كافّ[٦] لهم عن الانهماك فى الشّهوات وذلك يستلزم امتناع اجتماع اجتناب المحارم مع الحرص المذموم.

١- ا: «يعنى». ٢- ا: «عن». ٣- فى النسخ: «هى». ٤- فى النسخ: «فى محاله». ٥- ج د: «العلم بالاحكام». ٦- فى النسخ مع تخفيف الكاف.

الكلمة العاشرة

قوله عليه السّلام : لاراحة مع حسدٍ[١].

اقول : الرّاحة السّكون عن الحركات المتعبة حسّيّة كانت اوعقليّة ،**وامّا الحسد** فهو انبعاث القوّة الشّهويّة الى تمنّى مال الغير أو الحالة الّتى هو عليها وزوالها عن ذلك الغير وهومستلزم لحركة القوّة الغضبيّة ولثبات الغضب ودوامه وزيادته بحسب زيادة حال الحسود الّتى يتعلّق بها الحسد ولذلك قيل : الحاسد مغتاظ على من لاذنب له ، وهونوع من أنواع الظّلم والجور،**واذا تصوّرت حقيقة الرّاحة والحسد فاعلم** انّ المطلوب بيان عدم اجتماعهما وذلك ظاهرٌ حينئذٍ فانّ حركة شهوة الحاسد وفكره فى كيفيّة حصول الحالة المحسود فيها وفى كيفيّة زوالها عمّن هى له المستلزمة[٢] لحركة آلات البدن فى ذلك مستلزم[٣] لعدم الرّاحة والمستلزم لعدم الشيء غير مجامع لوجوده وإلّا لزم اجتماع النّقيضين وهومحال .

واعلم انّ العقلاء[٤] قد اتّفقوا على انّ الحسد مع انّه رذيلة عظيمة للنّفس فهو من الاسباب العظيمة لخراب العالم اذ كان الحاسد كثيراً ما تكون حركاته وسعيه فى هلاك ارباب الفضائل واهل الشّرف والاموال الّذين يقوم بوجودهم عمارة الارض اذ لايتعلّق الحسد بغيرهم من أهل الخسّة أو الفقر،ثمّ لايقصّر فى سعيه ذاك دون ان تزول تلك الحالة المحسود بها عن المحسود أو[٥] يهلك هو فى تلك الحركات الحسّيّة الفعليّة والقوليّة[٦] ولذلك قيل: حاسد النّعمة لايرضيه الّا زوالها ؛ ومادام الباعث للقوّة[٧]

١ـ د : «الحسد». ٢ـ ب ج د : « المستلزم ». ٣ـ ا : « المستلزم ».

٤ـ د: العلماء». ٥ـ ا ج د:«و». ٦ـ ج: «والقوائية». ٧ـ ج د:«الى القوة».

الغضبيّة[١] قائماً فهى قائمة متحرّكة ومحرّكة واكثر ماتؤثّر السّعاية بين يدى الملوك لعلم السّاعى بقدرتهم على تنفيذ أغراضه ولاعتقاده انّهم أقرب الى قبول قوله من الغير لغلبة القوى الشّهويّة والغضبيّة فيهم ، وانّما كانت فيهم أقوى لتمرّنهم عليها وأكثريّة وقوعها منهم لتمكّنهم من اعطائها لمطلوباتها من المشتهيات والانتقامات فيصير جريانها منهم[٢] سريعاً ويحصل لهم من ذلك ملكات ارسال القوى الشّهويّة والغضبيّة وتصير الغفلة عن المصالح الكلّيّة ملكةً لهم ايضاً، وكثيراً ما تؤثّر السّعاية معهم لذلك الّا من لمحه[٣] الله بعين العناية منهم حتّى راض نفسه بالآداب الشّرعيّة وساسها بالتّعويد بالفضائل الخلقيّة فيراعى المصالح الكلّيّة والتّدبيرات المدنيّة فلك زمام شهوته وغضبه بكفّ عقله العمليّ وصرفه بها فاولئك ماعليهم من سبيل[٤] وقليلٌ ماهم . انّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس ويبغون فى الارض بغير الحقّ[٥] فيصير بغيهم سبباً لخراب الارض فيفسد الحرث والنّسل والله لايحبّ الفساد[٦].

فقد علمت انّ الحسد من أعظم أسباب الخراب ولاح لك انّ الحاسد وان أتعب غيره فهو متعب لنفسه بتلك الحركات النّفسانيّة والبدنيّة وتوابعها من اللّوم والذّمّ العاجل والشّقاوة التّامّة فى الآجل وذلك ممّا يستلزم عدم الرّاحة المستلزم لعدم امكان اجتماع الرّاحة والحسد وذلك تحقيق لهذا السّلب الكلّىّ ؛ والله الموفّق.

---

١ - ا : « العملية». ٢- ب ج : « فيهم». ٣- ا : «منحه». ٤- ذيل آية ٤١ سورة الشورى. ٥- صدر آية ٤٢ سورة الشورى. ٦- ماخوذ من قوله تعالى: « واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد» (وهى آية ٢٠٥ من سورة البقرة).

الكلمة الحادية عشر

قوله عليه السّلام: لازيارة مع زعارّةٍ.

أقول: الزّعارّة بتشديد الرّاء شكاسة[١] الخُلق، والمراد بيان انّ الزّيارة لاتحصل ولاتصدق مع شكاسة الاخلاق سواء كانت من طرفي المتزاورين أو من طرف احدهما؛ فاذاً هما أمر ان متضادّان **بيان ذلك** انّ الزّيارة الصّادقة انّما تكون بين المتؤانسين[٢] المتحابّين وقد عرفت انّ رأس أسباب الالفة والانس هوحسن الخلق الّذى يحسن معه المعاشرة فاذا كان محلّ الاخلاق الفاضلة مشغولاً باضدادها وهى الاخلاق النّكسة[٣] وهى سبب عظيم لتنفير[٤] طباع الخلق الّذى هوسبب التّفرقة والتّباين بينهم كان ذلك سبباً لقطع الزّيارة وامتناعها منهم، **وتحقّقت حينئذٍ** انّ الزّيارة مع شكاسة الاخلاق ممّا لايجتمعان.

وفى هذه الكلمة تنبيه على وجوب ترك الزّعارّة لانّ الزّيارة لمّا كانت مأموراً بها لما انّها سبب المحبّة المطلوبة من الشّريعة ومحرّضٌ[٥] على القيام بها ومداومتها لتحصيل الوداد وكان وجود الزّيارة منافياً لوجود الزّعارّة كان وجوب الزّيارة والامر بها مستلزماً للنّهى عن ارتكاب الزّعارّة ولوجوب تركها؛ والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثانية عشر

قوله عليه السّلام: لامروّة[٦] لكذوب[٧].

اقول: المروّة فضيلة للنّفس بها يكون التّرفّع والاحتشام عن مواقعة[٨] القبيح

١ـ الشكاسة بمعنى الشراسة. ٢ـ لعله «المتونسين» لان «تآنس» (من باب التفاعل) لم اجده فى كتب اللغة. ٣ـ ب د: «الشكيسة». ٤ـ ج د: «لتنفر». ٥ـ ج د: «محرص» (بالصاد المهملة». ٦ـ اصلها: «مروءة» (بالهزة). ٧ـ ج: «للكذوب». ٨ـ ج د: «موافقة».

حذراً من الذّمّ والسّبّ الصّادق ،والكذب هوالقول الغير المطابق لما عليه الامر فی نفسه، **والكذوب** هومتعوّد الكذب ،والمقصود من هذه الكلمة بيـان انّ المروّة والتّعوّد للكذب ممّا لايجتمعان **وبيانه** انّ الكذب لمّا كان من الرّذائل المستقبحة اذكان مضادّاً[١] لمصلحة العالم ولأنّه قد يوقع بالمكذوب عليه اموراً مكروهةً لايكون شاعراً بها فيكون ذلك سبباً منفّراً للطبّاع وعلّة لاستقباح[٢] العرف والشّرع وكان التّعوّد به يكسب النّفس ملكة متمكّنة من جوهرها بسببها يجترئ على التّظاهر بلزوم القبيح وعدم التّخفّی بفعله واحتمال المكافحة[٣] بالذّمّ والسّبّ الصّادق وعدم تصديق الخلق له فی وجهه[٤] ولذلك قيل: انّ الكـذوب لايُصدَّق ومنه المثل السّائر فی العامّة : من عرف بالصّدق جاز كذبه؛ ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه ،قال ابوعبيد : وممّا يحقّق هذا المثل حكم الله فی الشّهادة انّها مردودة من اهل الفسوق ،ولعلّهم قد شهدوا بالحقّ ،هذا مع مايلزم ذلك من جرأته على مقابلة النّهی الشّرعیّ وقلّة مبالاته بالوعيد فسمّی وقحاً وخسيساً لاجرم كانت المروّة منافيةً لذلك لانّ ملكة مواقعة القبيح والميل اليه مع الملكة الموجبة للاحتشام والتّرفّع ممّالايجتمعان؛ ولذلك قال بعض الحكماء: لو لم يترك العاقل الكذب الّا للمروّة لقد كان حقيقاً بذلك[٥] فكيف وفيه المأثم والعار ،وذلك يدلّ على انّ المروّة تسقط مع الكذب فكيف مع تعوّده.

واعلم انّ المروّة لمّا كانت من صفات الكمال الانسانیّ كانت ممّا يجب طلبه فكان ذلك مستلزماً للأمر بترك مالايجتمع معه وهوتعوّد الكذب وهذا مع مااتّفقت عليه كلمة النّبيّين وتطابقت عليه مقالات الحكماء الرّاسخين من قبح الكذب وذمّه ووجوب الرّدع

١ـ د : «مضاراً». ٢ـ ا : «لاستقباع». ٣ـ ب : «المكافی». ٤ـ ب ج د : «وجه». ٥ـ ا : «لذلك».

عنه بالعقوبة[١] وانّه مضادّ لمصلحة العالم وسبب من الاسباب الموجبة لخرابه اذ كان صاحبه قد ألقى زمام قوّته العقليّة الى حكم شهوته وغضبه فصرّفاه على مقتضى طباعهما فتارةً تميل به الشّهوة فيهيج به الحرص أو الحسد فيحمله ذلك على القول الباطل فى سلب الاموال، وتارةً يميل به الغضب فيهيج به شهوة الانتقام فيقوده ذلك الى القول الباطل الموجب لسفك الدّم بين يدى الملوك وغيرهم وقد عرفت انّه لانظام للعالم الّا بهما.

واما[٢] **الذّم** فقال عليه السّلام: الكذب رأس[٣] النّفاق وذلك لخروج[٤] الكاذب عن الصّدق الّذى هو صنف من اصناف الورع كما يخرج المنافق من ربقة الايمان، واشتقاق النّفاق من قولهم: نفق اليربوع اذا خرج من جحره، وقال تعالى: ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً[٥]، فمن أظلم ممّن كذب على الله[٦] ويوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة[٧] وبالجملة فذمّ الكذب فى الكتب الالٰهيّة والسّنن الشّرعيّة وبين اهل العالم اكثر من ان يحصى؛ ولو لم يكن فيه الّا ماذكرناه لكان كافياً فى قبحه فكيف وهو من أعظم الاسباب لحرمان الخير الدّائم والنّعيم فى الآخرة اذ كان من يتعوّد الكذب ملطّخاً لنفسه بملكة تحدث عنه يحرم[٨] معها صحّة المنامات[٩] وصدق الألهامات ويسوّد لوحها[١٠] بتلك الملكة فتشتغل عن قبول الانتقاش بالحقّ والتّحلّى[١١] بالجلايا القدسيّة والاستشراق للأنوار العلويّة فأعظم به سبباً لخراب[١٢] الدّارين . . ! وعلّةً لحرمان السّعادتين . . ! نعوذ بالله من سوء الاختيار ونستجيره من عذاب النّار.

---

١ - ا: «بالمعقولية». ٢ - د: «اما». ٣ - د: «أس». ٤ - ا ج: «بخروج».
٥ - صدر آية ٢١ و ٩٣ سورة الانعام و ٦٢ سورة العنكبوت و ١٨ سورة هود. ٦ - صدر آية ٣٢ سورة الزمر. ٧ - صدر آية ٦٠ سورة الزمر. ٨ - فى النسخ: «تحرم».
٩ - ا ج د: «المقامات». ١٠ - ا: «لوجهها» ج: «اوجها» فلعل الصحيح: «مسوداً لوجهه». ١١ - ب: «بالتجلى». ١٢ - د: «لخسران».

الكلمة الثالثة عشر

قوله عليه السّلام: لاوفاء لملول[١].

اقول: الوفاء فضيلة نفسانيّة بها يكون حسن اتمام الامور المعاهد عليها والقيام بها والمواظبة عليها وان اشتملت على احتمال كلفة ومشقّة وتصدر[٢] عن فضائل وهى كبر النّفس والشّهامة والحياء فانّ الانسان اذا كان مقتدراً على حمل الكرامة والهوان موهلاً نفسه للامور العظام حريصاً عليها متوقّعاً[٣] للاحدوثة الجميلة يحذر من الذّمّ والسّبّ الصّادق بمواقعة القبيح لابدّ وان يكون وفيّاً؛ويقابله الغدرمقابلة التّضادّ أو مقابلة العدم والملكة؛ فيه تردّد.

واما الملال فهو انصراف النّفس واعراضها عن اتمام ماهى بصدده من الافعال وله اسباب:

احدها ــ تلعّب[٤] الوهم بالقوّة المتخيّلة وتشويشه للفكرو معارضته للعقل عند التفات النّفس الى الاعمال وشروعها فيها بتحسين ملذّ أو نافعٍ آخر بالتّخييل الكاذب هو اشرف ممّا هى بصدد تحصيله فينحلّ[٥] عزمها عن الحركة فيه أو بتهوين ذلك الفعل[٦] واعتقاد سهولته فى كلّ وقتٍ تتشوّق[٧] فيه الآمال أو غيرذلك فينصرف عنه الى البطالة فيتبعها القوى الى التّعطيل.

وثانيها ــ ضعف الآلة وعجزها عن الحركة أو ضعف القوى المحرّكة وكلالها وعجزها عن التّحريك فينصرف عنه طلباً للراحة كما يعرض عند الافكار الكثيرة فتعتاد

---

١ ـ « للملوك ». ٢ـ ج د : «يصدر». ٣ـ ج د : « توقعاً ». ٤ـ ا: « تعلب » ج د : « باعث ». ٥ـ د : « فيختل ». ٦ ـ ب ج : « العقل ». ٧ـ ب ج د : « تتشوق ».

النّفس الوقوف عن الاعمال ويصير ذلك ملكة لها الى غير ذلك من الأسباب، **والملول** هو من حصلت لنفسه ملكة ذلك الانصراف والالتفات وكثرته لكثرة عروض اسبابه، **و اذا عرفت ذلك عرفت** انّ فضيلة الوفاء لاتوجد لنفس الملول لانّه اذا تكيّف بهذه الملكة لم يتمكّن من اتمام امرٍ فضلاً عن حسن القيام به والمواظبة عليه وكان داخلاً فى زمرة الغادرين وكان ذلك موجباً لتنفّر طباع الخلق عنه فى المعاملات حتّى انّه لوكان صاحب حرفة أو سالكاً لطريق[١] العلم لم يمكنه ان يتوصّل بشيءٍ من هذه الاسباب الى اصلاح معاشٍ أو معادٍ بل كان اسوأ حالاً من أصحاب البطالة لانّهم قد ربحوا الرّاحة عن الحركات المتعبة فى تعلّم تلك الطّرق[٢] والصّنائع.

وفى هذه الكلمة تنبيه للملول على وجوب معالجة نفسه والاجتهاد فى حلّ عقدة الملال بتحصيل أضداد أسبابه والتّعويد لها والتّمرّن عليها ليمكن ان **تحصل له ملكة الوفاء** الّتى هى من الفضائل العظيمة وهى محمودة بكلّ لسانٍ ومستحسنة عند كلّ عاقلٍ ويعترف بها كلّ انسانٍ وان قلّ حظّه من الانسانيّة وتجدها موجودة فى اصناف الخلق كالرّوم والحبشة والنّوبة وكثير من اجناس[٣] العبيد[٤].

ويقابلها الغدر فى جميع ماذكرنا اعنى انّه مذموم بكلّ لسانٍ ينفر السّامع من ذكره ويأنف منه كثيرٌ من اجناس العبيد وشرف الشّيء يبين من خساسة ضدّه وقد أثنى الله تعالى على صاحب هذه الفضيلة فى مواضع من كتابه قال تعالى: والّذين يوفون بعهدالله ولاينقضون الميثاق[٥] وقال: والموفون بعهدهم اذا عاهدوا[٦] وقال تعالى فى الامر به: واوفوا بعهدالله اذا عاهدتم ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها[٧] وقد تمدّح تعالى باثبات

١- ب ج د: «بطريق». ٢- كذا فى النسخ واظن انه: «الحرف». ٣- ج د: «اصناف». ٤- ب: «كثير من العبيد». ٥- آية ٢٠ سورة الرعد. ٦- من آية ١٧٧ سورة البقرة. ٧- صدر آية ٩١ سورة النحل.

اشدّيّته وقال: ومن أو في بعهده من الله[١] **وبالجملة فهي من الصّفات الكماليّة والفضائل** النّفسانيّة بحظّ وافر؛ والله الموفّق.

الكلمة الرابعة عشر

قوله عليه السّلام: لا كرم أعزّ من التّقى[٢].

اقول: الكرم هو انفاق المال الكثير بسهولة من النّفس في الامور الجليلة القدر الكثيرة النّفع بمقدار ماينبغي على الوجه الّذي ينبغي؛ وهي من انواع **فضيلة السّخاء**، **والتّقى** في اللّغة الخوف، وفي العرف الخاصّ هوخوف النّفس من التّدنّس بأدناس الهيئات البدنيّة والتّكيّف بالملكات الرّديّة ورفض المشتهيات البدنيّة وتباعدها وهربها منها بمقاومة الشّياطين وأبناء الجنّ السّاكنين في القلل[٣] وإلهامات المتشبّثين[٤] باطراف الفطن عن ان يلحق اعلى المقامات مقاومة بمقدار معتدل كما ينبغي موافق لرسم الشّريعة غيرخارج عن الرّسوم الموضوعة للرياضة الحقيقيّة وكيفيّتها فانّ تعدّي الكمال نقصان، **والعزة** الجلال وعظمة الشّأن **واذا عرفت ذلك فاعلم** انّ الكرم كمايطلق حقيقةً ويراد به ماذكرنا فكذلك قديطلق مجازاً ويراد به انفاق النّفس وسمحها بالمشتهيات البدنيّة وقلّة الالتفات الى اللّذّات الحسّيّة الّتي يخاف من الاشتغال بها الالتفات عن القبلة الحقيقيّة الموجب لسخط الله وما[٥] اعتبرناه من القيود في حقيقة التّقى «بسهولة منها وطيب» على

١- من آية ١١١ سورة التوبة. ٢- قريب من ذلك قوله (ع) في باب الحكم من نهج البلاغة: «ولاعز اعز من التقوى» وقال الشارح (ره) في شرحه (ص ٦٢٤ من الطبعة الاولى): «لان التقوى تستلزم جميع مكارم الاخلاق الجامعة لعزالدنيا والاخرة فكان عزها اكبر عزاً من غيرها». ٣- ا: «في الفلك». ٤- ج د: «المتلثين». ٥- ا: «وقد».

سبيل الاستعارة الّتى هى اجلّ انواع المجاز، ووجه المشابهة انّ الكريم كما يسمح بالمال الكثير ويفارقه بسهولةٍ من نفسه فى تحصيل الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع بمقدار ما ينبغى على الوجه الّذى ينبغى كذلك المتّقى من جهة انّه متّق يسمح باللّذّات الحسّيّة والمشتهيات البدنيّة بسهولةٍ من نفسه فى تحصيل الامور الجليلة القدر الكثيرة النّفع وهى اللّذّات العالية والمشتهيات الباقية بمقدار ما ينبغى وعلى الوجه الّذى ينبغى ممّا لا يخالف الرّسوم الشّرعيّة والاوضاع الحقيقيّة ولهذه المشابهة الشّريفة والملاحظة اللّطيفة أطلق (ع) عن التّقى انّه كرم.

وأمّا بيان انّه اعزّ مايطلق عليه اسم الكرم وهو المقصود من هذه الكلمة فلان التّقىّ قد سمح[1] بجميع اللّذّات المستحسنة الحسّيّة وأعرض عنها فان تناول شيئاً منها فلا[يتناوله] لانّه ملذّ بل لانّه مقوّم للحياة حتّى لو قامت حياته بغير ملذّ لكان هو والملذّ على سواءٍ بالنّسبة اليه، والكريم وان سمح فبالمال الّذى هو جزئىّ من جزئيّات تلك الملذّات، وقد يكون ذلك البذل منه تحصيلاً للذّة فانية وشتّان مابين اللّذّتين وفرقان مابين الكرمين. شعر:

اذا ماظمئت الى ريقه جعلت المدامة منه بديلاً
واين المدامة من ريقه ولكن اعلّل قلباً عليلاً

فقد عرفت انّ التّقى أعزّ كرم وأجلّه وأعظم مسمّياته شأناً وارفعها مكاناً وانّ صاحبه هو المستفتح لاغلاق سبل الهدى اذا[2] اغلق عن نفسه ابواب مسالك الرّدى. اللّهمّ خذ بأزمّة قلوبنا الى اجابة داعيك حتّى لا نلتفت[3] الى غيرك ولا نجترئ[4] على هتك استار ابواب محارمك، فتزلّ قدمٌ بعد ثبوتها ونذوق[5] السّوء بماصددنا عن سبيلك[6]

١- ج د: «يسمح». ٢- ب ج د: «اذ». ٣- ا ب: «تلتفت». ٤- ج: «تجترى». ٥- ا: «وتذوق». ٦- هى مأخوذة من آية ٩٤ سورة النحل بتغيير←

ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد اذهد یتنا وهب لنا من لدنک رحمةً انّک انت الوهّاب[١].

الکلمة الخامسة عشر

قوله علیه السّلام: لامعقل احصن من الورع[٢]

اقول المعقل والعقل الملجأ[٣] والحرز، **والحصن** المکان الّذی یحفظ فیه الشّی، والورع فی اللّغة العفّة، وفی عرف العلماء عبارة عن لزوم الاعمال الجمیلة الّتی فیها کمال النّفس کما بیّناه[٤] قبل، **وعرفت** انّه نوع من أنواع العفّة وقد اطلق علیه السّلام لفظ المعقل[٥] الّذی هو حقیقة فی الملجأ الجسمانیّ علی الورع مجازاً من باب الاستعارة والتّشبیه **ووجه المناسبة** انّ الملجأ کما یتحصّن الشّخص فیه من الامور الّتی یخافها ویلجأ الیه من عذاب او هلاك یلحقه کذلک لزوم الاعمال الجمیلة تلجأ الیها النّفس وتتحصّن بها فی الدّار الاولی من الذّمّ والعقاب العاجل وفی الدار الاخری من العذاب بسعیر[٦] ملکات الرّذائل والهلاك الآجل، ولمّا کاد[٧] لایکون بین العذاب الاوّل والثّانی نسبة لشدّة التّفاوت بینهما فی الشّدّة والضّعف عرفت حینئذٍ التّفاوت بین الحصنین والفرق بین الحرزین، وتحقّقت انّ

← یسیر ونص الایة: «ولاتتخذوا ایمانکم دخلاً بینکم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بماصددتم عن سبیل الله ولکم عذاب عظیم».

١- آیة ٨ من سورة آل عمران. ٢- قال الشارح (ره) فی شرحه علی نهج البلاغة فی شرح الفقرة (ص ٦٢٤ من الطبعة الاولی):

«واستعار له لفظ المعقل باعتبار تحصن الانسان به من عذاب الله، ولما کان عبارة عن لزوم الاعمال الجمیلة فلامعقل احصن منه». ٣- ج د: «المعقل الملجا» ولعله هو الصحیح. ٤- ب د: «بینا». ٥- ب ج: «العقل». ٦- ا ج د: «السعیر». ویمکن ان تکون العبارة هکذا: «من عذاب سعیر ملکات الرذائل». ٧- ج د: «کان».

اللّاجي الى غير الورع غير لاجٍ الى مفزع انّ ولاناجٍ من الفزع وانّه ملحوق بالعقاب[١] مدرك باشدّ العذاب، وانّ المتحصّن بحصن الورع لاخوف عليه اذلاملجأ من الله الّا اليه، وحقّ للعاقل ان لايلجأ الّا الى حرزٍ ينفعه و[٢] حصن يمنعه والّا لم يكن واضعاً للشيء موضعه فكان[٣] ساقطاً عن درجة العقلاء ؛ والله الموفّق.

الكلمة السادسة عشر

قوله عليه السّلام : نفاق المرء ذلّة.

اقول : قد عرفت حقيقة النّفاق واشتقاقه من أىّ شيءٍ، **وأمّا الذّلّة فهى** المهانة وهى الانظلام والاستجابة لكلّ احدٍ وقد عرفت ايضاً انّها طرف التّفريط من العدالة **والمقصود من هذه الكلمة** بيان انّ النّفاق لازم من[٤] الذّلّة وبيان ذلك انّ المنافق لمّا كان خارجاً عن اعتقادٍ الى اعتقادٍ[٥] متنقّلا[٦] فى احوالٍ لايجوز التّنقّل[٧] فيها دلّ ذلك على انقهار نفسه لما يرد عليها من الامور الخياليّة واستجابتها للوساوس الشّيطانيّة ولكلّ مايرد عليها من ذلك فيوجب ترديدها فى العقائد المتضادّة واتّباعها لهذه تارةً ولهذه[٨] تارةً وذلك معنى المهانة والذّلّة لاجرم صدق انّ نفاق المرء صادر عن ذلّه وكذا المنافق يتحقّق هذه الرّذيلة فى نفسه الّتى يخرج بها عن العدالة ويكون سبباً لحرمانه سلوك[٩] سبيل الخير والانقياد لاسباب السّعادة الباقية ؛ انّ المنافقين فى الدّرك الاسفل من النّار[١٠].

١- ب : «بالعتاب». ٢- د: «او». ٣- ج د :« وكان». ٤- اج د: «عن». ٥- ب ج د : «اعتداد». ٦- ب : «منتقلا» ج د : «منتقل». ٧- ج د: «النقل» ويقال: «تنقل من مكان الى آخر اى تحول وقيل اكثر الانتقال». ٨- د : «ولذا». ٩- د: «عن سلوك». ١٠- العبارة صدر آية ٤ من سورة النساء وذيلها: «ولن تجدلهم نصيراً».

وفي هذه الكلمة تجوّز حسن في اطلاق اسم الذّلّة على سببها وهو من اقوى وجوه المجاز وهي مستلزمة للتّنبيه على وجوب حسم اصل هذه الرّذيلة بالسّعي والترفّع[١] الى الحصول على العدالة الّتي هي الوسط ليسلم الانسان من دنس هذه الرّذيلة وما يلزمها من النّفاق وغيره؛ وبالله[٢] التّوفيق.

الكلمة السابعة عشر

قوله عليه السّلام: الجزع أتعب من الصّبر.

اقول: الجزع ألم نفسانيٌّ يعرض من تصوّر فقد محبوبٍ او فوت مطلوبٍ، واما الصّبر فقد عرفت انّه فضيلة للنّفس بها يكون مقاومتها لهواها لئلا تنقاد الى مقابح[٣] اللّذّات وقد عرّفناها[٤] فيما قبل بانّه مقاومة النّفس لهواها؛ وهو تعريفٌ للشّيء ببعض لوازمه الخاصّة به اذا عرفت ذلك فاعلم انّ المقصود من هذه القضيّة بيان انّ الجزع أشدّ تعباً على النّفس من الصّبر وانت عند[٥] ادنى تفطّن ومراجعة لباطنك ترى انّ ذلك امرٌ وجدانيّ ويزيدك[٦] تنبيهاً على صحّة ذلك النّظر الى غايتي الجزع والصّبر فانّ الانسان لو لم يقاوم هواه ليسلم من مطاوعته على تعوّد الجزع لم يزل في حزنٍ دائمٍ وجزعٍ غير منقضٍ وشقاءٍ[٧] لا محيص عنه والمٍ دائمٍ لا أتعب من تحمّله، وان هو استشعر العادة الجميلة وهو ان يرضى بكلّ ما يجده حتّى يحصّل تلك العادة ملكةً وخلقاً ويكون مقاوماً لهواه لئلا يقوده الى الحزن على ما لا يجدي الحزن عليه شيئاً اكثر من التّالّم لم يزل مسروراً مغبوطاً فرحاً، وكان نسبة ما يعانيه من تعب الصّبر الى تعب الجزع كالقطرة بالنّسبة الى البحر ولو لم يكن التّفاوت الّا انّ تعب الجزع في زيادة وتعب الصّبر في نقصان[٨] لكان

١- ا ب: «والرفع». ٢- ب: «من الله». ٣- ب ج د: «قبائح». ٤- ب د: «عرفناه» ج: «عرفنا» (بلاضمير). ٥- ج د: «بعد». ٦- ج د: «ونزيدك». ٧- ج د: «وتعب». ٨- ب: «النقصان».

ذلك كافياً فى تفاوت الشّدة فيها وفارقاً فى قوّة التّعب بينهما **فان توهّمت** انّ هذا الاستشعار لايتمّ اولاينتفع به فانظر الى استشعارات الخلق فى مطالبهم ومعايشهم تر عياناً فرح المتعيّشين بمعايشهم على تفاوتها وسرور المحترفين بحرفهم على تباينها؛ وتصفّح ذلك فى كلّ طبقة منهم فانّه لايخفى عليك فرح كلّ احدٍ منهم بما هو فيه، وليس ذلك الّا لقوّة استشعار كلّ قوم بحسن طريقتهم ولزومهم لها بالعادة الطّويلة، فاذا لزم طالب الفضيلة مذهبه وقوى استشعاره وطالت عادته بذلك كان اولى بالسّرور من هذه الطّبقات الّذين يخبطون فى الجهالات وأخفّهم مؤنةً وأقلّهم تعباً وأحظاهم بالنّعيم المقيم لانّه محقّ وهم مبطلون، ومتيقّن وهم ظانّون، وهو ولىّ الله وهم أعداؤه؛ الا انّ اولياء الله لاخوفٌ عليهم ولاهم يحزنون[1] واذا تبيّنت غاية الجازع والصّابر فما اظنّك بشاكٍّ فى صحّة هذه القضيّة وصدقها؛ والله ولىّ الاعانة.

الكلمة الثامنة عشر

قوله عليه السّلام: الذّلّ مع الطّمع.

اقول: قد عرفت انّ الذّلّ هو المهانة وهى انقهار النّفس واستجابتها وانفعالها عن الامور الصّادرة[2] عليها، وامّا الطّمع فهو قوّة نزوع الشّهوة الى طلب شيءٍ مع تصوّر امكانه للطّالب، **واعلم** انّ الطّمع قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً؛ فالمحمود هو ما كان طمعاً فى تحصيل أمرٍ باقٍ ممّا يكون كمالاً للنّفس او وسيلةً اليه؛ وعليه يحمل قوله عزّوجلّ حكايةً عن الخليل عليه السّلام: والّذى أطمع ان يغفرلى خطيئتى يوم الدّين[3] وأمثاله، والمذموم هو ماكان طمعاً فى تحصيل ما لاينبغى من الاستكثار فى المقتنيات

١- آية ٦٢ سورة يونس. ٢- ج: «الصادة» والظاهر: عنها. ٣- آية ٨٢ سورة الشعراء.

الفانية ومالايعود بنفعٍ في امر المعاد ، والمراد ههنا هو الطّمع بالمعنى الثّاني، واذا كان كذلك فلابدّ وان يكون الذّلّ ملازماً للطّمع واللّازم مع ملزومه في الوجود ثمّ السّبب في ذلك اللّزوم انّ قوّتي الغضب والشّهوة تتغالبان[1] فأيّ القوّتين كان أغلب فلابدّ وان تكون النّفس تابعةً لها وحينئذٍ تنجذب القوّة خلفها ، فاذا فرضنا انّ القوّة الشّهويّة ثارت بصاحبها وقويت في الطّلب الى حدٍّ لاينبغي فلابدّ وان يكون العقل مأسوراً في يدها، ويتبعها سائر القوى فتتقهر معها قوّته الغضبيّة وتسكن عن الحركة فيما يجب ان يتحرّك فيه،وحينئذٍ تكون المهانة المستلزمة لزوال الانفة والحميّة.

وفي هذه الكلمة تنبيه على وجوب ترك رذيلة الطّمع بترك متابعة القوّة الشّهويّة وقهرها؛لانّ رذيلة الذّلّ لمّا كانت مهروباً منها[2] مجتهداً في تحصيل مايقابلها من الفضائل الّتي فيها كمال النّفس وكان ترك الطّمع وسيلةً الى تحصيل تلك الفضائل وجب ذلك التّرك لوجوبها؛ والله ولّي التّوفيق.

الكلمة التاسعة عشر

قوله عليه السّلام : الحرمان مع الحرص.

اقول : الحرمان منع العطيّة ، وأمّا **الحرص** فقد سبق بيانه وهما لفظان مهملان فالقضيّة مهملة ، والمتيقّن منها حكم جزئيّ **وعند ذلك نقول :** لمّا كانت الموهبات والعطايا[3] قد تكون دنيويّةً وقد تكون أخرويّةً ، وكان الحرمان نسبة تستدعي حارماً ومحروماً ومحروماً منه[4] كان الحرمان صادقاً على منع الموهبة الاخرويّة وعلى منع الموهبة الدّنيويّة؛ غير انّ الاليق بكلامه عليه السّلام حمله على منع الموهبة الأخرويّة،اذ[5] كان

١- ج : «متتابعتان». ٢- د : «عنها». ٣- ج د:«والعطيات». ٤- ب:«يستدعي محرماً و محروماً منه» د : «محروباً ومحروماً منه». ٥- ب ج : «اذا» د : «او».

حرمانها لازماً من لوازم الحرص المذموم لما عرفت انّ المقبل بوجهه على الانهماك فى طلب حاضر اللّذّات منقاد بكفّ سلطان الشّهوة الى دنىّ المشتهيات؛ مشغول اللّوح عن الانتقاش بالآثار العلويّة ؛ غير مستعدّ لقبول الانوار القدسيّة ، ومن لم يستعدّ لامرٍ كان محروماً منه وهو سبب الحرمان وعلّة فوت الاحسان من غير تقصيرٍ من الفاعل ولانقصان؛ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيّئة فمن نفسك[1]؛ بمتابعة[2] هواها وعدم الاستعداد لاحسان مولاها ، واعتبر ماقلنا [فى انّه] من لم يستعدّ لشىءٍ كان محروماً منه تجد الحريص على اقتناء أبقى اللّذّات وهو الحرص المحمود مشغولاً بأضداد مااشتغل به المحروم الشّقىّ محروماً[3] بعدم استعداده للملذّ الدّنىّ والكمال الوهمىّ البدنىّ فيصدق حينئذٍ انّ الحرمان مع الحرص فى المحرومين الحريصين من الطّرفين .

وقد تصدق هذه القضيّة فى المتعارف الظّاهر على وجهٍ آخر

وهو انّ الحرص فى طلب العطايا والمنح الدّنيويّة قد يكون مستلزماً لحرمان الطّالب ، واذا[4] قلنا انّ القضيّة مهملة امكن حملها ايضاً على هذا المطلوب وبيانه انّ الحرص يستلزم اللّجاج والالحاف[5] فى السّؤال ممّا ينفّر طباع المطلوب منه لما انّها لازمان للرّذيلة المنفور منها طبعاً ويولّد السّأم ، والنّفرة مستلزمة للبغض المنافى للميل الى العطاء ، وحينئذٍ يصدق انّ الحرص سبب الحرمان والمعلول مع علّته فى الوجود .

وانت اذا سبح فكرك فى بحر جواهر كلامه علمت انّ ينابيع الحكم[6] منبعثة منه ، وانّ علوم كثير العلماء جداول تأخذ[7] عنه ، شعر :

واذا قضى فى المشكلات ترادفت حكم تريك الوحى كيف تنزّلا

١ـ صدر آية ٧٩ سورة النساء . ٢ـ ا : «فمتابعة» . ٣ـ ليست فى ا . ٤ـ ب : «واذ» .

٥ـ د : «والالحاح» اقول : هما بمعنى واحد . ٦ـ ا : «ان الحكمة» . ٧ـ ج د : «تؤخذ» .

الكلمة العشرون

قوله عليه السّلام :عبدالشّهوة أذلّ من عبدالرّقّ.

اقول : اثبات هذا الحكم ببيان امرين :

احدهما ـ انّ المنقاد لشهوته ذليل أى مهين خاضع.

والثّانى ـ انّ مهانته واستجابته لشهوته أشدّ من مهانة عبدالرّقّ واستجابته لسيّده.

امّا الاوّل فلااشكال فيه اذلامعنى لانقياده لشهوته وعبوديّته لها الّا خضوعه وامتهانه فى يدها ،والضّرورة حاكمة بانّ المنقاد للشّىء والخاضع له ممتهن فى يده.

وامّا الثّانى فواضح ايضاً ويزيده[1] وضوحاً انّ خضوع عبدالرّقّ لمولاه وتذلله له قد يكون عن كره وعدم شهوة بل بحسب الغلبة والقهر والخوف من الاذى وحينئذ تكون الاعمال الصّادرة عن ذلك كثيراً ما تكون سمجة[2] غير منظومة ولاتامّة ومع ذلك لايخلو من مشاغبة ونفرة طبع يلحقه بحسب ملال يعرض له او بحسب شرّة فى طبعه بحيث لايفى بضبطها السّيّد فلايصدق معها الخضوع والامتهان والتّذلّل ،وامّا خضوع المنقاد لشهوته وامتهانها له فربّما خرج به الى حدّ لوقطع من جلده قطعة لم يحسّ بها حال انقياده لها؛واعتبر ذلك فيمن غلبته[3] شهوته وحكمت عليه بالوصول الى امرأة مستحسنة ممانعة له الى غير ذلك من المشتهيات؛فتجده بحسب خضوعه لشهوته وانقياده لها ممعناً فى امتهان نفسه فى احكام مايصدر عنه من الافعال واتقان[4] مايتحرّك فيه من الاعمال من غير سأم[5] ونفار ومن دون انفة اومراعاة حشمة وجاه ،ولوكان مايدعوه اليه الشّهوة أقبح الاعمال وأشنعها كبذل اللّصّ نفسه وماله فى تحصيل آلات السّرقة واصلاحها والخروج بها متخفّياً فى ظلام اللّيل والامكنة المخوفة والمواضع المخطرة الّتى يتيقّن غيره فيها الهلاك

١ـ ج د:«نزيده». ٢ـ كذا وفى نسخة ج د:«منتخبة»والظاهر:سمجة. ٣ـ ج : «غلبت عليه» د : «غلب عليه». ٤ـ ج : «وانفال» د:«وانفعال». ٥ـ ا : «تسأم».

لو سلكها ومع ذلك فتجده غير خائف بالنّسبة الى حكم شهوته وطاعة هواه وغافلاً عن كلّ شيء سواه، وربّما وقع فى الاسر وأشفى على الهلاك مرّةً ومرّةً وقطعت يده أو رجله فلا يبقى الّا ريثما يبرأ قطعه ثمّ يعود الى ما كان عليه حتّى لو قطعت آلات بدنه الّتى يتمكّن بها من السّرقة لكان فى خياله بحسب حكم شهوته انّه لو كانت له آلة يتوصّل بها الى صنعته تلك لعاودها، كلّ ذلك طاعةً لشهوته ومهانةً وخضوعاً فى يدها بحيث يجزم الانسان انّه لو كلّف عبد الرّقّ الّذى أحسن اليه المدّة الطّويلة بأقلّ تلك الاعمال وأيسرها أو فى وقتٍ لم تجر عادته بتكليفه فيه ولم يكن العبد مشتهياً لها لنفر طبعه منها ومانع[1] فى عدم قبول امره فيها، **واذا عرفت ذلك ظهر لك** انّ ذلّ[2] عبد الشّهوة اقوى من ذلّ الرّقّ بأضعافٍ وانّ من ساوى بينهما فقد فقد الانصاف وكابر عقله، وذلك مفهوم مقصده العزيز وسرّ لفظه الجزيل الوجيز، **وفيه تنبيه على وجوب قهر الشّهوة وكسرها** اذا كانت داعية[3] الى اتّباع الشّيطان والعدول عن[4] طاعة الرّحمن. وكان كثيرٌ ممّن يدّعى الشّرف والفضل ويزعم انّه كامل العقل ويسخط ويأنف ان ينسب اليه نقصان ورذيلة ويأبى ان يسلب عنه كمال وفضيلة؛ فضلاً عن ان يقال: هو رقّ لمولى منقاداً فى اسر الشّيطان متهالكاً فى طاعته وهو عن رشده غافل مذعناً ومشتغلا[5] بقبول[6] اوامر شهوته وهو لما يراد به جاهل؛ حتّى يتنبّه بهذه الاشارة اللّطيفه على انّه اذا كان انفته وعزّة نفسه ونفار طبعه من ان يقال: انّه رقّ لفلان العبد الصّالح انّما كان لما فى ذلك من الخضوع والامتهان ولما ينسب اليه من النّقصان فلِمَ ارتكب من طاعة شهوته والانقياد لها ما يوجب له الامتهان التّامّ الّذى هو اشدّ والنّقصان اللّازم الّذى هو آكد، بل ما يعدّه[7] للعذاب الاليم بسبب زيغه عن الصّراط المستقيم وهل ذلك الّا من جهله بالعواقب وقلّة عقله لما يلزمه من المصائب

١- ب ج د: «و بالغ». ٢- ج د: «ذلة». ٣- فى النسخ: «داعياً».
٤- د: «من». ٥- ب ج د: «منفعلا». ٦- فى النسخ: «لقبول». ٧- ا ج: «يعده» (بالباء الموحدة).

فينبغى للعاقل كما يأنف ان يقال: انّه عبد لمولى ان يأنف بالطّريق الاولى من ان يقال: هورقّ الهوى فيتقهقرعن متابعة الشّيطان ليخلص من[1] اسره؛ وينقاد لآثارالرّحمن وينفعل عن امره، ومن يتّخذالشّيطان وليّاً من دون الله فقد خسرخسراناً مبيناً[2].

الكلمة الحادية والعشرون

قوله عليه السّلام: الحاسد مغتاظ على من لاذنب له.

اقول: قد سبق بيان ماهيّة الحسد، **وامّا الغيظ** فظاهروالمقصود ههنا اثبات الغيظ للحاسد فى حال حسده على من لم يكن له ذنب معه **وبيان ذلك** انّا لمّا ذكرنا ماهيّة الحسد اعتبرنا فى ماهيّته حركة القوّة الشّهويّة وانبعاثها ثمّ انّ تلك الحركة مستلزمة لحركة القوّة الغضبيّة ودوام الغضب وثباته المسمّى حقداً بدوام الامرالمحسود به لتصوّر الاذى الحاصل من حركة القوّة الشّهويّة فى تحصيل ما لايمكنها تحصيله من حال المحسود وحينئذٍ يظهرلك المطلوب من هذه القضيّة وهو اثبات الغيظ الّذى هوالغضب للحاسد فى حقّ المحسود **وامّا انّ غيظ الحاسد يتحقّق فيمن** لاذنب له معالمحسودفظاهر؛ اذقد يتّفق ذلك بمشاهدة الحاسد للمحسود على حالة معيّنة مرّة واحدة، وقد يتّفق الحسد بحسب السّماع فلاذنب حينئذٍ الّا ماهو فيه من النّعمة والحالة المحسود بها كقوله[3]:

تعدّ ذنوبى عند قومٍ كثيرةً ولاذنب لى الّا العلى والفواضل

وكقول الامير علىّ بن مقرّبٍ فى شكايته من قومه[4]:

١- ج د: «ليتخلص عن». ٢- ذيل آية ١١٩ سورة النساء. ٣- هوالبيت الخامس من قصيدة لابى العلاء المعرى تشتمل على واحد واربعين بيتاً (انظر سقط الزند؛ الجزء الاول؛ ص ١١٠ من النسخة المطبوعة سنة ١٢٨٦). ٤- هومن قصيدة تشتمل على اثنين وسبعين بيتاً والبيت المذكور هوالبيت المشرون من تلك القصيدة (انظر ص ٣٧٢ من ديوان الامير جمال الدين على بن مقرب العيونى الشاعر الفحل المشهور وقد طبع ديوانه ←

ولا ذنب لى الاحجىّ وبراعةٌ ومجدٌ وبيتٌ فى ربيعة عال

وفى هذه الكلمة تنبيه على قبح الحسد ورداءة التّخلّق به والتّكيّف بهذا الغضب الخالى عن السّبب اذ[1] كان الغضب الّذى ينبغى يستدعى تقديم جريمة من المغضوب عليه، امّا الغضب الخالى عن السّبب فمن باب وضع الاشياء فى غير مواضعها وذلك خروج عن مقتضى العقل ومفارقة للانسانيّة؛ وبالله التّوفيق.

الكلمة الثانية والعشرون

قوله عليه السّلام: منع الموجود سوء الظّنّ بالمعبود.

اقول: منع الموجود اشارة الى البخل وهو منع ما ينبغى اخراجه من المال على الوجه الّذى ينبغى بحسب القانون المراعى فى استكمال فضيلة العفّة، وامّا سوء الظّنّ بالمعبود فتصوّره على الوجه الّذى لاينبغى ان يتصوّر عليه فى ذاته أو فى الحاق ذاته بصفاتٍ يجب ان ينزّه عنها، والمقصود من هذه الكلمة بيان انّ من جملة أسباب منع الموجود وعدم صرفه وفى وجهه وبذله لمستحقّه هو عدم تصوّر الخالق الرّازق على الوجه الّذى ينبغى وتصوّره كما لاينبغى الّا انّه اطلق لفظ الملزوم وهو سوء الظّنّ على لازمه وهو منع الموجود مجازاً

← هذا سنة ١٣٨٢ بمصر بتحقيق وشرح لعبد الفتاح محمد الحلو) فليعلم ان هذا الديوان طبع مرة اخرى قبل ذلك فى بمبئى سنة ١٣١٠ الا ان فيه نقائص كثيرة فان طلبت البيت من هذه الطبعة (انظر ص ٢٨١) وشرح البيت فيه هكذا «الحجى العقل، وبرع الرجل بضم الراء وفتحها اذا ناق اصحابه فى العلم وغيره» ومما يحقق ماذكرناه من كون الطبعة الاولى ناقصة ان القصيدة المشار اليها بانها اثنان وسبعون بيتاً فى الطبعة الثانية لم يطبع فى الطبعة الاولى منها الاسبعة وخمسون بيتاً من دون اشارة الى انها تشتمل على اكثر من ذلك والتفصيل موكول الى ملاحظة الطبعتين وقراءة مقدمة الطبعة الثانية.

١ـ ب ج د: «اذا».

وبيان ذلك انّ الوجه الّذى ينبغى ان يعتقد هو انّ صرف المال فى وجوهه معدّ له لاستحقاق امثاله وانّ معبوده هوالجواد المطلق والكريم المطلق و[1] لاتوقّف لافاضته العالية على أمرٍ فائتٍ من جهته[2] ولانقصان عارض لذاته بل على تمام استعداد القابل لاحسانه واستكماله باستعمال العقل فى وضع الاشياء مواضعها؛فاذا هوعدم ذلك الاعتقاد فقد استلزم ذلك عدم معرفته بالمعبود كما ينبغى ، ومن لم يعرفه على الوجه الّذى ينبغى ان يعرفه عليه لم يخل[3] فى تصوّره له من تكييفه[4] بكيفيّاتٍ غيرلائقةٍ بجوده و وصفه بهيئات غيرلاحقةٍ لكمال وجوده من تشبيهه[5] بملوك[6] الدّنياواصحاب الأموال الّذين ينسب اليهم الاعطاء والمنع والمفاخرة بجمع الاموال و كثرتها وادّخارها ، ويتضرّرون بانتقاصها وعدمها ، وانّ من صفات هؤلاء وجارى عاداتهم جمع الاموال الّتى هى قوام مناصبهم وبها استقامة أمورهم ومنع كثيرٍ من المستحقّين وعدم الالتفات من كثيرٍ منهم الى الفقراء والمساكين وكان هذا التّشبيه سوء ظنّ به اذ[7] كان اعتقاداً غيرمطابق لما عليه الامر فى نفسه[8]، وكان مستلزماً لمتابعة النّفس الأمّارة بالسّوء الحاكمة بانّ المال هوالكمال الّذى ينبغى ان يطلب ويقتنى ، وانّه ثمرة الاعمال الّتى يجب ان تجتنى؛وانّ مطلق الانفاق داعية للفقر وسبب للحاجة[9] الى من للمال عنده حرمة ويجوّز ان لايعطى المستحقّ ولايفيض الكمال على المستعدّ له النّاشىء كلّ ذلك من عدم معرفته كما ينبغى وتصوّره على الوجه الّذى لاينبغى وكان[10] ذلك سبباً لمنع الموجودات الفانية وسدّاً لسبل الخيرات الباقية وصدّاً عن الصّعود الى المقامات العالية، ومن يكن الشّيطان له قريناً فساء قريناً[11] وماذا عليهم لوآمنوا بالله والبوم الآخر[12] بالتّصوّرات المناسبة لمقتضى الاوامر الشّرعيّة «وأنفقوا

١- الواو فقط فى نسخة ا. ٢- د : «من وجهه». ٣- ا ب : «ولم يخل» (بواو). ٤- ج د: «تكيفه». ٥- ج د: «تشبهه». ٦- ب: «لملوك». ٧- ب: «اذا». ٨- ا: «عليه الامر نفسه». ٩- ج د: «وسبب الحاجة». ١٠- ج د : «فكان». ١١و١٢- ذيل آية ٣٨ و صدر آية ٣٩ سورة النساء.

ممّا رزقهم الله[١]» على وفق تلك المناسبات العقليّة « و كان الله بهم عليماً »[٢] مطّلعاً على تفاوت درجاتهم ومراتب استحقاقاتهم فينزّل بقدرٍ مايشاء[٣] انّه حكيم عليم[٤].

وفي هذه الكلمة اشارة الى وجوب السّعي في تحصيل المعرفة الممكنة اللّائقة بالمعبود لتحصل بها السّلامة عن رذيلة البخل الّذى هو سبب الحرمان في الدّارين، والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثالثة والعشرون

قوله عليه السّلام: العداوة شغل القلب.

اقول: قد عرفت معنى العداوة وانّها رذيله تقابل فضيلة الصّداقة تقابل الضّدّين، **وامّا اثبات المطلوب من هذه الكلمة** وهوانّها شغل القلب مستلزمة للغضب الثّابت وقد عرفت انّ الغضب حركة للنّفس[٥] يحدث منها حرارة دم القلب وغليانه شهوةً للانتقام، فاذا كان الغضب ثابتاً دائماً كان ذلك الغليان متجدّداً في كلّ وقتٍ ولحظةٍ وذلك شغل عظيم للقلب ملفت عن سائر أشغاله الواجبة، **وان شئت فاحمل ذلك بنظرٍ آخر ادقّ من هذا النّظر على ما هو ادقّ من هذا المعنى** وذلك انّك قد علمت انّ القلب قد يعبّر به في عرف العارفين عن القوّة العاقلة الّتى هى محلّ العلوم الكلّيّة ثمّ قد علمت انّ العداوة بغض صادق يهتمّ معه بجمع[٦] الاسباب الموذية للمبغوض واذا كان كذلك كان كون العداوة شغلاً للقلب ظاهراً لانّ اهتمام النّفس بجمع اسباب الاذى للمبغوض وتحصيلها وفكرها في كيفيّة التّحصيل وفي كيفيّة الخلاص والسّلامة من مماكرة[٧] العدوّ وكيده والاحتراز عن ذلك شغل شاغل لها وملفت عن توجّهها الى المقاصد الحقّة الّتى يجب سعيها فيها، **واذا لاح**

١و٢- ذيل آية ٣٩ سورة النساء. ٣- مأخوذ من آية ٢٧ سورة الشورى باضافة الفاء على اولها. ٤- ذيل آية ١٣٩ سورة الانعام. ٥- ج د: «في النفس».
٦- في النسخ: «من جميع». ٧- أ ج د: «والسلامة مماكره».

لكك سرّ هذه الكلمة عرفت انّه مستلزم للتّنبيه على ترك هذا الشّغل وذلك انّما يكون بحسم سببه المذكور فانّه رذيلة يستلزم وجودها نفى فضيلة الصّداقة الموجبة للاتّحاد فى الواحد الحق[1] الموجب لسعادة الدّارين.

الكلمة الرابعة والعشرون

قوله عليه السّلام: لاحياء لحريص.

اقول: قد علمت انّ الحياء هو انحصار النّفس خوف اتيان القبائح وحذراً من الذّمّ والسّبّ الصّادق، وانّ الحرص المذموم هو بذل الوسع فى طلب الأمور الفانية كاقتناء الاموال وجمعها والسّعى فى تحصيل اللّذّات الحاضرة الوهميّة الّتى هى بالحقيقة دفع آلام، واذا تصوّرت هذين المعنيين لاح لكك وجه المضادّة بينهما اذ[2] كان باذل الوسع فى تحصيل ماذكرنا[3] غير منفكّ عن[4] قحة وخشونه وجه يتمكّن معها من المنازعات والمخاصمات والمماحكات فى البيع والشّراء وغيرهما من التّصرّفات، واذا كان كذلك لم يتحقّق فى حقّه حينئذٍ خوف اتيان القبائح و لم يكن عنده حذر من الذّمّ، ولا مبالاة بالشّتم والسّبّ؛ وذلك يستلزم عدم الحياء ونفيه[5] عن محلّ الحرص بالكلّيّة، ولمّا كان الحياء والحرص ممّا لايجتمعان وعلمت انّ الحياء فضيلة من الفضائل الّتى تحت العفّة وانّ العفّة جزء عظيم من اجزاء العدالة الّتى بها يكون الانسان[6] كاملاً فى قوّتيه[7] العمليّة والنّظريّة **وجب عليك ايّها الأخ** ان يكون بُعدك من الحرص بعد حرصك على لزوم فضيلة الحياء والمحافظة عليها ان كانت موجودة فيك وان لم تكن فليكن حرصك على غسل درن الحرص لتحصيلها؛ والله يوفّقنا وايّاك لما يزلف لديه؛ انّه جواد كريم.

١- ب: «الحى». ٢- ب: «اذا». ٣- ب: «ذكرناه». ٤- ب ج د: «من». ٥- ج د: «وبعثه». ٦- ج: «النفس». ٧- ا ب ج: «قوته».

الكلمة الخامسة والعشرون

قوله عليه‌السّلام : البخل جامع لمساوى العيوب[١].

اقول : قد عرفت ماهيّة البخل ، **ومساوى العيوب مقابحها** وقبل بيان المقصود نذكر **درجات البخل وهى اربع ؛فالاولى** منع ماينبغى منه لمستحقّ هو غيره وهو اهون درجاته. **الثّانية** منع ماينبغى منه لمستحقّ هو نفسه وهذه اشدّ من الاولى ؛لانّ منع نفسه الّتى هى اكرم عليه من الغير اشدّ من منع الغير اذ كان لم يسع فى تحصيل ذلك الممنوع الّا لنفسه. **الثّالثة** منع ماينبغى من غيره لمستحقّ غيره وهى اشدّ من الثّانية ؛لانّ حبّه لما يتوهّم انّه يملكه اهون من منعه لمالا يملكه لامكان تصوّرا نتفاعه بما يملكه دون مالا يملكه، **الرّابعة** منع ماينبغى من غيره لمستحقّ هو نفسه وهذه اشدّ الدّرجات وصاحبها ابعد الجماعة عن الرّشح للخير ؛لانّ هذه الدّرجة مستلزمة للثّلاث الاول مع زيادة وهى انّه منع احقّ مستحقّ عنده لأبعد الاشياء عن ملكه ؛ هذه[٢] هى الدّرجات ،فامّا اسبابها فاعلم انّ السّبب امّا فى الدّرجتين اللّتين يمنع فيهما ماله عن[٣] غيره وعن نفسه فأكثر مايكون فى الابتداء خوف الفقر والحذر من الحاجة الى من يمنع الرّزق الصّادر ذلك عن سوء الظّنّ بالمعبود كما عرفت قبل الى ان[٤] يصير ذلك بحسب التّكرّر والتّعوّد ملكةً وخلقاً وحينئذٍ لايبقى له مع المنع مراعاة تلك الاسباب وخطورها ببـاله بل يصير ذلك المنع طبيعة ، وامّا فى الباقيتين اللّتين يمنع فيهما مال غيره عن نفسه وعن غيره فلانّه لمّا كان تكيّف بالملكة الرّديّة المذكورة وتخلّق[٥] بها صار عند مشاهدة البذل من غيره يقدّر بحكم وهمه انّه واقع فى ذلك البذل وانّه هو الفاعل له فيلحقه حينئذٍ من ذلك نفرة طبيعيّة[٦] يحكم معها بقبح ذلك البذل من فاعلـه ويحبّ منه ان لايبذل ليكون موافقـاً لطبعه[٧] ولا يزال يسمعه التّوبيخ

١ـ لهذه الكلمة شرح للشارح (ره) فى نهج البلاغة ونورده فى آخر الكتاب ان شاء الله.

٢ـ ج د: «فهذه». ٣ـ ا: «على». د : «من». ٤ـ ا: «قبل ان». ٥ـ ا : «تحلى».

٦ـ ج د : «طبعية». ٧ـ ا : «لطبعه بطبعه».

وينسبه الى تجاوز قدره الّذى يجب ان يقف عنده ومايشبه ذلك ممّا ينفّر طبعه منه لكيلا يعود الى ذلك البذل ولايكثر منه **واذا عرفت ذلك فنقول** : المراد من هذه الكلمة بيان انّ رذيلة البخل مستلزمة لمقابح[١] الرّذائل وقد عرفت انّ اجناس الرّذائل اربعة ؛ الجهل والشّره والجبن[٢] والجور؛ ونحن نبيّن انّ هذه الأربعة لازمة لرذيلة البخل موجودة فى محلّها ، امّا الجهل ونعنى به ههنا المركّب فلانّك عرفت انّ البخيل لايخلو تصوّره لمعبوده من تكييفه[٣] بكيفيّات غير لائقة بجوده وغير لاحقة لكمال وجوده من تشبيهه[٤] بخلقه المنتفعين بوجود الاموال والمتضرّرين بفقدها وذلك اعتقاد غير مطابق لما عليه الامر فى نفسه وهو حقيقة الجهل المركّب ، **وامّا الشّره** فقد عرفت انّه غلبة الحرص على اقتناء الملذّات[٥] البدنيّة والانهماك فيها والخروج فى ذلك الى مالاينبغى.

ولايخفى انّ البخل مستلزم لغلبة الحرص فى جمع[٦] الملذّات[٧] الماليّة والانهماك فيها والخروج الى الحدّ المنهىّ عنه ، **وامّا الجبن** فقد عرفت ان حقيقته الخوف ممّا لاينبغى ان يخاف منه **ولايخفى** انّ البخيل ابداً خائف من الفقر وجل من حدوث الحوادث فى ماله بحيث لاينسب مثل ذلك الخوف الى غيره وذلك خوف ممّا لاينبغى ان يخاف منه لانّ مايحافظ عليه منه لاشكّ انّه من الأمور الكائنة الفاسدة ومن خاف فيما[٨] لابدّ من كونه ورجا ان لايفسد فقد خاف ممّا لايجوز ان يخاف منه وهو عين الجبن ، **وامّا الجور** فقد عرفت انّ حقيقته التّوصّل الى كثرة المقتنيات من حيث لاينبغى وكما لاينبغى ويلزمه طلب الزّيادة من النّافع للنّفس[٩] وطلب النّقصان منه للغير ولايخفى انّ البخل مستلزم لذلك فانّ البخيل لغلبة حرصه وجهله يجتهد فى طلب الزّيادة من اىّ الوجوه[١٠] كانت ويتوصّل الى جمع الاموال من حيث لاينبغى بحكم وهمه الكاذب انّ ذلك ممّا ينبغى.

١- اج د : «لقبائح». ٢- د : «والجبن والشره». ٣- ب د : «تكيفه».
٤- ب د: «من تشبيهه». ٥- ج د : «اللذات». ٦- ب: «جميع». ٧- ج د: «اللذات».
٨- ج د: «مما». ٩- ب : «النفس» (بدون لام الجر). ١٠- «الوجود».

واذا ثبت[١] انّ اصول الرّذائل الاربعة لازمة للبخل موجودة فى محلّه كان ما يلزمها من الرّذائل ايضاً كذلك فتجد الكذب الّذى هورأس النّفاق عارضاً عن الشّره اذا كان الشّره خارجاً ممّا[٢] يطلبه الى مالاينبغى على وجه لاينبغى كالاكاذيب[٣] والحيل الباطلة وغيرها وكالجرأة[٤] والتّعوّد لسلب الاموال وسفك الدّماء وهلاك الانفس[٥] النّاشئ من طبيعة الجور ، وكالاعراض عمّا يجب فعله من المحافظة على الحريم والذّبّ عنهم[٦] والقصور فيما ينبغى القيام به من السّياسات وتنفيذ الاحكام الّتى[٧] يجب تنفيذها المستلزم لعظم الهمّة اللّازم ذلك للجبن المذكور وكالنّقصان البائر[٨] اللّازم للجهل الى غير ذلك من العيوب الفاحشة وبالجملة فاذا تأمّلت اصناف قبائح الرّذائل ومساوى العيوب وجدتها منبعثة[٩] عن هذه الاربع.

وينبغى ان ينبّه من هذه الكلمة على وجوب الهرب من هذه الرّذيلة وغسل لوح النّفس عن درنها ليسلم ممّا يلزم عنها من مقابح[١٠] الرّذائل وما يصحبها من مساوى العيوب فيترشّح لاقتناء الباقيات الصّالحات فعسى ان يكون من المفلحين[١١] والله يدعو الى دار السّلام ويهدى من يشاء الى صراطٍ مستقيم[١٢].

الكلمة السادسة والعشرون

قوله عليه السّلام: كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق.

اقول: الوفاق الموافقة فيما يقال من الآراء ويختار من الافعال الصّادرة عن الاغراض والارادات[١٣] الّتى قد تختلف ، **وامّا النّفاق** فقد سبق بيانه **والخلاف** المخالفة فيما يقال

١- ج د : «بينت». ٢- ا ج د : «فيما». ٣- ج : «كالاكاذب». ٤- ب: «وكالجراءة». ٥- ب : «النفس». ٦- كذا فى النسخ والظاهر انه : «عنه». ٧- ب : «الذى». ٨- ا : «الثائر» ب : «الباتر» ج د : «التاثر» فالتصحيح قياسى. ٩- ا ب : «مستتبعة». ١٠- ا : «قبائح». ١١- ذيل آية ٦٧ سورة القصص. ١٢- آية ٢٥ سورة يونس. ١٣- ج د : «والارادة».

من تلك الآراء **والشّقاق** الافتراق من شقّ العصا؛ اذا قسمتها بنصفين، **وههنا حكمان؛ الاوّل** انّ كثرة الوفاق نفاق وليس المراد انّ كثرة الموافقة هونفس النّفاق بل المراد انّه لازم له فأطلق اسم الملزوم على لازميّة[١] كثرة الوفاق للنفاق مجازاً اذالتّقدير كثرة الوفاق لازم من لوازم النّفاق، واظهر من ذلك انّه حذف المضاف للعلم به واقام المضاف اليه مقامه، **واما علّة هذا الحكم** فلانّ الآراء مختلفة اختلافاً شديداً تكادلاتتناهى[٢] بحسب اختلاف التّصوّرات وجودة الحدس وضعفه واستقامة التّخيّل[٣] واعوجاجه الصّادرعن التّفاوت فى الامزجة حتى انّك تجد لكثيرٍ[٤] من النّاس آراء يستبدّون[٥] بها لاتكاد تتصوّر[٦] موافقة احدٍ لهم فيها **ثمّ ان كان لابدّ من الوفاق** الصّحيح الّا انّ ذلك لايكون الّا فى الاحكام الضّروريّة أو البرهانيّة وهى مع انّها اقليّة الوجود بالنّسبة الى الاحكام الّتى تخفى اسبابها فتكاد تسلم من اختلاف الآراء فيها ، أو[٧] لايقع لها انكار أوتصوّرعلى وجهٍ آخر، **واذا عرفت ذلك فاعلم** انّ الّذى يكثروفاقه فى كلّ مايقال أويستشار فيه يستحيل أو يكون فى غاية البعد ان يقال : انّ تلك الموافقات منه مطابقة اعتقاده الصّادرعن النّظر فى الامارات الصّادقة وعن تخالف الامور وانّ ذلك هوالّذى ادّى اليه اجتهاده بل الّذى ينبغى ان يعتقد انّ ذلك انّما هو نفاق لخروجه[٨] به عن الصّدق فى عدم مطابقة ظاهره لباطنه وقد علمت انّ النّفاق ذلّة[٩] واستخذاء[١٠] نفس واستجابتها وانفعالها عن مقابلة المستشير والقائل وخاصّة ان يكون معظّماً فى ملكه أو علمه أو حال يوجب له الاحتشام **وهذا الحكم مستلزم للتنبيه على وجوب الحذر عن كثرة الوفاق** فانّها من آثار رذيلة المهانة والانظلام الّتى هى طرف التّفريط من الشّجاعة اذ تبيّن لك من هذا البحث

١- ب : «الزمية». ٢- ا ب : « يكاد لايتناهى». ٣- ج د : « البخيل ».
٤- ب ج د : «للكثير». ٥- ا : «مستبدون». ٦- ا : «لايكاد يتصور». ٧- ج د : « و». ٨- ا ج د : «بخروجه». ٩- ت ج د : « لذلة ». ١٠- ا : « و استجذاب ».

ترتيب البرهان على ذلك وصار الترتيب «كثرة الوفاق نفاق، والنفاق ذلة» فانتج انّ كثرة الوفاق ذلة، **امّا المقدّمة الاولى** فبيّنة من بحثنا؛ **وامّا الثانية** فقد تقدّم تقريرها وتبيّن من بيانها انّ كثرة الوفاق من لوازم النفاق الذى هو من لوازم المهانة ولازم اللازم لازم ولن يتخلّص عن ذلك الّا بمعاجلة المعالجة[1] لغسل الباطن من رذيلة المهانة لانّ معالجة هذه الامراض تستدعى حسم اسبابها اوّلاً بتعويد النفس وتطويعها باضداد تلك الاسباب، **وامّا الحكم الثانى** فهو انّ كثرة الخلاف سبب للشقاق وملزوم له واطلاق الشقاق على لازميّة كثرة الخلاف مجاز، **وامّا برهان هذا الحكم** فلانّ الخلاف بطبيعته مثير للقوّة الغضبيّة المحرّكة الى طلب الانتقام من المتخالفين الموجب للعداوة والبغضاء وتنافر الطباع واذا كان اصل طبيعته فما ظنّك بكثرته والخروج فيه الى مالا ينبغى وايراده فيما لا ينبغى وقد كنت عرفت انّ طلب الانتقام مثير للعداوات[2] ومن لوازم العداوة التباين والافتراق فتعلم حينئذٍ انّ كثرة الخلاف موجبة للشقاق لما انّ علّة العلّة علّة، **واعلم** انّ هذين الحكمين مستلزمان للتنبيه على وجوب لزوم الوسط بين طرفى الافراط والتفريط الذى هو الشجاعة امّا طرف الافراط فعلّته[3] كثرة الخلاف فانّ ذلك بالحقيقة صادر عن تهوّر واقدام على ما لا ينبغى الاقدام عليه، وامّا طرف التفريط فهو علّة كثرة الوفاق التى هى المهانة فانّ الانسان بارتكاب الطرف الاوّل يحصل على الشقاق والتباين الموجب للتباغض المنافى للمحبّة والاتّحاد فى الله تعالى التى هى سبب لاستنزال[4] رحمته وبركاته، وبارتكاب الطرف الثانى يحصل على الرذيلة المذكورة وملزومها؛ وكلاهما منهىّ عنهما، **فينبغى للعاقل** ان يثبت على الوسط ويتثبّت[5] بعرى عقله دون ان يجذبه هواه الى سلوك احد الطرفين فيكون من الهالكين؛ والله ولىّ العصمة.

١ـ ا: «بالمعالجة العاجلة» ج د: «بمعالجة المعالجة». ٢ـ ج د: «المعداوة».

٣ ـ ا ج د: «فعله». ٤ـ ا: «لاشتراك». ٥ـ فى بعض النسخ بلا نقطة فيمكن ان يقرأ «يتشبث» (بالشين المعجمة).

الكلمة السابعة والعشرون

قوله عليه السّلام : البغي سائقٌ الى الحين.

اقول : البغي الظّلم ، و **الحَيْنُ** ههنا بفتح الحاء الهلاك ، **والمراد** انّ الظّلم من الاسباب المعدّة لبطلان حياة الظّالم ومقرّبٌ لهلاكه ، و **أطلق** عليه السّلام **لفظ السّائق** على الظّلم مجازاً من باب الاستعارة ، و وجه المشابهة انّ السّائق[1] كما يكون لسرعة الوصول بسيره الى المكان المقصود كذلك الظّالم يكون ظلمه سبباً لسرعة وصوله الى أجله ؛ **وامّا علّة هذا الحكم فهو** انّ الظّالم انّما ينتزع بظلمه من الخلق مايكون همهم معلّقةً بحفظه واقتنائه ونفوسهم حريصةً على بقائه في أيديهم وهو سبب لذّتهم ومُتعتهم[2] ومايتوهّمون انّه ملك فيكون بذلك معرّضاً نفسه لاجتماع همهم[3] في اذاه واجتهادهم في دفعه واهلاكه امّا باستعداء ظالمٍ آخر اوعادلٍ عليه وامّا بأيديهم وامّا بفزع نفوسهم الى الله تعالى وتفريغ خواطرهم واعدادها بالادعية والابتهالات لان تفاض عليها اجابة الدّعوات بانزال العقوبة العاجلة له كما عرفت كيفيّة ذلك الاستنزال وامكانه ، وحينئذٍ تكون حركة الظّالم في ظلمه سبباً باعثاً لحركة المظلوم في طلب الانتصار وأخذ الثّار على احد الوجوه المذكورة فكان[4] ظلمه سبباً قائداً له الى حينه ، ولمّا كان قرب الحين منفوراً منه[5] طبعاً للخلق وكان الظّلم سبباً سائقاً اليه **وجب عليك ايّها الاخ** ان تنظر بعين بصيرتك مااستلزمته هذه اللّفظة من التّنبيه على وجوب ترك الظّلم سيّما وقد علمت انّه من أعظم الرّذائل وأقبحها ، والله يثبّت أقدامنا في مزالّ الاقدام ، ويطهّر نفوسنا من ادناس الآثام ، انّه وليّ الانعام وصاحب الأيادي الجسام .

---

١ - كان الشارح (ره) قرأ الكلمة « السابق » بالباء من مادة «س ب ق» والحال انه معتل العين من ساق «س و ق» كما هو ظاهر .
٢ - ب ج د : « و منفعتهم » .
٣ - ب : «همهم» .
٤ - ا : «وكان» .
٥ - ب : «عنه» .

الكلمة الثامنة والعشرون

قوله عليه السّلام: أوحش الوحشة العجب.

اقول: الوحشة نفرة طبيعيّة تعرض للحيوان عن تصوّر الموذى؛ وتقابل الانس تقابل الضّدّين، **وامّا العجب فهو** ظنّ كاذب بالنّفس فى استحقاق مرتبةٍ هى غير مستحقّة لها، ولمّا كانت الوحشة مقولةً بالتّشكيك على ماتحتها؛ اذ[1] كان من الوحشة ماهو أشدّ ومنهاماهوأضعف ظهرحينئذٍ انّ تقديرالقضيّة: «اشدّ درجاتالوحشة وأبعدها عن الانس العجب» واعلم انّ العجب نفسه[2] ليس بوحشةفيعود التّقدير الى «انّ اوحش الوحشة مسبّب عن العجب ولازم له» **فأطلق** لفظ العجب عليه مجازاً كما سبق بيان مثله، **اذا عرفت ذلك فنقول: امّا برهان سببيّة العجب للوحشة** فلانّ المعجب بنفسه اذا اعتقد ماله على غيره من الفضيلة **فهو** وان أكذب نفسه فيها فى بعض الاحوال الّا انّه كثيراً ما يبعثه[3] الالتذاذ بتصوّر تلك المرتبة ولوازمها وتخيّل زينة نفسه بها وتميّزها عن اغيارها[4] بسببها على اكذابها[5] فيعبر[6] الى حدّ التّيه فيتيه ويتجبّر على غيره ويستنقص ابناء نوعه لتصوّر التّفرّد بالمرتبة الّتى لنفسه **فكان ذلك سبباً لتنفّر**[7] **طباع الخلق عنه ووحشته منه من وجهين:**

احدهما ــ انّا بيّنا انّ التّواضع ولين الجانب واظهار النّقص من الكمال لنفسه تقريراً للتّواضع وبسطاً من طباع الاخوان ميلٌ لطباعهم اليه وموجبٌ للالفة الموجبة للانس والمحبّة فكان التّيه والعجب وما يصحبهما من اضداد ماذكرنا موجبين للنّفرة الطّبيعيّة المستلزمة للتّباين المستلزم للوحشة والانقطاع وعدم المحبّة.

---

١ ـ ب: «اذا». ٢ ـ ا: «ان الانس وحده». ٣ ـ فى النسخ: «تشغله» فالتصحيح نظرى. ٤ ـ ج د: «على اعتبارها». ٥ ـ د: «على اكذبها». ٦ ـ ج د: «فتصير». ٧ ـ ا ب: «لتنفير».

الثّاني ــ انّ الكمال من حيث هو كمال محبوب للنّفس ومطلوب لها ثمّ انّ الانسان يكاد يخلو عن الحكم الوهميّ في حقّ نفسه باستحقاق كمال ما لايكون لغيره او ان كان لكنّه يكون لآحاد النّاس كانسانٍ اطّلع بصفاء سريرته وارشادالله تعالى اياّه على عيوب نفسه فكسر غلوّ العجب عنها، واذا كان كذلك فالمعجب اذا أعجب بنفسه وتاه على غيره لاعتقاد المزيّة عليه لم يخل ذلك الغير من ان يكون له مثل ذلك الاعتقاد اويكون مطّلعاً على قبحه لعلمه بانّه عيب من العيوب الفاحشة **وعلى التّقديرين فانّ ذلك العجب موجب للنّفار**[1] **امّا في حق الاوّل** فلعدم تسليمه لما يعتقده هذا المكبر[2] لنفسه عليه من التّفرّد بالمزيّة والكمال لانّ الكمال المعتقد هناك قد يكون عند المتكبّر عليه اشدّ وارسخ في اعتقاده؛ وعند عدم التّسليم والانكار للدّعوى ممّن اصرّ[3] عليه لابدّ وان يحصل الوحشة بينهما، **وامّا في حقّ الثّاني** فلاستنقاصه عقل المتكبّر والمعجب واطّراحه عن درجة الاعتبار وعدم تأهّله في نظره واعداده للمعاشرة والالفة والصّداقة فهذه اسباب النّفرة الطّبيعيّة للخلق من المعجب **بقي علينا** ان نبيّن انّ الوحشة الصّادرة عن العجب أشدّ درجات الوحشة وأبعدها عن الانس **وبيان ذلك** انّ اقوى ما يتصوّر من اسباب الوحشة قد يكون علاج ما يوجبه منها سهلاً ومعاناة حسمها هيّناً؛ فانّ من أعظمها وأقواها قتل الاحبّاء والاولاد وقطع بعض الاعضاء اوالضّرب المؤلم الممرض فقلّما يكون مثل هذه الاسباب في القوّة وايجابها للوحشة والقطيعة ومع ذلك فانّ علاج مثل هذه الوحشة يكون سهلاً امّا ببذل الاموال الكثيرة او بالرّفق واللّين او ببذل القصاص ويكون ذلك في أقصر مدّة وأيسرها، **وامّا العجب** فانّ علاجه وحسمه قد لايمكن وان امكن فانّه يكون غايةً من[4] العسر وبيانه انّ علاج ذلك متوقّف في الانسان على معرفة نفسه اوّلاً[5] وهي درجة عظيمة قلّ الواقفون عليها واذ اعرفها فينبغي ان يعرفها بكثرة العيوب والنّقصانات المعتورة لها وهذه درجة في غاية الصّعوبة ايضاً فانّ

---

١ ـ ج د : «للعناد». ٢ ـ ج : «التكبر» د : «المتكبر». ٣ ـ ج د : «نظره».
٤ ـ ا : «في». ٥ ـ ب ج : «اولي».

احصاء العيوب النّفسانيّة بالاطّلاع عليها وكسر توهّم النّفس لكمالها عسر بالكلّيّة ثمّ اذ اعرفها بكثرة العيوب [فينبغى] ان يعرف[١] انّ الفضل مقسوم بين البشر وليس يكمل منهم احد الّا بفضائل تجتمع له وكلّ من كانت فضيلته عند غيره فينبغى ان لا يعجب بنفسه ولا يفتخر على غيره وكلّ هذه المراتب وان كانت ممكنة فى نفس الامر الّا انّها فى حقّ كثير من الخلق غير ممكنة وفى حقّ الأكثر منهم عسرة التّحقّق صعبة التّناول، واذا كان كذلك الوحشة العارضة عن اسبابها دائمة قويّة عسرة العلاج لعسر علاج أسبابها فكانت أقوى وحشة وأشدّها فانّ قوّة المعلول مستفادة من قوّة علّته وحينئذٍ يتبيّن[٢] لك سرّ قوله «اوحش الوحشة العجب».

وينبغى لك ايّها الاخ ان تتنبّه مما يسنح لك من سرّ هذه الكلمة على وجوب ترك العجب والاجتهاد فى حسمه اذ[٣] كان سبباً عظيماً من اسباب الهلاك فرتّب فى ذهنك دليلاً هكذا : العجب سبب[٤] من الاسباب المانعة من استعداد النّفس لكمالاتها المسعدة[٥] وكلّ ما كان كذلك كان واجب التّرك ينتج[٦] من الشّكل الاوّل انّ العجب واجب التّرك، **امّا المقدّمة الاولى** فجليّة ممّا قرّرناه، **وامّا الثّانية** فلانّ الكمال المسعد[٧] واجب الطّلب والاسباب المانعة من الاستعدادات للطّلب منافية له فكان تركها وسيلة الى تحصيل الواجب ومالا يتمّ الواجب الّا به وكان مقدوراً للمكلّف كان واجباً ؛ وانت بعد ان علمت كيفيّة علاج حسمه عليم بما تصنع ؛ والله ولىّ توفيقنا وبه هداية طريقنا .

---

١ - كذا. ٢ - ا ج «تبين». ٣ - ب ج د : «اذا». ٤ - ج د : «سبباً». ٥ - ب : «المستعدة» ج د : «المعدة». ٦ - ب ج : «لينتج» (بلام فى اوله). ٧ - ب : «المستعد» ج د : «المعد».

الكلمة التاسعة والعشرون

قوله عليه السّلام :

اذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه

اقول: المقصود من هذه الكلمة الحثّ على الفضيلة التي تسمّى عفواً وتسمّى في عرف العلماء مسامحةً وهي بالحقيقة ترك بعض ما يجب بالارادة والاختيار ولاشكّ انّ هذه الفضيلة مستلزمة لكثير من الاخلاق الفاضلة كالسّخاء والنّبل والسّماحة وكذلك هي مستلزمة لفضائل اخرى من باب الشّجاعة كالملكة المسمّاة بالحلم فانّ نفس صاحب العفو تكون مطمئنّة خالية عن الشغوبة بحيث لايحرّكها الغضب بسهولةٍ وكاحتمال الكدّ فانّ استعمال النّفس للعفو مرّة ومرّة يدلّ على انّ لها قوّة تستعمل بها الآلات البدن في الامور الحسنة[1] بالتّمرين وحسن العادة الى غير ذلك من الفضائل، **وانّما علّقه عليه السّلام بالقدرة** لانّ ظهور فضيلة العفو للنّفس انّما يتحقّق بعد تحقّق القدرة بحسب اعتقاد العافي انّه متى شاء العقوبة كان متمكّناً منها سواء كان ذلك التّمكّن حاصلاً في نفس الامر او ليس، وامّا قبل ذلك الاعتقاد فلا يتحقّق العفو اذ لم يكن في هذه تاركاً لبعض ماهو واجب له لعدم تحقّق وجوب الانتقام، وامّا الامر له بجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه فلانّ القدرة التي وهبها الله تعالى له نعمة عظيمة والشّكر على النّعمة واجب وان كانت هذه القضيّة ليست باوّلية بل من المشهورات المحمودة والتّأديبات الصّلاحية التي توافقت عليها الشّرائع وتطابقت عليها آراء الخلق في اصلاح معاشهم ومعادهم ومع ذلك **فانّ للشكر وخاصّةً للمنعم المطلق اثراً عظيماً** اذ هو من الاسباب القويّة في اعداد القوّة العقليّة بالمداومة عليه لقبول آثار الرّحمة وتأهّلها لاستنزال[2] المطلوبات بالابتهالات وصالح الادعية واذا كان كذلك

---

١ - ج د : «الحسية». ٢ - ج د : «لاشتراك».

فينبغي من العاقل اذا قدر على عدوّه ان يعلم انّ الشّكر كما يكون معدّاً للنّفس لقبول الخيرات المذكورة كذلك العفو فانّه مستلزم للفضائل الّتي ذكرناها وبها تحصل على الخيرات الدّائمة فلذلك أطلق عليه السّلام لفظ الشّكر عليه لمكان المناسبة فكما انّ تلك الخيرات يجب ان يجتهد في تحصيلها بالشّكر الّذي بيّنا كيفيّة حصولها عنه كذلك يجب ان يجتهد في تحصيل الفضائل الّتي يستلزمها العفو بالمداومة عليه مرّةً ومرّةً حتّى تظهر تلك الفضائل الّتي تلزمها عن النّفس، فان اقام العافي عفوه مقام شكر الله تعالى على اقداره على عدوّه فنعم العوض، وان جمع بينهما كان أجمع لطريق الخيرات وذلك هو المراد من قوله «فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه» اي عوضاً من الشّكر فانّ حقيقة العفو ليست نفس الشّكر؛ والله ولي التّوفيق.

الكلمة الثلاثون

قوله عليه السّلام: البخيل مستعجل الفقر يعيش في الدّنيا عيش الفقراء ويحاسب في الأخرة حساب الاغنياء.

القول: قد عرفت حقيقة البخل وأقسام البخلاء **وقد ذكر** عليه السّلام **ههنا للبخيل ثلاثة أحكام:**

الاوّل ـ انّه مستعجل للفقر وبرهانه انّ الاستعجال هو طلب الشّيء الّذي لابدّ من وقوعه وذلك الطّلب امّا ان يكون طلباً ارادياً ذاتياً، اوطلباً عوضياً عارضاً بسبب الاخلاق الرّديّة، ولمّا كان الفقر لابدّ من وقوعه للبخيل بسبب انتقال ملكه الى احد شريكيه كما قال عليه السّلام: لكلّ امرئٍ في ماله شريكان؛ الوارث والحوادث[1] كانت غاية ذلك عدم الانتفاع بالمال وعدم تصريفه فيما ينبغي من وجوهه، وكانت هذه الغاية حاصلةً في حقّ البخيل في مدّة وجوده بحسب اقتضاء اخلاقه الرّديّة لها لاجرم كان مستعجلاً للفقر.

---

١ ـ ا: «والحادث».

الحكم الثّاني ـ انّه يعيش في الدّنيا عيش الفقراء، وهذا الحكم ايضاً ظاهر؛ فانّ مقتضى رذيلة البخل التّقتير وجمع المال وضبطه وذلك مستلزم لقلّة[١] الانفاق المستلزمة[٢] لسوء المطاعم ورداءة العيش وقلّته الّتي هي بالحقيقة صفات[٣] عيش الفقراء فظاهر[٤] انّ البخيل يعيش في الدّنيا عيش الفقراء.

الحكم الثّالث ـ انّه في الاخرة يحاسب حساب الاغنياء، والحساب على[٥] ما ورد به ظاهر الشّريعة ظاهر؛ والخلاف بين المتكلّمين في كيفيّه ايقاعه مشهور، وفي نظر قوم اخرين هو إحصاء الرّذائل والفضائل اللّاحقة للنّفس من تعلّقها بالابدان وضبطها في اللّوح المحفوظ بقلم العلم الالهيّ، ولمّا كانت الاغنياء هم الجامعين[٦] للاموال والمدّخرين[٧] لما لا ينبغي ان يدّخر من الامور الجسمانيّة وكان حسابهم أشدّ وأخطر لكثرة الملكات الرّديّة اللاحقة لهم بسبب ميلهم وعشقهم لمتاع الحياة الدّنيا ورغبتها وكان البخيل أشدّهم للجمع محبّةً ولمتاع الدّنيا عشقاً لاجرم كان محاسباً حساب الاغنياء.

واذا عرفت ذلك لاح لك انّ من مقاصد هذه الكلمة التّنبيه على الحذر من ارتكاب رذيلة البخل **و وجه ذلك التّنبيه** انّ مطلوب العاقل وغاية سعيه في الدّنيا انّما هو تحصيل السّعادتين والبخل مستلزمٌ لعدم حصول احداهما[٩] امّا في الاولى فلانّ البخيل يعيش فيها عيش الفقراء فهو فاقد لذّتها وسعادتها، وامّا في الاخرى فلانّه يحاسب فيها حساب الاغنياء؛ ولمّا كان من لوازم حساب الاغنياء عدم خلوّهم عن العذاب بسبب ما تمكّن[١٠] من جواهر نفوسهم من محبّة متاع الدّنيا وزينتها وبسبب تفريطهم وافراطهم في وضع الاموال مواضعها لاجرم كان البخيل اكدهم استحقاقاً لذلك واشدّهم استعداداً لحصوله وبالله التّوفيق.

---

١ ـ ج د: «لعلة». ٢ ـ ج: «المستلزم». ٣ ـ د: «صغار». ٤ ـ ب: «وظاهر». ٥ ـ «على» ليست في اب. ٦ ـ في النسخ: «الجامعون». ٧ ـ في النسخ: «المدخرون». ٨ ـ ب: «من الاموال». ٩ ـ ابد: «احدهما». ١٠ ـ اب: «يمكن».

الكلمة الحادية والثلاثون

قوله عليه‌السّلام : لسانك يقتضيك ماعوّدته[١]

اقول : الاقتضاء ههنا طلب الشيء والميل اليه **واللّسان** اللّحمة المخصوصة **وقيل بيان المقصود نذكر الفائدة من وجوده فنقول :** انّك قد علمت فيما سبق انّ الانسان الواحد لايمكنه ان يستقلّ باصطناع جميع مايحتاج اليه بل لابدّ من جمعٍ عظيمٍ ليعين بعضهم بعضاً حتّى يتمّ لكلّ واحدٍ منهم مايحتاج اليه، ومن ضرورة هذا الاجتماع الحاجة الى ان يعرّف كلّ واحد منهم صاحبه مافي ضميره من الحاجات المطلوبة له، وذلك التّعريف لابدّ فيه من طريقٍ فاقتضت العناية الالٰهيّة وضع الآلة المخصوصة ووضع الالفاظ المركّبة من الاصوات والحروف المتولّدة من حركات هذه اللّحمة المخصوصة على اوضاعٍ مخصوصةٍ فعرفت حينئذٍ وجه الحاجة الضّروريّة الى وجودها وهو الاعراب عمّا في النّفس من الأغراض.

واذا عرفت ذلك فنقول: لمّا كانت الالفاظ انّما وضعت بازاء مايتصوّر من المعاني الذّهنيّة التّصوّريّة والتّصديقيّة لتكون دالّة على ماوجد منها هناك وكان للغالب انّ تلك التّصوّرات والتّصديقات الّتي تقصد النّفس التّعبير عنها صادرة عن **ملكاتٍ امّا فاضلة** كالهيئات والاخلاق الفاضلة والاعتقادات الحقّة بحيث يقصد بالتّعبير عنها اصلاح امرٍ معاشيّ اومعاديّ **اوردية** كالرّاسخ من أضداد ماذكرنا بحيث يقصد بالتّعبير عنها مجرّد الاذى للغير وخبيث[٢] الكلام وسخيفه والسّبّ واللّعن والغيبة وغير ذلك فاذا كانت صادرة عن ملكاتٍ فلا شكّ انّها تكون دائمة الحضور[٣] في الذّهن فيكون التّعبير عنها اكثريّاً في الالفاظ وبسبب كثرة التّعبير عنها وتكرّرها في الوجود اللّساني وتمرين اللّسان بالعبارة

---

١ ـ هذه الكلمة وشرحها لم تذكرا ههنا في نسختي ج د. ٢ ـ ا : «وخبث».

٣ ـ ب : «الخطور».

الدّالّة عليها يصير للّسان انفعال وتطويع لاوضاع تلك الالفاظ فيصير اسهل واخفّ فيه من سائر الالفاظ ويصير له ميل طبيعيّ[١] بحسب ذلك التعويد والتّطويع الى تلك العبارة وذلك هو الاقتضاء لما تعوّده ان خيراً فخيرٌ وان شرّاً فشرّ[٢] وان كان الاقتضاء الحقيقيّ انّما هو اقتضاء النّفس لتلك التّصوّرات والتّصديقات الصّادرة عن الملكة الحاصلة لها لكن لمّا كان في هذه الكلمة قصد الى التّنبيه على قبح الكلام القبيح والنّهى عن التّخلّق والميل الى مالاينبغي ان يتكلّم به وحسن الكلام الحسن النّافع والامر بملازمة مايحسن التّكلّم به وينبغي ، وكان هذا الحسن والقبح والامر والنّهى ممّا رسخ في الاعتقادات وانطوت عليه الضّمائر الّا انّه ربّما غفل عنه لسبب ما فيحتاج الى تنبيهٍ للسّامع على ماعساه غلبه عليه هواه فيتقهقر عن التّكلّم القبيح لاجرم ذكر اقتضاء اللّسان لما تعوّد من الكلام دون غيره ؛ والله الموفّق .

الكلمة الثانية والثلاثون

قوله عليه السّلام : لاصحّة مع النّهم

اقول : النّهم افراط الشّهوة في الطّعام وهو جزئيّ من جزئيّات الشّره اذ كان الشّره عبارة عن طرف الافراط من فضيلة القوّة البهيميّة وهي القوّة الشّهويّة وقد عرفته ، **والصّحّة العافية** والمقصود الاصليّ ههنا هو التّنبيه على وجوب ترك رذيلة النّهم وذلك ببيان انّ الصّحّة لاتجامعه والصّحّة من أعظم المطالب وأهمّها ويجب ترك مالايجتمع معه **فامّا بيان انّ الصّحّة لاتجامع النّهم فاعلم** انّ الاطبّاء قد اتّفقوا على انّ الامتلاء من الطّعام الى حدٍّ يخرج عن الواجب في اصلاح البدن مولّد لامراضٍ كثيرةٍ مخوفة لايخلو البدن عند الامتلاء الكثير من احدها **ولنذكر منها عدّة ممّا ذكروها احدها** الحميّات المركّبة لتعفّن[٣]

---

١ ـ ب : «الميل الطبيعي» . ٢ ـ حديث نبوي معروف ضمنه كلامه. ٢ ـ ا : «لتعفين» .

اكثر من خلطٍ واحد . **وثانيها** بطلان الهضم عن كثرة التّخم . **وثالثها** الهيضة لفساد الطّعام لكثرته ورداءة كيفيّته . **ورابعها** الغثيان والقيء من جملة اسبابه ايضاً كثرة الغذاء . **وخامسها** الفواق الامتلائيّ لكثرة الطّعام وتوليده الفضلات الغليظة . **وسادسها** سدّ المنافذ للسّبب المذكور . **وسابعها** برد المعدة ورطوبتها للاستكثار من الطّعام والشّراب . **وثامنها** الرّبو وسببه خلط غليظ متولّد من الامتلاء لاحج في العروق الضّوارب التي في الرّية . **وتاسعها** عرق النّساء خلط[٢] غليظ يحدث عن الامتلاء دمويّ او بلغميّ . **وعاشرها** صلابة المفاصل وتعقّدها للخلط الغليظ المنصبّ اليها[٣] وعسر تحلّله ، **وماذكرناه بعض من كلّ الامراض المتولّدة عن الامتلاء وادخال الطّعام على الطّعام فهذه** وامثالها وان خلا النّهم عن احدها لم يخل عن الآخر ؛ وان خلا منه في وقتٍ يسيرٍ لم يخل من سببه القريب ويتبعه ذلك عن قريب ، وحصوله او حصول سببه في البدن مرض ، وكلّ ذلك منافٍ للصّحّة .

تنبيه ــ اعلم انّه يمكن ان يكون المقصود ايضاً بالصّحّة صحّة النّفس من الامراض النّفسانيّة الّتي تعرض بسبب النّهم وذلك انّ الحسّ والاستقراء دلّ على انّ **البطنة تذهب الفطنة**[٤] لتبلّد[٥] الحواسّ عن كثرة الابخرة المتصاعدة عن التّخم وكذلك دلّ على انّه يزيل الرّقّة ويورث القسوة وكلّ ذلك ممّا يسدّ على النّفس باب الخير ويلطخها[٦] بسواد الهيئات البدنيّة فيحجبها عن الاستعداد لقبول الرّحمة وذلك مرض عظيم يستحقر بالنّسبة اليه اعظم مرضٍ بدنيٍّ وهو منافٍ لصحّة النّفس **فاذاً النّهم منافٍ لمطلق الصّحّة مضادّ لانواع العافية .**

فانظر ايّها الاخ بعين الانصاف فانّك تجد من عداه بالنّسبة الى بحره جداول

---

١ ـ ا : «الغشيان» . ٢ ـ ا : «بغلط» ب : «لخلط» . ٣ ـ ا : «لها» .

٤ ـ حديث منسوب الى امير المؤمنين عليه السلام . ٥ ـ ب : «لتبدل» . ٦ ـ ج : «يلطخها» (بتشديد الطاء) وفي كتب اللغة : «لطخه بالمداد وغيره = لوثه ولطخه بمعناه شدد للمبالغة» .

وانهاراً بل خفافيش برزت [1] نهاراً ؛ وهل يقايس بين البحر والوشل ، واذا تأمّلت اسرار هذه الكلمة مع سائر كلامه في هذا المعنى قد تحقّقت انّه قد اطّلع من علم الطبّ على ما لم يطّلع عليه غيره من حذّاق الاطبّاء ولمح بصره اطواراً وراء عقول الحكماء اطّلاعاً مدنيّاً من غير بحثٍ واكتساب ، او اكباب [2] على مطالعة كتاب ؛ شعر :

لو انّ جالينوس في طبّه ادركه كان تلميذاً

١ ـ ا : تزرق. ٢ ـ ج د : «واكتساب اولو الالباب».

الفصل الثّالث فى المباحث المتعلّقة بالآداب والمواعظ والحكم المصلحيّة الّتى تطابقت عليها الشّرائع الالٰهيّة وصحّحتها البراهين الحكميّة ؛ وفيه ستّ واربعون كلمة :

الكلمة الاولى

قوله عليه السّلام : اكرم النّسب حسن الادب .

أقول : **النّسب** هو ماينسب اليه الانسان من آبائه اوفرع لآبائه او فضيلة نفسانيّة او بدنيّة ، **وامّا الادب** فاشتقاقه من المأدب وهو دعاء النّاس الى الطّعام والمراد به ههنا مافهمته من معنى الرّياضة فى القسم الاوّل وذلك انّك قد عرفت انّ القوّة الحيوانيّة فى الانسان الّتى هى مبدأ الادراكات والأفاعيل الجزئيّة اذا[1] لم يكن لها ملكة الانقياد لأوامر القوّة العاقلة كانت بمنزلة بهيمةٍ غير مؤدّبة[2] تدعوها شهوتها تارةً وغضبها أخرى بحسب بعث المتخيّلة والوهم لها لما[3] يتذكّرانه ، وبحسب ماتؤدّيه الحواسّ الظّاهرة اليها الى[4] الامور الملائمة لها فتتحرّك حركاتٍ مختلفةً حيوانيّةً بحسب تلك الدّواعى وتصير حاكمة على القوّة العاقلة فى تحصيل مراداتها فتكون هى الامّارة بالسّوء والقوّة العاقلة مؤتمرة لها ، امّا اذا ادّبتها القوّة العاقلة بمنعها عن التّخيّلات والتّوهّمات والاحساسات والافاعيل الباعثة لقوّة الشّهوة والغضب الى مالاينبغى ، وجبرتها على مايقتضيه العقل العملىّ الى ان تصير متمرّنةً على طاعتها متأدّبةً فى خدمتها منقادةً لاوامرها سائرةً تحت ظلال اعلامها فذلك معنى حسن ادبها .

---

١ - ب ج : «اذ» . ٢ - ج د : «غيرموذية» (من الايذاء) . ٣ - ب : «لها بما» .
٤ - ج د : «اى» .

واذ اعرفت ذلك فاعلم انّ الآباء والاصول الكريمة وان كان الانسان يفتخر بالانتساب اليها ولكن قد عرفت انّ ذلك افتخار وهميّ دالّ على محبّة الدّار الفانية مستلزم للشّرف بفضيلة او فضائل غير حاصلة لمن يتشرّف بها بل فيمن سلف ممّن ينتسب اليه لايتعدّاه بل **اكرم اصل ينتسب اليه الانسان الادب** اذ كان سبب الخير الدّائم والموصل الى نيل السّعادات الباقية؛ وبه يكون الرّفعة والتّعظيم الحقيقيّ، وانّما خصّ الكلمة بلفظ الكرم دون شيء اخر لانّه ههنا فى معرض بيان النّسب والاصل، والعرب تخصّ الاصول والاباء المنجبة[1] بالكرم فتقول فيمن صدرت عنه افعال خيريّة وكانت له سابقة اصل فى ذلك : انّه ذو اصل كريم، وهذا فعل ابائه الكرام؛ فلاجل ذلك خصّه عليه السّلام ههنا بلفظ الكرم دون الشّرف والعزّ وغير ذلك من الالفاظ ، **وانّما خصّ الادب دون** فضيلة العلم او غيرها من الفضائل الجليلة لكونه اذا وقع كما ينبغى مستلزماً لسائر الفضائل ، والانتساب اليه اشهر لكونه أقرب الى طباع عامّة الخلق ، فقد عرفت انّ اكرم درجات النّسب درجة حسن الادب . والله تعالى هوالموفّق لمتّحلّى بحليته ، وهوالمستعان .

الكلمة الثانية

قوله عليه السّلام : بالبرّ يستعبد الحرّ

اقول : البرّ الاحسان واماّ الحرّ فقد عرفته والمراد به ههنا هوالخالص من وثاق الرّقّ ويستعبد اى يتّخذ عبداً وذلك لتحقّق معنى العبوديّة فيه عند الاحسان وهو الخضوع والتّذلّل ولانّ الغاية المطلوبة من تسليم الثّمن فى شراء العبد انّما هو الانتفاع بخدمته وتصريفاته[2] وكذلك من أسدى الى حرّ معروفاً قد يكون انتفاعه بسببه اماّ انتفاعاً عاجلاً[3] كخدمته وتصرّفاته والتّأمّر عليه ، واماّ اجليّاً وهو التقرّب الى الحقّ تعالى والامتثال

---

١ ـ يقال : انجب الرجل = ولد ولداً نجيباً. ٢ ـ ج د : «وتصرفاته». ٣ ـ ج: «عاجلياً» وهو الاوفق بالمقام لكونه قرينة لكلمة «آجلياً».

لأوامر الشّريعة وحثّها على ذلك ، وقد يكون أعمّ من الانتفاع كصدور[1] الاحسان من العناية الالٰهيّة على المستعدّين .

وامّا سبب ذلك الانقياد وتحقّق الاستعباد فلادراك النّافع اللّذينت وانبعاث القوّة الشّهويّة الطّالبة لادراك الملائم من ذلك النّافع وتصوّر انّ ذلك الخضوع والتّذلّل ممّا يؤكّد تحقّقه اوتوقّع زيادة احسان او يكون جزاءً لذلك البرّ والاحسان او أمر أعمّ من ذلك كخضوع العارفين اطّلاعاً على عظمة الحقّ الاوّل وكبريائه **وانّما خص الحرّ ههنا بالذّكر** لانّ الحرّ الّذى يأنف من الاسترقاق ويشمئزّ من نسبته الى العبوديّة لأحدٍ اذا كان بالبرّ يستعبد الحرّ فغيره يكون أولى بذلك وذلك من باب الايجاز الجزيل ، **ويمكن ان يحمل الحرّ ههنا على صاحب فضيلة الحرّيّة حينئذٍ يحتمل تخصيصه بالذّكر وجهاً اخر** وهو انّ من اشتمل سرّه على فضيلة الحرّيّة وأسدى اليه برٌّ فانّه لابدّ وان يعترف به ويلمح انّ ذلك البرّ غير مقابلٍ منه بجزاءٍ فيذلّ ويخضع وينفعل عنه بحيث يتحقّق معنى العبوديّة فى حقّه وذلك بخلاف من ليست فيه هذه الفضيلة اذ كان قد يأخذ المال من غير وجهه فلو أسدى اليه معروف جاز ان لا يعترف له بجزاء فلايكون منه خضوعٌ ولايتحقّق فى حقّه استعبادٌ فيكون الحرّ بهذا المعنى أخصّ من الاوّل من وجهٍ وأعمّ منه من وجهٍ ، **امّا انّه اخصّ** ؛ فلانّ الحرّ بالمعنى الاوّل قد يكون له فضيلة الحرّيّة وقد لايكون، **وامّا انّه اعمّ** فلانّ من له فضيلة الحرّيّة قد يكون رقّاً وقد لايكون .

وفى هذه الكلمة تنبيه على حسن البرّ وحثّ عليه لانّه لمّا كان تعوّد[2] البرّ ممّا يصرف عن محبّة المال ويكسر حدّة القوّة الشّهويّة فى طلبه واقتنائه ويستلزم[3] فضيلة الكرم وكثيراً[4] من الفضائل الّتى تحت ملكة العفّة مع مافيه من أنواع الخيرات كاستنزال الرّحمة والبركات[5] على صاحبه من اجتماع همم الخلق المبرورين وكان كثير أذهان أصحاب البرّ وأهل

---

١ ـ ا : «لصدور» . ٢ ـ ا : «يعود» . ٣ ـ ب : «مستلزم» . ٤ ـ ا ب ج : «كثير» . ٥ ـ ج د : «البركة» .

الاحسان انّما تنفعل في ابتداء تعوّدهم للاسداء مثل التّشكر والثّناء وتذلّل الخلق لهم وخضوعهم وخدمتهم لاجرم نبّه عليه السّلام على حسنه بان ذكر سببيّته لاستعباد الأحرار فاذا انفعل البارّ عن ذلك تبيّن له عن قريب مافي البرّ من أنواع الخيرات الّتي يجب ان تقتني وما حمّل[1] معروفه من الذّ ثمرةٍ تستطاب وتجتنى ؛ والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة الثالثة

قوله عليه السّلام : الجزع عند البلاء تمام المحنة

اقول : قد عرفت انّ **الجزع** الم نفسانىٌّ يعرض من تصوّر فقد المحبوب او فوت المطلوب **والبلاء** ههنا الاختبار بالامر المكروه الى الطّبع وان كان البلاء قد يكون بالخير ايضاً كما يقال أبلاه بلاءً حسناً وكذلك **المحنة** الامتحان وهو الاختبار بالمكروه ايضاً ، **والمقصود من هذه الكلمة** بيان انّ من قدّر له الاختبار بمكروهٍ وقع عليه من القضاء الالهىّ فتألّمت نفسه بسببه كان ذلك التألّم ابتلاءً ثانياً أعدّ نفسه لحصوله زيادة على البلاء الاوّل الّذى يجب دفعه عن نفسه ويريد ان لايكون مقضيّاً عليه ولامقدّراً له وتماماً لمحنته ، **وهذه الكلمة مستلزمة للنّهى عن الجزع** اذ بيّن عليه السّلام للجازع انّ الّذى يهرب منه من البلاء قد جلب الى نفسه مثله بجزعه .

ثمّ اعلم انّ سبب الجزع هو الحرص على اقتناء اللّذّات الجسمانيّة والنّزوع الى بقاء الشّهوات البدنيّة والحسرة على مايفقد ويفوت منها وانّما يجزع على المحبوب من ذلك من يظنّ انّ مايحصل له منها يجوز بقاؤه وثباته وانّ جميع مايطلبه من مفقوداتها لابدّ وان كان يحصل فى يده ويصير فى ملكه وكلّ ذلك غفلة منه وغرور فانّه لولاحظ الحقّ بعين بصيرته والتفت الى خالص سريرته واستعمل الانصاف مع نفسه لعلم[2] انّ جميع مافى عالم الكون والفساد غير ثابت ولاباقٍ وانّ الثّابت الباقى هو مافى العالم العلوىّ فلم يطمع فى المحال

---

١ - ب ج د : «حمل» (بلاتشديد للدال) . ٢ - د : «يعلم» .

ولم يطلبه ومن قطع طمعه من شيءٍ لم يحزن لفقده بل صرف سعيه الى المطلوبات الصّافية واقتصر بهمّته على اقتناص المحبوبات الباقية وأعرض عمّا ليس فى طبيعته ان يثبت ويبقى فاذا حصل له منها شيء بالعرض بادر الى وضعه فى مواضعه واقتصر منه على مقدار[١] لابدّ منه فى دفع الآلام المحصاة من الجوع والعرى وترك الاستكثار والتماس المباهاة به والافتخار ولم يحدّث نفسه بالمكاثرة بها[٢] والتّمنّى لأمثالها حتّى اذا فارقته لم يأسف عليها فانّه متى فعل ذلك آمن[٣] فلم يجزع وفرح فلم يحزن وفاز بالسّعادة الاخرويّة ونال الدّرجات العليّة، ومن لم يتدبّر الوصيّة ولم يعالج نفسه بما ذكرناه لم يزل فى جزعٍ دائمٍ ؛اذ لا يعدم[٤] فى كلّ وقت فوت مطلوب او فقد محبوب اذ[٥] كان ذلك من لوازم عالمنا عالم الكون والفساد ، ومن طمع من الكائن الفاسد ان لا يكون ولا يفسد فقد طمع فى المحال ولم يزل خائباً ؛والخائب ابداً محزون ، والمحزون ابداً شقيّ ومن استغشى[٦] العادة الجميلة وهو الرّضا بما يجده ولم يحزن لشيءٍ يفوته لم يزل سعيداً مسروراً ورضوان الله اكبر؛ ذلك هو الفوز العظيم[٧].

واعلم انّ الجزع ليس امراً طبيعيّاً ولا ضروريّاً بل هو ممّا يخيّله الانسان ويضعه وضعاً اذ لو كان طبيعياً لما انفكّ منه[٨] لكنّه قد ينفكّ منه ويعود الى حال الغبطة والسّرور وهو امر مشاهد كما رأينا[٩] كثيراً ممّن فقد[١٠] الاولاد والاعزّة والاصدقاء والاحبّة فاشتدّ[١١] جزعهم عليهم ثمّ لم يلبثوا ان عادوا الى حال المسرّة والغبطة والاعجاب والضّحك وكذلك ممّن فقد المال والصّنائع والمقتنيات المستحسنة رأيناهم بعد الجزع الشّديد قد سلوا وعادوا الى حال السّرور **فالجزع اذاً من العوارض الطّارية الزّائلة الّتى لا يختصّ بها شخصٌ دون**

---

١ ـ د : «مقدار ما». ٢ ـ ا : «لها». ٣ ـ ب ج د : «امن» (بلا مد).
٤ ـ ح د : «لا تقدم». ٥ ـ ب : «اذا». ٦ ـ ا : «استعشى» ج د : «استغنى».
يقال: «استغشى ثوبه بثوبه استغشاءً = تغطى به» فهو بمعنى استشعر ويمكن ان يكون محرفاً منه. ٧ ـ ذيل آية ٧٢ سورة التوبة. ٨ ـ ج د : عنه. ٩ ـ ا : «رايت».
١٠ ـ ا : «يفقده». ١١ ـ ا ج د : «واشتد».

اخر فلا عذر للعاقل بعد اطّلاعه على حقيقته و أسبابه وما ذكرناه من أحواله فى معاودته و ارتكابه .

اللّهمّ جلّلنا عافيتك ، فان قدّرت علينا بلاءً فألهمنا صبرك ، ولا تكشف عنّا سترك ، و أفض علينا رضوانك ، وهيّئ لنا من أمرنا رشداً [١] .

الكلمة الرابعة

قوله عليه السّلام :

رحم الله امرءً قال خيراً فغنم اوسكت فسلم

اقول : **الغنيمة** الفيء ، وقد استعمله عليه السّلام ههنا فى اكتساب المدح و الثّناء و الثّواب و غيره من أنواع الخيرات ، و **انّما سمّى القول خيراً** لانّ كلّ وسيلة الى الخير فهى [٢] خير ؛ وان كان عرضيّاً بالنّسبة الى ما هى وسيلة اليه ، و مقصوده عليه السّلام من هذه الكلمة استنزال الرّحمة الالهيّة بدعائه الموثوق بأنّه لا يردّ لعبدٍ حبس لسانه وزمّه بزمام العقل عن التّلفّظ الّا بالكلام الخيرىّ وقد عرفت انّ خير الكلام ما تعلّق باصلاح [معادٍ [٣]] او تدبير معاش كما ينبغى و على الوجه الّذى ينبغى من مراعاة القانون العدلىّ و طلب الفضيلة الّتى سبق بيانها و هى فضيلة العدل فانّه اذا فعل ذلك كان الكلام خيراً له عن السّكوت اذ [٤] كان يحصل [٥] له بذلك غنيمة الدّارين و اكتساب السّعادتين ثمّ ادرج فى ذلك الدّعاء من لم يتمكّن من قصد الكلام الخيرىّ بل كان يعبر فى كلامه عند

---

١ ـ ذيل آية ١٠ سورة الكهف . ٢ ـ د : « فهو » . ٣ ـ اظن ان اصل المطلب مأخوذ من قول امير المؤمنين عليه السلام : « وليس للعاقل ان يكون شاخصاً الا فى ثلاث ؛ مرمة لمعاش او خطوة فى معاد او لذة فى غير محرم » . ٤ ـ ب : « اذا » .

٥ ـ ب ج د : « يحصل (بصيغة باب التفعيل) » .

ما يتكلّم الى الحدّ الّذى هو رذيلة من القول الكاذب و الّسخيف و الهذر والموذى وغير ذلك ممّا لا يقتضى مصلحةً ولا يصدر عن تروٍّ و تثبّتٍ و انّما يصدر عن عدم رصانة العقل و قلّة عقليّته [١] لما ينبغى ان يوضع عليه الكلام من الوجوه المصلحيّة فسكت عن الكلام اذ [٢] كان محصّلاً بذلك الّسلامة فى الدّارين و الّسلامة احدى [٣] الغنيمتين امّا فى الاولى فلانّ كثيراً ممّن كان يدّعى كمال العقل و ينسب الى تمام الفضل اشرقت على نفوسهم شموس القدس فتبجّحوا بزينة الحقّ فى ذواتهم فأطلقوا القوى المحرّكة فباحوا [٤] باسرارهم فى الفاظٍ و رموز نبت عنها افهام العوامّ و اعتقدوا مخالفتها لظاهر الّشريعة فأصبحوا حصائد ألسنتهم و قتلى كلماتهم ولو لزموا الّسكوت ولم يهتكوا أستار تلك الاسرار لما اصابهم ما اصابهم، و اذا كان حال أصحاب العقل والاسرار الالهيّة كذلك فما ظنّك بالباقين من العوامّ و من لم يؤدّب بالآداب الشّرعيّة ولم تليّن [٥] عريكته التّجارب الصّلاحيّة فحقّ لاولئك و امثالهم [٦] ان لا يفوهوا بحرفٍ واحدٍ اذ كان اكثر كلامهم يصدر عن غير رويّة و ان كان فعن رويّة فاسدة ، و امّا فى الاخرى فلانّ الّساكت عمّا ذكرناه من الكلام الّساقط عن درجة الاعتبار سالم بسكوته عن اكتساب الملكات الرّديّة و الهيئات المنقصة [٧] بالتّمرين على ذلك الكلام و التّعوّد باجرائه [٨] و المحاورة [٩] به خالص [١٠] عن التّعذيب بها فى الاخرة . و قد تطابقت كلمة النّبيّين و

---

١ ـ كذا . ٢ ـ ب د : « اذا » . ٣ ـ ب ج د : « احد » .

٤ ـ ج د : « فناجوا » . ٥ ـ فى النسخ : « لم تكن » . ٦ ـ فى النسخ : « لذلك و امثاله » . ٧ ـ قال الفيومى فى المصباح المنير : « نقص نقصاً من باب قتل ونقصاناً و انتقص ذهب منه شيء بعد تمامه، و نقصته يتعدى ولا يتعدى ، هذه اللغة الفصيحة ؛ و بها جاء القرآن فى قوله: ننقصها من اطرافها، و غير منقوص، و فى لغة ضعيفة يتعدى بالهمزة و التضعيف ولم يأت فى كلام فصيح ، و يتعدى ايضاً بنفسه الى مفعولين فيقال نقصت زيداً حقه و انقصت مثله » . ٨ ـ ب د : « باجزائه » . ٩ ـ ج د : « والمجاور به » .

١٠ ـ ج د : « خلص » .

توافقت كلمة الحكماء الرّاسخين على مدح السّكوت حذراً من التّكلّم بما لا يجدى نفعاً ولا يعود على قائله بخير و حثّوا على لزومه و خاصّةً بين يدى الملوك و القادرين على الانتقام فانّ فى الكلام تغريراً [1] بالنّفس الّا ممّن حصل على ملكة الكلام الخيرىّ بيان ذلك المدح من وجوه .

الاوّل — قال رسول الله صلّى الله عليه و آله : من وقى شرّ لقلقه و قبقبه و ذبذبه ضمنت له الجنّة ، وذلك يدلّ على انّ للّسان حصّة فى البعد عن الجنّة بسبب ماتكسب [2] النّفس بتعويده بما لا ينبغى من ملكات السّوء و قال عليه السّلام : من صمت نجا .

الثّانى — قال بعض الحكماء : الزم السّكوت فانّ فيه سلامة ، و تجنّب الكلام فانّ فيه ندامة .

الثّالث — قال بعضهم : افضل حلية العلماء السّكوت .

الرّابع — قال بعضهم : انفع الاشياء للانسان ان لا يتكلّم على نفسه و ذلك حذر من الكلام الموذى فيحتاج الى التّروّى .

الخامس — قال بعض ملوك الرّوم : ماندمت على ما لم اتكلّم به قطّ ، ولقد ندمت على ما قلت كثيراً .

السّادس — قال بعض حكماء العرب فى هذا المعنى : من اكثر هجر [3] و المقصود انّه ربّما خرج الى الهجر .

---

١ ـ ا ج : « تغزيراً » (بالغين المعجمة ثم الراء المعجمة) ب : « تقريراً (بالقاف و الراء المهملة) » د : « تعزيراً » (بالعين المهملة و الزاء المنقوطة و الراء المهملة اخيراً) فالتصحيح قياسى يقال : غرزه بالابرة و نحوها (كضرب غرزاً) نخسه و غرز الابرة (تغريزاً) فى الشىء ادخلها فيه » . ٢ ـ ب : « تكتسب » . ٣ ـ كذا فى النسخ وفى كتب اللغة : « هجر فى منطقه و اهجر هجراً و اهجاراً تكلم بالهذيان » وفى نهج البلاغة : « من اكثر اهجر ، و من تفكر ابصر » . وهو من وصيته لابنه الحسن عليهما السلام (راجع شرح نهج الشارح ص ٢٠ ، و ص ٢٧ ، من الطبعة الاولى) .

السّابع ــ قال أكثم بن صيفى : المكثار كحاطب اللّيل و ذلك انّه ربّما نهشته الحيّة [١] او لسبته [٢] العقرب فى احتطابه ليلاً فكذلك المكثار ربّما اصابه فى اكثاره بغض النّاس .

الثّامن ــ قال أكثم ايضاً : الصّمت يكسب اهله المحبّة .

التّاسع ــ قال لقمان الحكيم : الصّمت حكم و قليل فاعله .

العاشر ــ قال بعض الحكماء :

فلئن ندمت على سكوتى مرّة فلقد ندمت على الكلام مراراً

وقال الاخر :

احفظ لسانك ايّها الانسان لا يلدغنّك انّه ثعبان

وقد استشهد الحكماء على انّ كثرة الكلام ليس بمطلوب من الحكمة الالٰهيّة بانّ آلة السّماع و الابصار اكثر من آلة الكلام فكان اقلّيّ الطّلب لذلك ؛ و الاحاديث و الامثال الموردة فى ذلك كثيرة لكن ينبغى ان يعلم انّ الكلام الخيرىّ الخالى عن المضارّ و المحتاج اليه عمّن [٣] عرف بمعرفة مواقع الكلام وحكم بحسن عقله [٤] للامور الّتى ينبغى ان يتكلّم فيها خير من السّكوت فانّ غاية السّكوت المحمود تطهير النّفس عن نجاسات الهيئات الرّديّة وذلك خير عدمىّ عرضىّ وغاية الكلام الخيرىّ اكتساب الهيئات الحاصلة و الملكات الشّريفة و ذلك كمال و جودىّ ذاتىّ و الوجودىّ الذّاتىّ اولى بالوجود من العدمىّ العرضىّ ، و كما علمت انّ الكلام ينقسم الى محمود و مذموم كذلك السّكوت ينقسم الى ماهو خير والى ما هوشؤم ، و انّ اللّائمة [٥] كما تقع بالمتكلّم بما لاينبغى كذلك تتعلّق بالسّاكت السّكوت الّذى لا ينبغى كما قال عليه السّلام فى موضع آخر [٦] : لا ـ

---

١ ـ ب : « حية » . ٢ ـ ج د : « لسعته » وكلتا اللفظتين بمعنىّ وهو لدغته .

٣ ـ ا ب : « عن » ج د : « ممن » . ٤ ـ ا ب : « عقلته » ج : « عقليته » د : « عقيلته » . ٥ ـ ا : « الملائمة » وفى كتب اللغة : « اللائمة بمعنى اللوم يقال : استحق اللائمة اى اللوم والملامة » . ٦ ـ ا : « فى مواضع اخر » .

خير في الصّمت عن الحكم كما انّه لاخير في التّكلّم بالجهل غير انّهم اكثروا الحثّ على لزوم السّكوت و قلّة الكلام لانّ خطر الكلام اقوى و اعظم ولذلك كان الذّمّ للمكثار الزم، فقد علمت استحقاق الغانم بكلامه الخيريّ و السّالم بسكوته الّذى ينبغى لاستنزال الرّحمة الرّحمانيّة و العناية الرّبّانيّة بدعائه المستجاب الّذى ليس دونه حجاب ؛ والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة الخامسة

قوله عليه السّلام : الاعتذار تذكير بالذّنب .

اقول : الاعتذار طلب العذر من المجنىّ عليه ، و العذر محو اثر الجريمة من الذّكر ليتبيّن انّ اعتقاد سبب ذلك الاثر [1] لم يكن مطابقاً و هو مأخوذ من قولهم : اعتذرت المنازل اذا درست ، و الذّنب الجرم و المقصود بيان انّ اعادة الاعتذار مستلزم لتذكير المجنىّ عليه بالذّنب الصّادر فى حقّه و تقرير هذا الحكم ان نقول : انّ ترك الفعل او القول الّذى يحتاج معه الى الاعتذار واجب فان كان ولابدّ فليكن الاجتهاد فى الاعتذار بخلوة من المعتذر اليه دون ان يكون هناك من لا يحتاج اليه فى قبول الاعتذار من الشّفعاء والوسائط فانّ الاعتذار بين الخلق ممّا يشهر حال المعتذر بفعل القبيح المبنىّ على السّتر و يفيد انكسار الحياء و كشف قناعه على الوجه وخشونة الحدقة وقحة الملاقاة و ضروب الشّرور ثمّ يجتهد المعتذران لايزيد فى الاعتذار على المرّة الواحدة وكفى بها فانّ فى المعاودة شروراً، منها كثرة المطّلعين من الخلق على ذلك القبيح الصّادر المحتاج الى طلب العذر ، و منها تذكير الشّاعرين بذلك الجرم من الاعتذار الاوّل و دوام التّأذّى من قبلهم للمعتذر ، و منها و هو اصعبها تذكير المعتذر منه بالذّنب الواقع فى حقّه و اثارة ضغنه [2] و احقاده

---

١ - ب : « الاثم » . ٢ - ج د : « صفته » .

على المعتذر؛ و لصعوبته خصّه عليه السّلام بالذّكر ، و فى هذه الكلمة تنبيه على التّأدّب بترك اعادة الاعتذار لما بيّنّاه من الاسباب و هو المقصود الذّاتىّ من الكلمة و هو من اشرف محاسن الكلام و اجمع مكارم الأداب ؛ والله ولىّ الهداية .

الكلمة السادسة

قوله عليه السّلام : النّصح بين الملأ تقريع .

اقول : النّصح و النّصيحة تنبيه الانسان على ماعساه غافل عنه من المصالح فى امر معاشه او معاده ، والتّقريع شدّة الضّرب بالكلام و قوّة اللّائمة و التّوبيخ ؛ والمراد فى هذه الكلمة تأديب النّاصح بالادب اللّائق باستجلاب الانس الموجب للمحبّة و الالفة الّذى بيّنّا وجوب تحصيله و ذلك انّ من اداب النّصح اخذ المنصوح بالرّفق و لين الكلام و خفض الصّوت و فى اخلى المواطن و اسرّ [1] الاحوال والتّعطّف [2] اليه بالكلمات البعيدة عن الامر الّذى يتعلّق بالنّصيحة و بالتّعريض دون التّصريح فانّه ابلغ، و بضرب [3] الامثال فانّه احسن من الكشف ، و بالجملة ما يبسط النّفس و يضع الانس ويتدرّج [4] فى ذلك الى ان ينتهى الى المطلوب فيخاض [5] فيه ، ولو كان التّعريض و ضرب الامثال فى مجلس و التّصريح بالمطلوب فى مجلس بعده فهو اصوب ، و اذا عرفت ذلك عرفت انّ النّصح بين الملأ من جملة اضداد الرّفق شديد الوقوع على ذهن المستمع مثير لقوّته الغضبيّة منفّر لطبعه لما فيه من اطّلاع الخلق عليه لما احتاج الى نصيحة [6] فيه وتقريع عليه و ربّما كان السّبب فى اثارة قوّته الغضبيّة اعمّ ممّا ذكرنا [7] و ذلك

---

١ - ج د : « اليسر» . ٢ - ا : « و تعطف » ب « و يتلطف » (بصيغة المضارع الغائب) ج د: « و يتلطف » (بباء الجر و لفظة المصدر) . ٣ - ب د : « و يضرب » (بصيغة المضارع الغائب) . ٤ - ا : « و تدرج » ج : « و يدرج » . ٥ - كذا فلعله : « فيخوض» . ٦ - ج د : « نصحه » ب : « نصح » . ٧ - ب : « ذكرناه» .

لاحتمال ان يكون الامر الّذى يتعلّق به النّصيحة ليس ممّا يستخفى بفعله [١] فاذا نصح صاحبه فيه ظاهراً ثارت قوّته الغضبيّة لما [٢] انّ ضربه بالكلام النّاصح يوجب له اعتقاد انّ الخلق ربّما استنقصوا عقله و استصغروا رأيه فى عدم الاصابة لذلك الامر و حاجته فيه الى الضّرب بالكلام بينهم فينفر طبعه لذلك، و لهذا السّر كانت هذه الكلمة مستلزمة للتّنبيه على النّهى عن النّصح على هذا الوجه المخصوص؛ والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة السابعة

قوله عليه السّلام : الشّفيع جناح الطّالب [٣]

اقول : الشّفيع هو الطّالب لغيره كأنّه يشفعه فى قضاء حاجته بعد ان كان وتراً، و اطلاق لفظ الجناح الّذى يخصّ الطّائر بحسب اصل اللّغة على الشّفيع مجاز حسن من باب الاستعارة و التّشبيه ؛ و وجه المشابهة انّ جناح الطّائر لمّا كان وسيلة له الى طلب ما يحتاج اليه من المطالب والى الهرب عن كلّ مهروب [٤] منه كذلك الشّفيع وسيلة للمستشفع الى تحصيل الامر المطلوب له ؛ و الى الخلاص من الامر المهروب منه ، وفى هذه الكلمة تنبيه وحثّ للشّفيع على السّعى فى الشّفاعة فيما ينبغى و حثّ لطالب [٥] الحاجة على حفظ قلوب الاخوان [٦] و ادّخارهم لوقت الحاجة الى التّوسّل بهم فى المطالب امّا الاوّل فلانّها اعنى الشّفاعة سبب من اسباب حصول المطلوب للطّالب فيكون للشّفيع شركة فى وجود هذا المطلوب كالجناح الّذى هو آلة بها يحصل المطلوب ، ولذلك

---

١ - ا : « فعله » . ٢ - ا : « كما » . ٣ - قال الشارح فى شرح نهج البلاغة فى شرح تلك الكلمة (ص ٥٨٧) : « استعار له لفظ الجناح باعتبار كونه وسيلة له الى مطلوبه كجناح الطائر » . ٤ - ب ج د : « المرهوب » . ٥ - ب ج د : « لصاحب » . ٦ - ج د : « الاعوان » .

كانت الشّركة بينهما حاصلة فى الجزاء لقوله [١] تعالى : من يشفع شفاعةً حسنةً يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيّئة يكن له كفل منها [٢] و ايضاً فانّ الشّفاعة من اسباب الالفة و المحبّة و قضاء الحوائج و المهمّات الّتى هى المطلوبة من كثرة الخلق و اجتماعهم ؛ فيكون تاركها كالكاسر لمقتضى العناية الالهيّة و الحكمة الرّبّانيّة و ذلك يدلّ على انّ السّعى فيها من القربات والوسائل الى الخالق المعبود جلّت قدرته ، و امّا الثّانى فظاهر ؛ و بالله التّوفيق .

الكلمة الثامنة

قوله عليه السّلام : المسؤول حرّ حتّى يعد [٣] .

اقول : قد عرفت معنى الحرّ و المراد به ههنا الخالص من وثاق الرّقّ و يقابله العبد ، و المقصود ههنا انّ المسؤول الخالص من الرّقّ هو حرّ مادام لايعد بحاجةٍ فاذا وعد صار الوعد من جملة اسباب استعباده ، و تقرير هذا الحكم انّ الانسان الموصوف بالحرّيّة بالنّسبة الى الامور المطلوبة منه له ثلاثة احوال و ذلك انّها امّا ان يبذلها او يمنعها رأساً او يعد بها ؛ و على الوجهين الاوّلين هو حرّ ؛ و على الوجه الثّالث هو عبد ، و اطلاق العبوديّة عليه مجاز عن الموثوق بوثاق الرّقّ و وجه المشابهة قد سبق بيانها فى قوله عليه السّلام « بالبرّ يستعبد الحرّ » و نزيدها تقريراً فنقول : لمّا كان من صفات العبد انّه مطالب من السّيّد فى كلّ وقتٍ بما اشتغلت به ذمّته من قضاء الواجب عليه من الخدم و الاشغال فكذلك باذل الوعد اطلق عليه انّه عبد لتحقّق هذه الصفة فيه و ذلك انّه مطالب من السّائل فى كلّ وقتٍ بما اشتغل ذمّته بـه بقضاء الواجب عليه

---

١ ـ ب : « كقوله » . ٢ ـ صدر آية ٨٥ سورة النساء . ٣ ـ هذه الكلمة موجودة فى شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد و شرحت فيه مفصلا ، و اما شرح ابن ميثم فلم اظفر بها فيه ؛ فلعل الكلمة لم تكن موجودة فى نسخته فلم يشرحها او سقطت من النسخة المطبوعة .

بوعده من قضاء حقّ الاخوان من الحوائج و المهامّ فیبقی فی رقّ الوعد الی ان یخلق [۱] بقضائه الوثاق فیستحرّ حینئذٍ بلحوق العتاق ، و امّا حرّیّته فی الوجهین الاوّلین فلعدم تحقّق الصّفة المذکورة فی حقّه و اعلم انّ قضاء الامر المسؤول مع امکانه اشرف من الوعد؛ امّا بالنّسبة الی السّائل فلانّ الانتظار موت احمر ، و امّا بالنّسبة الی المسؤول منه فلانّه بذل فی حقّه علی شرف قوّته العقلیّة بملکة الحیاء و السخاء و غیرهما من الفضائل بخلاف الوعد فانّ الوعد بما یمکن انجازه یدلّ علی مجاذبة القوّة الشّهویّة للعقل و قوّتها علیه فی ترديد الامر المسؤول بالقضاء و المنع ، ثمّ الوعد اشرف و اولی من المنع بالکلّیّة فانّ الحرمان شؤم و سبب للمقاطعة والمباینة المضادّة [۲] لما هو مطلوب من العنایة الالٰهیّة باجتماع الخلق و تکثّرهم [۳] مع ما یستلزم من ذهاب الحیاء بتعویده و قحة الوجه و خشونة الجانب ، و الوفاء اشرف من الخلف لاستلزامه عدم فضیلة الحرّیّة و الوفاء و الذّمّ العاجل العارض من رذیلة البخل و ما یصحبها من الرّذائل ، و قد اطبق العقلاء علی حسن قضاء الموعود و الوفاء به و فی المثل : انجز حرّ ما وعد. وعن عوف بن النّعمان الشّیبانیّ انّه قال فی الجاهلیّة :لان اموت عطشاً احبّ الیّ من ان اکون مخلاف الوعد . و فی المثل السّائر : الوفاء من الله بمکان ، و فی التّنزیل الالٰهیّ فی مدح اسماعیل علیه السّلام [۴]: انّه کان صادق الوعد ، وعن عبدالله بن عمر انّه وعد رجلاً من قریش ان یزوّجه ابنته فلمّا حضرته الوفاة ارسل الیه فزوّجه ایّاها فقال : کرهت ان الق الله تعالی بثلث النّفاق ؛ واراد الکذب لانّ الخلف فی الحقیقة کذب ،و ذلک لانّ النّفاق فی الدّین مرکّب من ثلاثة اجزاء ؛ احدها الخروج من الایمان بالقلب ، والثّانی الرّیاء بالاعمال من اعتقاد صحّتها، والثّالث الکذب وهوالقول باللّسان مع مطابقته للاعتقاد و اذا لقوا الّذین [۵] امنوا قالوا امنّا و اذا خلوا الی شیاطینهم قالوا انّا معکم انّما نحن مستهزؤن [۵] و : اذا جاءک المنافقون قالوا نشهد انّک لرسول الله و الله یعلم انّک

۱ - ب ج د : « یخلع» و من معانی الخلق القد و المعنی واضح . ۲ - ج د : « المضارة » (بالراء) . ۳ - ا : « و بکثرتهم » . ٤ - من آیة ٤٤ سورة مریم.
٥ - آیة ١٤ سورة البقرة .

لرسوله و الله يشهد انّ المنافقين لكاذبون [١] لعدم مطابقة اقوالهم اللّسانيّة لما انطوت عليه ضمائرهم من العقائد الفاسدة فالكذب حينئذٍ ثلث النّفاق و هو اقوى الاجزاء فساداً لتعدّى ضرره الواقع منه الى الغير دون الجزئين الباقيين و على ذلك يحمل قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله : الكذب رأس النّفاق. وقد [٢] تنبّهت ايّها الاخ ممّا ذكرنا على وجوب انجاز المواعيد لتخلص به الى الحرّيّة من رقّ من وعدت فانّ هذا الرّقّ اعظم و اقوى لتعلّق الذّنب بالاخرة دون الرّقّ الحقيقيّ و اليك الاعتبار [٣] و الله ولىّ التّوفيق .

الكلمة التاسعة

قوله عليه السّلام : اكبر الاعداء اخفاهم مكيدةً .

اقول : المكيدة فعيلة من الكيد و هو الاحتيال و الخداع ، و المقصود فى [٤] هذه القضيّة بيان انّ كلّ من كان من الاعداء اخفى كيداً و ادقّ نظراً فى الاحتيال كان اكبر الاعداء اى اعلاهم درجةً فى العداوة و اولى بالتّحفّظ منه من سائر الاعداء ، و برهان هذا الحكم انّك قد عرفت انّ العداوة بغض صادق يهتمّ معه بجمع الاسباب الموذية للمبغوض ومحبّة افعال الشّرور الّتى يمكن فعلها به و اذا كان كذلك فنقول : كلّ من كان اقدر على اخفاء الحيلة و الخداع كان اقدر على تحصيل الاسباب الموذية لعدوّه و كلّ من كان كذلك كان اعظم الاعداء و اكبرهم مكيدة ينتج انّ كلّ من كان اخفى حيلةً كان اعظم الاعداء و اكبرهم ، امّا الصّغرى فظاهر اذ كان المتجاهر بالحيلة فى اذى عدوّه قلّما يظفر به لاطّلاع العدوّ على ذلك و احترازه منه ، و امّا الكبرى فلانّه لامعنى لاكبر الاعداء الّا من كان اقدر على النّكاية والانتقام فقد صحّت هذه القضيّة بالبرهان .

---

١ - آية ١ سورة المنافقين . ٢ - ب ج د : « فقد » . ٣ - ا : « الاعتذار » .
٤ - ا : « من » .

و اعلم انّ التّحفّظ و ان كان من كلّ الاعداء واجباً لما انّ اتفاق الحكماء على انّه لا ينبغي للعاقل ان يستصغر عدوّاً و ان صغر فانّه من فعل ذلك اغترّ و من اغترّ لم يسلم لكنّ التّحفّظ من دقيق النّظر في الحيلة و الخداع اهمّ والعناية بشأنه اتمّ فانّه ان كان بعيداً لم تؤمن عودته و ان كان قريباً لم تؤمن وثبته ، و ان انكشف منك جانب لم تأمن كرّته و ان كنت متحرّماً لم تأمن مكره و حيلته ومثل هذا العدوّ وان عدّ ذكيّاً الّا انّه قد غيّر فضيلة الذّكاء الى جانب الافراط منها و هو الخبث وقد علمت انّه رذيلة نفسانيّة وصاحب هذه الرّذيلة يسمّى داهياً و متجر بزاً ، وهذه الكلمة من التّنبيهات المصلحيّة على مراعاة تميز اكبر الاعداء و التّيقّظ لاخفاهم حيلةً و الاحتراز من عداوته و الحيلة في كيفيّة دفعه و دفاعه و عليك في هذا المعنى بمطالعة الباب الرّابع[1] من كتاب كليلة و دمنة فتستفيد بتأمّله فوائد جليلة ، والله تعالى هو المنقذ من اعدائه وكفى به معيناً ينصر من يشاء وهو القويّ العزيز .

الكلمة العاشرة

قوله عليه السّلام : من طلب مالا يعنيه فاته ما يعنيه .

اقول : المقصود من هذه الكلمة الحثّ على الاشتغال بطلب الامور الّتي بها يكون صلاح المرء في نفسه باصلاح طرفي معاشه و معاده امّا في طرف المعاش فتحصيل الامور الّتي لابدّ منها في قوام البدن و بقاء النّوع وما يلزمها[2] و ترك الفضول الزّائدة الّتي لايعود اليها ضرورة وامّا في طرف المعاد فالسّعي في تحصيل الكمالات العلميّة[3] والفضائل الخلقيّة الّتي هي وسيلة الى نيل السّعادة الابديّة و الفوز بالنّعيم السّرمديّ و اذا عرفت ذلك فنقول : الامور الّتي ذكرنا انّه يجب على الانسان طلبها هي الامور الّتي تعنيه اى

---

١ — كأنه يريد به باب البوم والغربان لانه الباب الرابع من اصل الكتاب ، ولان البحث فيه عن الحزم اكثر فيه من البحث عنه في سائر الابواب .

٢ — ب ج د : « يلزمها » .

٣ — ا د : « العملية » (بتقديم الميم على اللام) .

التّى يجب ان تدخل فى عنايته باحواله و الامور التّى هى فضيلة بالنّسبة الى تلك الامور التّى لا تعنيه اذ كانت خارجةً عن حاجته زائدةً على الامور المكملة له فاذا فرض انّه اشتغل بالامور التّى لا تدخل فى عنايته فقد اشتغل بما لايعنيه و بذلك يفوته ما يعنيه اذ كان قد اشغل [١] بها وقته الّذى يجب ان يستوعبه فى تحصيل كماله الّذى يعنيه فانّ وقته لو كان اضعاف ما يمكن ان يمتدّ فيه عمره لم يتّسع لاستيفاء كماله القوىّ باخراجه الى الفعل فاذا اشتغل بما لايعنيه فقد فوّت على نفسه كمالاً يعنيه فى وقتٍ اشغله بما لا يعنيه . واعلم انّ ذلك خروج عن [٢] مقتضى العقل و وضع الاشياء فى غير موضعها و هو عبور الى طرف الجور الّذى هو طرف الافراط من العدالة و ذلك هو الخسران المبين [٣] قل هل ننبّئكم بالاخسرين اعمالاً الّذين ضلّ سعيهم فى الحيوة الدّنيا وهم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً . [٤]

الكلمة الحادية عشر

قوله عليه السّلام : السّامع للغيبة احد المغتابين

اقول : الغيبة التّحدّث فى عرض [٥] الانسان حال غيبته بما ينفر طبعه من [٦] المواجهة به، و السّامع المستمع لها عن رضىً و ايثار، فانّ السّامع المطلق اعمّ من المستمع فانّ السّامع قد يكون سماعه بقصد ذاتىّ منه وقد لايكون بل يكون عرضيّاً كسماع المارّ و غيره، و المستمع اعمّ من المستمع عن رضىً فانّ المستمع قد لايكون راضياً بل ينتظر سكوت المغتاب لجوابه او لغرض آخر فاذاً اطلاق لفظ السّامع على المستمع على وجهٍ

---

١ ـ ا ب ج : « اشتغل » . ٢ ـ ب ج د : « من » . ٣ ـ ذيل آيتين من القرآن (١١ سورة الحج و ١٥ سورة الزمر) . ٤ ـ آية ١٠٣ و ١٠٤ سورة الكهف .
٥ ـ د : « اعراض » . ٦ ـ ج د : « عن » .

مخصوصٍ مجاز من باب اطلاق العامّ على الخاصّ ، و الغيبة تنقسم الى مايكون بالكذب و الى مايكون بالصّدق ، و على التّقديرين فامّا ان يكون بما لو فعله المغتاب لخرج به عن ربقة الدّين او لايكون **فهذه اربعة اقسام** : الاوّل الغيبة الكاذبة بما يخرج به المغتاب عن الدّين ، الثّانى الغيبة الكاذبة بما لايكون كذلك ، و الثّالث الغيبة الصّادقة بما لايخرج به عن الدّين ، الرّابع الغيبة الصّادقة بما يخرح به عنه ، و الثّلاثة الاول مذمومة ملعون من اشتغل بها ، امّا الاوّلان فلاشتمالها على الكذب الموذى الموجب لتلطّخ النّفس بملكة الكذب ، وامّا الثّالث فلكونه مع خلوّه عن الفائدة اشتغالاً بما لا يعنى و مستلزماً لاذى الغير المؤدّى الى التّنافر[1] و التّباين والتّباغض المضادّ لمطلوب الله تعالى كما بيّنّاه . **وامّا القسم الرّابع** فهو و ان كان مذموماً من جهة انّه اشتغال بما لا يعنى لكثيرٍ من الخلق الّا انّ الشّريعة قد رخّصت فيه لاشتماله فى بعض الاحوال على نوع من المصلحة قال عليه السّلام : لاغيبة لفاسقٍ ؛ و وجه تلك المصلحة انّ الغالب فى صاحب الفعل القبيح الّذى ينفر طبعُه عن المواجهة به انّه يبلغه[2] ما يقال من القبيح فى حقّه وما ينشر بين العالم من مطوىّ سرّه الّذى يستحيي و يأنف من ابدائه واظهاره و يلحقه بسببه الذّمّ والعار عاجلاً و الحسرة و العقاب اجلاً فيتقهقر بنفرته الطّبيعيّة عن ارتكاب ذلك القبيح و يبدّله بضدّه المليح فيكون ذلك سبباً داعياً له الى الله تعالى ؛ ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجزٍ فى الارض وليس له من دونه اولياء اولئك فى ضلالٍ مبين[3] **اذا**[4] **عرفت ذلك فاعلم** انّ المقصود من هذه الكلمة بيان انّ الاحكام المذكورة اللّاحقة للمغتاب من الاقسام الثّلاثة الاول للغيبة كما انّها لاحقة له فهى ايضاً لاحقة للمستمع لها عن رضىً و مساعدة ؛ اذهما مشتركان فى الرّضا ومتكيّفا الذّهن بالتّصوّرات المذمومة الّتى لاتنبغى وان اختلفا فى انّ احدهما قائل والآخر قابل لكن كلّ واحد منهما صاحب آلة امّا احدهما فلسان

---

١ - ج د : « الموذى بالتنافر » . ٢ - ا : « لعقله » . ٣ - آية ٣٢ سورة الاحقاف . ٤ - ج د : « واذا » .

يعبّر عن نفسٍ قد تنجّست بتصوّر الكذب و العزم عليه و امّا الاٰخر فذوسمع تقبل عنه النّفس تلك الاٰثار عن ايثار و سوء اختيار فيألفها و يعتادها فيتمكّن من جوهرها سموم عقارب الباطل و لذلك قيل : السّامع شريك القائل ؛ فاسمع ايّها الاخ من بحثنا ما يجب ان تسمعه فمساك بعدها لا تسمع ما ينبغي ان لاتسمعه؛ والله ولىّ السّرائر و يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

الكلمة الثانية عشر

قوله عليه السّلام : الرّاحة مع اليأس .

اقول : الرّاحة لذّة تحصل للنّفس بالسّكون عن الحركات المتعبة سواء كانت تلك الحركات حسّيّة او عقليّة ، واليأس من الشّيء هو انقطاع الطّمع منه لاعتقاد انّه لم يصر ممكن التّحصيل بعد اعتقاد انّه كان كذلك ، و المقصود بيان انّ الرّاحة لازمة لليأس و ذلك ظاهر فانّ الحركات النّفسانيّة الموجّهة للحركات البدنيّة الى تحصيل المطلوب انّما تكون قائمة ما دامت النّفس متصوّرة لامكان تحصيله فاذا تبيّن لها انّ تحصيله غير ممكن فلابدّ و ان ينقطع حركة الطّلب الى تحصيله و تستبدل النّفس من تعب حركات الطّلب لذلك الرّاحة اللّازمة عن السّكون من تلك الحركات ، و فى هذه الكلمة تنبيه على ترك الطّلب و الحرص فيما لا يكسب تحصيله نفعاً ولا يعود على صاحبه الّا بالاذى و المكروه فيما يجب عليه اصلاحه من امر معاده كالاستكثار من متاع الدّنيا و اقتناء الكمالات الوهميّة لانّ الرّاحة لمّا كانت مطلوبة و هى لازمة عن ذلك التّرك وجب ان يكون ذلك التّرك واجباً فانّ كلّ تلك الامور سموم ان لم تجهز أعقبت [1]، و المثل

---

١ ـ كأنه مثل او كلام يجرى مجراه و المراد انه «امور تعقب نتائج وخيمة ان لم تدفع ولم تعالج بدفعها و قلعها و قمعها » .

المشهور من سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله في ذلك : و انّ ممّا ينبت الرّبيع لما يقتل حبطاً او يلمّ [1] و المراد به انّ ملذّات الدّنيا و زينتها وان كانت ذات زهرة و جمال فقد تؤل بصاحبها اذا خرج في الاخذ منها الى ما لا ينبغي الى سوء المغبّة و الشّقاء الاشق في الاخرة كما انّ اكلة الخضر من الماشية اذا لم تقتصد في مراعيها آل بها ذلك الى ان تحبط عنه بطونها اي تنتفخ فتهلك ، و الملمّة النّازلة من الامر فكما علمت فيما سبق انّ الذّلّ مع الطّمع فاعلم انّ الرّاحة مع اليأس ، والله الموفّق .

الكلمة الثالثة عشر

قوله عليه السّلام :

من كثر مُزاحه لم يخل من حقدٍ عليه او استخفافٍ به .

اقول : المزاح بضمّ الميم الدّعابة و هو امر اضافيّ ، و الحقد غضب ثابت لتقرّر صورة الموذى في الخيال مع عدم اعتقاد انّ الانتقام في غاية السّهولة او في غاية الصّعوبة و فائدة قيد كونه ثابتاً انّه لولم يكن كذلك لما كانت صورة الموذى متقرّرة في الخيال

---

١ ـ قال ابن الاثير في النهاية « فيه : احبط الله عمله اى ابطله يقال : حبط عمله يحبط و احبطه غيره و هو من قولهم : حبطت الدابة حبطاً بالتحريك اذا اصابت مرعى طيباً فافرطت في الاكل فتنتفخ فتموت و منه الحديث : و ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً او يلم و ذلك ان الربيع ينبت احرار العشب فتستكثر منه الماشية و رواه بعضهم بالخاء المعجمة من التخبط و هو الاضطراب و لهذا الحديث شرح يجيء في موضعه فانه حديث طويل لا يكاد يفهم اذا فرق » و قال في « لم » : « وفي صفة الجنة : ولولا انه شيء قضاه الله لالم ان يذهب بصره لما يرى فيها اى يقرب ؛ و منه الحديث : ما يقتل حبطاً او يلم اى يقرب من القتل » .

فلا تشتاق النّفس الى الانتقام و فائدة عدم اعتقاد سهولته انّه لوحصل اعتقاد السهولة لكان كالحاصل فلا يشتدّ التّشوق الى تحصيله و لذلك لا يبقى الحقد مع الملوك ، و فائدة عدم اعتقاد صعوبته انّه لوحصل ذلك الاعتقاد لكان كالمتعذّر[1] فتقصر النّفس عن التّشوق الى حصوله و لذلك لايبقى احقد مع الفقراء ، و امّا الاستخفاف و الاحتقار و الاستهانة بالمنزلة و المقصود بيان انّ من كثر مزاحه لم تخل حاله ممّن يمازحه و يحاربه من احد حالين امّا حقد عليه او استحفاف منه و هذه قضيّة متّصلة مقدّمها قولنا : من كثر مزاحه و تاليها التّلازم لها قضيّة منفصلة مانعة الجمع و الخلوّ و بيان ذلك انّ المتمازحين امّا ان يكونا شريفين او وضيعين او احدهما شريفاً و الاخر وضيعاً امّا الاوّل فلانّ المزاح يزرع بينهما حقداً باقياً ولا يحصل مع ذلك استخفاف من احدهما بالاخر لاعتقاد كلّ واحد منهما شرف الاخر ، وامّا الثّانى فلانّ المزاح يوجب بينهما استخفافاً و استصغاراً من كلّ واحد منهما لصاحبه ولا يتصوّر هناك حقدٌ امّا لانّ سلاطة كلّ واحد منهما على الاخر وجرأته عليه و استخفافه به قام مقام انتقامه منه ، اولاعتقاد كلّ واحدٍ منهما انّ الانتقام صعب ، وامّا الثّالث فلانّ المزاح يوجب بينهما ايضاً الاستخفاف دون احقد امّا من الشّريف فلاستصغاره امر الضّعيف و سهولة الانتقام منه فلا يبقى له غضب فى حقّه ، و امّا من الضّعيف فلانّ استخفافه بالشّريف و سلاطته عليه من جهة بسطه لنفسه معه يجرى فى حقّه مجرى انتقامه منه او انّه لاعتقاده صعوبة الانتقام لا يبقى له الحقد فثبت بما قرّرناه انّ الحقد و الاستخفاف لا يجتمعان ولا يرتفعان ، و امّا بيان الملازمة فلانّ كثير المزاح مستلزم لحركته تلك لثوران القوّة الغضبيّة من الممزوح معه و بثوران الغضب يكون احدالتّلازمين المذكورين . **فاعلم** انّ المزاح قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً ؛ و الاوّل هو المزاح المعتدل المقدار الّذى لا يخرج بصاحبه فى الكمّيّة و الكيفيّة الىما لاينبغى ، والوقوف على المقدار المعتدل منه وان كان صعباً لغلبة القوّة الشّهويّة

---

١ - ب ج : « كالمعتذر » .

عند انبعاثها في المزاح من اكثر الخلق وقلّة مراجعة العقل بالتّحديق الى مايجرّه ذلك الفعل عند كثرته ولقلّة الاطّلاع من المزاح[1] على تفاوت الامزجة في قبول ذلك الفعل وعدم قبوله وسرعة انفعال طباعهم لسرعة تصوّر متخيّلاتهم للموذى وبطوءه لكنّه ممكن ومع امكانه هو موجود وذلك ممّن استكمل الفضائل العلميّة والعمليّة وكانت قوّته الشّهويّة في اسر قوّته العقليّة وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يمزح ولايقول الّا حقّاً وكان امير المؤمنين عليه السّلام كذلك، وذمّه عليه السّلام لكثرة المزاح في هذه الكلمة دليل على انّه كان يقف منه على القدر المحمود، والسّبب في كون القدر المعتدل منه محموداً هو انّه من الاسباب الباسطة للنّفس الموجبة للانس الّذى هو سبب الالفة الّتى هى سبب المحبّة الّتى بيّنّا وجوبها فيما سبق وانّها مطلوبة من العناية الالهيّة وحينئذٍ يكون ذلك المقدار متعلّقاً بالفضائل الخلقيّة و سبباً من اسباب الاستكمال النّفسانيّ ، وامّا المذموم منه فهو الّذى يبتدئ به صاحبه ولايدرى اين[2] يقف منه فيخرج به عن حدّ الاعتدال[3] الى مالاينبغى ولايزال يزداد به في حقّ صاحبه حتّى يثير قوّته الغضبيّة ويقع احد ماذكرنا، وكلّ ذلك موجب للوحشة الموجبة للمقاطعة والتّباين المضادّ للالفة والمحبّة فيحصل ضدّ ماذكرنا من انّه مطلوب العناية الالهيّة فواجب على من لايعرف اين[4] يقف منه اذاً ان يحذره ويتذكّر قول القائل : ربّ حقدٍ قاده اللّعب ؛ وقول الآخر : لا تمازح الشّريف فيحقد عليك ولاالدّنئ فيجترئ عليك ، وقول الشّاعر :

ايّاك ايّاك المزاح فانّه ... الى الشّر دعّاء وللشّر جالب

والعجب الّذى لاينقضى ممّن عاب امير المؤمنين بالدّعابة فقال : لولا انّ فيه دعابة ؟! كيف يقبل منه ذلك فانّ هذا الانكار ان كان لانّه ارتكب القدر المعتدل منه وقد عرفت انّه أمر محمود كان ذلك انكاراً مستلزماً للنّهى عن المعروف وهو غير جائز؛ وان كان ذلك لانّه ارتكب القدر الخارج منه الى مالاينبغى فترى انه عليه السّلام كان

١- ا ج د : «المزاح». ٢- : «او» د : «انى». ٣- ا ب : «العدل». ٤- ج د : «انى».

لايعرف القدر الّذى يجب الوقوف عنده من المزاح مع ما تواتر عنه ممّا يوضح انّه كان اكمل الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله فى قوّتيه النّظريّة والعلميّة وانّه ينبوع العلوم اليقينيّة والاخلاق الرّضيّة الّذى يستقى[1] من تيّاره فحول الاسلام من اكابر العلماء الرّاسخين واشراف الزّهّاد العارفين كما هو مأثور عنه مشهور وفى اذهان الخلق مقرّر مسطور، مع ما صدر عنه فى ذمّ المزاح المفرط فى هذه الكلمة وغيرها وما نقل عنه عليه السّلام من الرّدّ على العائب له بذلك وتكذيبه اياّه وذلك قوله عليه السّلام فى ذكر عمرو بن العاص[2]:

يزعم لاهل الشّام انّ فىّ دعابةً وانّى امرؤ تلعابة ، اعافس وامارس، لقد قال باطلاً ونطق اثماً، اما وشرّ القول الكذب ؛ انّه ليقول فيكذب ، و يعد فيخلف ، و يسأل فيلحف، ويسأل فيبخل ، ويخون العهد ، ويقطع الإلّ، فاذا كان عند الحرب فاىّ زاجرٍ واٰمرٍ هو مالم تأخذ السّيوف مآخذها ؛ فاذا كان ذلك كان اكبر مكيدته ان يمنح القرم سبّته ، اما والله انّى ليمنعنى من اللّعب ذكر الموت، وانّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الاٰخرة، وانّه لم يبايع معاوية حتّى شرط له ان يوتيه أتيّةً ويرضخ له على ترك الدّين رضيخة .

ومن انصف من نفسه وقهرها عن متابعة الهوى وسلوك سبيل العناد علم انّ هذه الالفاظ لم تصدر عنه عليه السّلام وهو مرتكب لما ينكره من ذلك . ويكفيك فى معرفة فضل المعيب نقصان العائب المذكور بما اشتهر عنه ممّا ذكره عليه السّلام فيه من الاخلاق الرّديّة والافعال القبيحة فانّ من اجتمع فيه ان يكون كذوباً مخلافاً للوعد بخيلاً ملحفاً[3] فى السّؤال يخون العهد ويقطع الرّحم ثمّ ينضاف الى ذلك معجباً بنفسه لظنّه الكاذب بنفسه فى الحروب وغيرها انّها مستحقّة لمرتبةٍ من الكمال مع انّها ليست كذلك فيكون فى ابتداء الحرب فى صورة اٰمرٍ وزاجرٍ ومشيرٍ مع انّه ليس لشىء من ذلك بأهل حتّى اذا اخذت السّيوف مآخذها كان حينئذٍ مستشعراً لباس الخوف والجبن فرّاراً غير كرّارٍ وكان وجه خلاصه من الهلاك باظهار رذيلة الخبث والخداع عن اردء وجهٍ واقبحه وهو كشف سوءته فى ردّ

١ ـ ا : «يستسقى» . ٢ ـ انظر شرح النهج لشارح الكلمات (ص ٢١٠-٢٠٩) .
٣ ـ ا : «ملحاً» (من الح بالحائين) .

سيفه عليه السّلام الّذى لم يقتل به الّا كافراً ومن هو فى حكمه حتّى صار ذلك مثلاً يضمّن الاشعار والاخبار الى يوم الدّين قال: كما ردّها يوماً بسوأته عمرو؛ مع ما ظهر من نفاقه وكفره ببيع دينه من معاوية. واذا كان عاتبه عليه السّلام بهذا النقصان المستلزم لنهاية الخسران كفاك ذلك فى معرفة حاله وكذب مقاله واستلزم ذلك فضل المعيب وشرفه قال ابو الطّيّب:

واذا أتتك مذمّتى من ناقص فهى الشّهادة لى بأنّى فاضل

والعدوّ اذا اطلق عنان هواه فى اذى من عاداه اجتهد فى قلب الفضائل رذائل وتصوير صحيح افعاله بصورة الباطل وخاصّة عداوة عن حسد مرشّح[1] بحقد صار عن مشاجرات ومجاهدات فى الله، وما اكثر النّاس ولو حرصت بمؤمنين[2] وما يؤمن اكثرهم بالله الّا وهم مشركون[3].

الكلمة الرابعة عشر

قوله عليه السّلام: كفى بالظّفر شفيعاً للمذنب.

اقول: قد عرفت معنى الظّفر ومنه القدرة على العدوّ والفوز، ومقصود هذه الكلمة الحثّ على التّأدّب عند الظّفر بصاحب الجريمة بتشفيع الظّفر فيه وترك اذاه وهو فى الحقيقة اعنى ذلك التّأدّب عند التّعوّد به يكون اثراً للملكة المسمّاة بالحلم ويصير ملكة تسمّى بالعفو، ثمّ انّه عليه السّلام اطلق لفظ الشّفيع على معنى الظّفر مع تباين حقيقتهما فانّ الشّفيع كما علمت هو الشّخص الّذى يشفع المذنب فى طلب الخلاص من جريمته بعد ان كان وتراً، والظّفر معنىً من المعانى فتعرف[4] اذاً انّه اطلاق مجازىّ من باب الاستعارة والتّشبيه. وبيان المناسبة انّ الشّفيع كما يكون غايته فى التّلطّف والتماس الاعذار وتحمّل[5] الامتنان ممّن اليه الشّفاعة هو ازالة الامور المتوهّمة فى المشفوع له من وهم المشفوع اليه وذاكرته او

---

١ - ب ج د: «موشح». ٢ و ٣ - ذيل آية ١٠٢ و ١٠٦ سورة يوسف.

٤ - ب ج د: «فيعرف». ٥ - ب ج د: «ويحمل».

ازالة بعضها وبالجملة ماتسكن معه القوّة الغضبيّة عن الحركة والتّحريك فى اذى المذنب والانتقام منه كذلك الظّفر عند تحقّقه مزيل للحقد وكاسر للقوّة الغضبيّة من الظّافر عن التّحريك لشهوة الانتقام امّا لانّ المحرّك لذلك الشّوق وهو الوهم قد زال منه تصوّر الموذى اولاعتقادالظّافرحالة ظفره قلّةالاذى وعدمتأثيره فى حقّه واذا لاحت هذه المشابهة الحسنة[1] لاح انّ ذلك التّجوّز من احسن الاستعارات فكنى اذاً بالظّفر الّذى فى معنى الشّفيع شفيعاً للمحتاج الى الشّفاعة فى الصّفح عن جريمته والتّجاوز عن سيّئته ومع ماذكرنا فيه من سرّ فائدة تشفيعه وهى انّه يحصل بالتّعويد به الملكة المسمّاة بالحلم[2] له فائدة اخرى وهى انّ تشفيع الظّفر فى الغالب موجب لانمحاء الحقد من جانب المظفور[3] به ايضاً فيكون العفو عنه وترك الانتقام منه سبباً لاعتقاده ايصال[4] المنفعة من العافى اليه فيكون ذلك سبباً داعياً الى الميل الى جانب الظّافر وموجباً لتبديل العداوة بالصّداقة والوحشة بالانس والفرقة بالالفة والبغض بالمحبّة ، وكلّ ذلك قد عرفت انّه مطلوب للعناية الالهيّة باجتماع الخلق وتكثّرهم فى الوجود فكنى اذاً بالظّفر شافعاً حافظاً للادب كاسراً للغضب واقياً من العطب موجباً للالفة والحبّ الّذى فيه رضا الرّبّ ، والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة الخامسة عشر

قوله عليه السّلام : ربّ ساعٍ فيما يضرّه[5]

اقول : السّعى قد يكون سعياً ذاتيّاً وقد يكون عرضيّاً ؛ امّا السّعى الذّاتىّ

---

١ - ج د : «الحسية» . ٢ - ج د : «بالحكمة» . ٣ - د : «المظفر» . ٤ - د : «اتصال» .

٥ - هو مروى فى نهج البلاغة فى وصية امير المؤمنين (ع) لابنه الحسن (ع) وشرحه الشارح (ره) هناك بقوله (انظر ص ٥٢٤ و ٥٢٦ من الطبعة الاولى) :

«نبهه بطريق التمثيل ايضاً على التحرز فى السعى والتثبت فى ارتياد المصالح بقوله : رب ساع فيما يضره ؛ فالاصل هو الساعى ، والفرع هو المخاطب ، والعلة هى السعى ، والحكم هو التضرر» .

فانّما يكون فى تحصيل النّافع لاعتقاد المنفعة المستلذّ بها من جهته **امّا عاجليّة كالسّعى** فى تحصيل المنافع الدّنيويّة المستلذّ بها حسّاً ، **او اجليّة** كالسّعى فى تحصيل اللّذّات الباقية والخيرات الدّائمة الموجبة لكمال النّفس وسعادتها ، **وامّا العرضىّ** فقد يكون نحو المنفعة وقد يكون نحو المضرّة ، مثال الاوّل امّا نحو المنفعة الحاضرة فكمن يحتفر بئراً فيقع على كنزٍ ؛ وامّا نحو المنفعة الباقية فكمن يسعى فى الاموال فيتّفق له استاذ مرشد الى العلم بصير بمناهجه فيهتدى به الى سواء السّبيل . **مثال الثّانى** امّا نحو المضرّة فكمن يحتفر بئراً فتنهشه حيّة او يكون سبباً لتردّيه فيه[1] وامّا نحو المضرّة الاجليّة فكمن يسعى فى تحصيل العلم فيتّفق له استاذ مضلّ جاهل فيكسبه الجهل بشبهه[2] فيبقى منكّساً فى الظّلمات ، **وفى درج هذه الاقسام اقسام اخرى بحسب اعتبارات اُخر** غير انّ ماذكرناه كافٍ فى بيان المطلوب ، **اذا عرفت ذلك ظهر لك** انّ السّاعى فيما يضرّه جزء من كلّ بالنّسبة الى مطلق السّعاة الطّالبين للمطالب فلاجرم استعمل سلام الله عليه ههنا لفظ « ربّ » المقتضية للتّقليل ؛ وهذه الكلمة مستلزمة لوجوب التّيقّظ والاحتراز فى المساعى والاجتهاد فى تمييز نافعها من مضرّها ولزوم القانون العدلىّ فى تعرّف كيفيّة السّلوك للصّراط المستقيم فانّ الباطل قد يكون بصورة الحقّ بالنّسبة الى اوهام كثيرٍ من الخلق ، والكذب فى كثيرٍ من مخارجه وقد[3] يتشبّه بالصّدق ؛ والله ولىّ الهداية .

الكلمة السادسة عشر

قوله عليه السّلام : روّحوا القلوب فانّ القلب اذا أكره عمى .

اقول : المراد بالقلب النّفس والاكراه الالزام لما يكره وروّحوها اى ارددوها

---

١ - كذا فى النسخ والصحيح : «فيها» لان البئر مؤنثة قال الله تعالى : «وبئر معطلة» .

٢ - اج د : «بشبهة» (بلفظ المفرد لا باضافة جمعه الى ضمير الاستاذ كما فى المتن» .

٣ - كذا ؛ وفى نسخة د : «قد» (بلاواو) . ٤ - ج د : «عادته» .

عمّاهي عاديّة[١] فيه من قولهم: روّح ابله اذا ردّها وقت الرّواح من السّوم الى المنزل، والعمى ذهاب البصر من العينين معاً وهذه الكلمة من التّأديبات الصّلاحيّة للسّالكين في العلوم والاعمال والمقصود بها انّ القوى البدنيّة التي هي آلات النّفس في التّوصّل[٢] الى مراداتها المتعلّقة بالبدن لاشكّ انّها متناهية القوّة فلاتقوى على الاعمال الغير المتناهية فاذا وجّهتها النّفس في تحصيل المطالب فتحرّكت كثيراً فانّه حينئذٍ يحصل لها من الكلال والملال مايوقف النّفس عن العمل لضعف آلاتها[٣] وملالها وربّما بقي فيها ميل ونزاع[٤] وان ضعفت آلتها وملّت قوّتها الفكريّة الّا انّه اذا كان كذلك فينبغي ان لاتبالغ النّفس في المعاطفة[٥] على ذلك الفعل بعينه فانّها ان فعلت ذلك خارت[٦] قوّتها الفكريّة التي هي عينها التي تبصر بها وجوه المطالب ووهت[٧] فزال نورها وذلك معنى العمى ولم يمكنها فتح ذلك البصر واستعادة ذلك النّور الّا على عسرٍ لنفار الطّبع عن المعاودة من تصوّر الوهم للموذى، وعرفت من هذا انّ اطلاق معنى العمى على ماذكرناه استعارة حسنة للمشابهة البيّنة من بحثنا فينبغي للسّاعي في تحصيل المطالب الفكريّة ان لايقهر نفسه و [لا] يلزمها السّعي فيما عجزت عن تحصيله بل يروّحها كما يروّح صاحب الابل ابله لمراعاة مصالحها وحفظها من[٨] العمى بالاكراه كما يراعي ذوالسّائمة ابله ويحفظها من العطب فان النّشاط فيما يصرفها اليه ويسيمها فيه بعد ذلك اتمّ والميل اصدق بحسب تجدّد قوّة القوى ونشاطها.

فان قلت: هذا التّأويل يتوجّه عليه شكّان: **الاوّل** انّ التّروّح يستدعي مروّحاً ومروّحاً والنّفس لاتكون مروّحة لنفسها فلمّا كانت هي المروّح وجب ان يكون المروّح غيرها؟! **الثّاني** انّ الاكراه يستدعي مكرِهاً ومكرَهاً؛ والنّفس لايتصوّر ان تكون مكرهة لنفسها؟!

---

١ ـ ج د: «عادته». ٢ ـ ب: «في توصل». ٣ ـ ب ج د: «آلتها». ٤ ـ ب ج د: «ميل ولها نزاع». ٥ ـ ب ج د: «المواظبة». ٦ ـ ا ج د: «حارت». ٧ ـ ا: «ورهت» (بالراء المهملة في لفاء الفعل). ٨ ـ ا: «عن».

قلت : الجواب عن الاوّل انّ المروّح للنّفس هو النّفس من جهة عقليّتها[1] للمصلحة فيذلك والمروّح هو ايضاً باعتبار ضعف آلتها حال ضعفها والى مثل ذلك اشير في التّنزيل الالٰهيّ: يا ايّها الّذين امنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً[2]؛ فانّ المعطى للنّفس الوقاية هو النّفس من جهة كونها عاقلةً لمصالحها ومايجب ان تفعل ، والآخذ للوقاية هو هي ايضاً من حيث كونها قادرةً متمكّنة ممّا فيه مصلحتها وذلك غير متنافٍ . **وعن الثّاني** ان المكره للنّفس هو هي من جهه عقليّتها لما ينبغي ان يفعل وغلطها في ذلك فالمكره على ذلك السّعي هو هي ايضاً من جهة كونها قادرة على التّصرّف .

فائدة ــ لو حملنا القلوب على القوى المفكّرة باعتبارٍ والمتخيّلة باعتبارٍ وحملنا المروّح لها على النّفس النّاطقة وحملنا المكره عليها والمكره على تلك القوى وحملنا العمى على عدم انتفاع النّفس بها وعدم رؤيتها لوجوه المطالب بواسطتها لكلالها وملالها حتّى كان ذلك صالحاً لان يكون هو المراد اوقريباً منه ؛ والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة السابعة عشر

قوله عليه السّلام : الادب صورة العقل .

اقول : قد عرفت معنى الادب ومعنى الفعل ، وامّا الصّورة فتطلق ويراد بها في الظّاهر مايشاهد من الشّكل والهيئة وتسمّى صورة شخصيّة وتطلق في عرف قوم ويراد بها الجوهر الحالّ في المحلّ المقوّم لما يحلّه[3] ويتحصّل متحيّزاً باقترانه به وتسمّى صورة طبيعيّة وتسمّى محلّه مادّة ويسمّى المركّب منه ومن محلّه جسماً طبيعيّاً ، وتارةً يراد به مايقع به اختلاف انواع الجسم بعد اشتراكها في الصّورة الجسميّة العامّة وتسمى تلك صورة نوعيّة ؛ وقد اطلق عليه السّلام ههنا لفظ الصّورة على الادب مجازاً ، والاشبه انّ ذلك المجاز

---

١ ـ «عقليها» . ٢ ـ صدر آية ٦ سورة التحريم . ٣ـ ا : «يحله فيه» .

عمّا سمّيناه صورة شخصيّة ووجه المناسبة بينهما انّ الصّورة الشّخصيّة لمّا كانت سبباً يعرف به كلّ شخص شخصاً[١] ويميز الرّائى بها[٢] بعض الاشخاص عن بعضٍ ويستثبتها خياله كذلك الادب هو سبب يوضح امر صاحبه ويستدلّ بوجوده فيه على وجود استعداده للنّفحات الالٰهيّة الّذى هو عقله ، وبتفاوته يستدلّ على تفاوت العقول ومغايرة بعضها لبعضٍ كما يستدلّ بتفاوت الصّور فى حسنها وقباحتها على اختلاف الاشخاص وتغايرها . واذا لاح وجه التّجوّز الحسن ونظرت الى المعنى المجازىّ المستحسن فقد اشرفت من[٣] مصدرها[٤] على بحرٍ لا يعام وادركت صورة غاية لا ترام ، **وفى هذه الكلمة تنبيه** على وجوب لزوم قانون الادب الكاشف عن وجود معنى العقل والمقرّر له ، والله يختصّ برحمته من يشاء[٥] وهو الموفّق .

الكلمة الثامنة عشر

قوله عليه السّلام : اليأس حرّ والرّجاء عبد .

اقول : الرّجاء توقّع حصول المطلوب، واليأس عدم الرّجاء عمّا من شأنه ان يكون راجياً ثمّ نقول: ليس المقصود انّ اليأس نفسه له صفة الحرّيّة ولا الرّجاء له صفة العبوديّة بالحقيقة بل الرّاجى والآئس فاذاً اطلاق هذين اللّفظين على معنى اليأس والرّجاء بحسب المجاز من باب اطلاق اسم المتعلّق على المتعلّق والمقصود بيان انّ الرّاجى لامرٍ ما امّا من الله تعالى او من احدٍ من ابناء النّوع لا يزال مادامت نفسه منتظرةً لذلك المرجوّ خاضعاً للمرجوّ منه متذلّلاً له ، ذابّاً عنه ساعياً فى مصالحه مجتهداً فى ارضائه بكلّ انواع الرّضا ويظهر الملق والتّودّد ، ويحتمل[٦] المشاقّ فى المساعى من الذّمّ وغيره حتّى تجده فى رجائه من عالم الخفيّات والسّرائر امرءاً يبتهل ويدعو ويكثر زيارة المساجد ومواضع القرب

---

١ ـ ا ب : «كل شخص شخص» . ٢ ـ ا ب : «لها» . ٣ ـ ا : «فى» .
٤ ـ ج د : «مصادرها» . ٥ ـ مأخوذ من القرآن المجيد من آية ١٠٥ سورة البقرة .
٦ ـ ا : «تحمل» .

ويوجب على نفسه المنذورات في خلاص ما يرجوه ووصوله اليه ولا معنى للعبودية الا ذلك فانّ الخضوع والتذلّل ههنا اتمّ ما يمكن ان يكون ، واما بيان انّ الآئس حرّ ؛ فظاهر، اذ منقطع الرّجاء من الشيء متخلّص العنق من وثاق التذلّل والخضوع للمرجوّ منه ، وان كان اطلاق لفظ الحرّ والعبد على الرّاجي والآئس مجازيّاً بالنّسبة الى من وضعا له .

وههنا نظرٌ اخر وذلك انّ الحرّ يقال على ذي الفضيلة النّفسانيّة التي بها يكسب المال من وجهه ، ويعطي ما يجب في وجهه ، ويمنع من اكتساب المال من غير وجهه ، ويقابله العبد لمن له ضدّ تلك الفضيلة من الرّذائل[1] ومعلوم انّ الاوّل انّما كان قادراً على التّصرّف المذكور بحسب قهر النّفس الامّارة بالسّوء وتطويعها للنّفس المطمئنّة وانقيادها في اسرها، وانّ الثّاني انّما لم يقدر على ذلك لغلبة النّفس الامّارة على النّفس المطمئنّة وجذبها لها الى المشتهيات الدّنيّة واللّذّات البدنيّة فاذا كان كذلك لاح لك حينئذٍ انّ الرّاجي لامرٍ فانٍ لمّا كانت قوّته الشّهويّة قائدة لعقله الى الطّمع فيما لا ينبغي ان يطمع فيه وتوقّع ما لا ينبغي ان يتوقّع ولا يجوز ان يشغل النّفس بطلبه لاجرم كان عبداً لتحقّق معنى العبوديّة فيه وهي الرّذيلة الصّادرة عن متابعة الشّهوة ، وانّ الآئس لمّا كان منقطع الرّجاء وزائل الطّمع في هذه الاشياء دلّ ذلك على قهر قوّته العاقلة لهواه ومتى كان كذلك كانت نفسه متحصّلةً لتلك الفضيلة المسمّاة بالحرّية فلاجرم كان حرّاً؛ والاعتبار الاوّل أظهر وأشهر، والثّاني أدقّ عند النّظر، والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة التاسعة عشر

قوله عليه السّلام : من لانت أسافله صلبت أعاليه

اقول : المراد بالاسافل السّبّة[2] والاليتان ، وباللّين الخنث وهو الاسترخاء

---

١ ـ د : «من الرذيلة». ٢ ـ السبة (بضم السين وتشديد الباء) الاست.

والتّكسّر[١] لامطلقاً فانّ مطلق استرخاء ما ذكرنا لايلزمه صلابة الاعالى بل على وجهٍ خاصٍّ وهو انيكون ذلك عن مباشرة الرّجال والاتيان فىذلك المحلّ للشّهوة العارضة الدّاعية الىالاتيان فيه ويسمّى صاحب هذا الفعل مخنّثاً لكون الاسترخاء من لوازم ذلك الفعل اذكان صاحب هذه الشّهوة كثيراً ما يميل الى طباع النّساء وخاصّة فىالبلدان الحارّة الرّطبة فاطلاق الخنث على هذه الشّهوة اطلاق اسم اللّازم على ملزومه . **وامّا الاعالى** فالوجه واللّسان والعين ؛ وليس المراد من صلابتها عدم قبول الانفعال فانّ قبولها للانفعال ظاهر بل المراد القحة والخشونة المتعارفة الّتى تصدر عن عدم الحياء كما ستعرفه فىالكلمة الّتى بعد هذه الكلمة . **وامّا السّبب فىتحريك هذه الشّهوة** فهو قوّة تخيّل[٢] اللّذّة فىهذا الفعل الباعثة لتحريك الشّهوة بقوّة وكثرة الاسباب المادّيّة[٣] للشّهوة وقوّتها فىبعض الامزجة . ثمّ قد يكون الاستعداد لهذا الانفعال والتّخيّل لازماً لوجود الشّخص من اصل مادّته فتراه منحيث الصّبا[٤] وقبل تمام الشّهوة منخنث[٥] الكلام يتعانى[٦] لين كلمات النّساء وكثيراً ما يرجى[٧] لمثل هذا فلاح ، وقد يكون ذلك الاستعداد عارضاً امّا عن عادةٍ لذلكالفعل حدث ابتداؤها عن اجبارٍ او عن اختيارٍ فتكون الحركة عنذلك الاستعداد الى ذلك الفعل والمبادرة اليه سريعة .

وامّا بيان لزوم التّالى للمقدّم فهو انّ ذلكالفعل لمّا كان أقبح مايرتكبه الانسان فىالعرف وبين اهل العالم وكان التّظاهر به مستلزماً لاطفاء نور ملكة الحياء من وجه الفاعل المستلزم لغلظ الوجه وقحة الحدقة لاجرم كانت صلابة الاعالى لازمةً للين الاسافل كما سنزيده تقريراً فىالكلمة الّتى تأتى بعدها . **وقد عرفت** انّ هذه الكلمة مستلزمة للتّنبيه على قبح ارتكاب هذا الفعل لقبح مايلزمه من الرّذائل الّتى يجب اجتنابها وتطهير النّفس عنها ؛ والله يطهّر سرائرنا عن ملكات السّوء انّه ولىّ كلّ نعمة ، وبه التّوفيق والعصمة .

---

١ ـ ا : «والتكسير» ج د : «والتليين» . ٢ ـ ا : «تخييل» . ٣ ـ ا : «المادة» .
٤ ـ ب ج د : «الصبى» . ٥ ـ د : «متخنث» . ٦ ـ كذا فىالنسخ ولعل الصحيح : «يتعاطى» . ٧ ـ ب ج د : «لايرجى» .

الكلمة العشرون

قوله عليه السّلام : من طعن في عجانه قلّ حياؤه وبذا[١] لسانه.

اقول : المراد من هذه الكلمة قريب ممّا قبلها فعبّر عليه السّلام بالطّعن الّذي هو في الاصل عبارة عن الضّرب بالرّمح وكلّ محدّد مستقيم ممّا هو في حكمه عن الضّرب بالقضيب مجازاً ووجه المشابهة ظاهر وفيه يقول بعض [أهل] الخلاعة :

يا ايّها النّاس من كانت له فرس فليركبنّ عليها نومة النّاس
وليشددنّ بسرجٍ لاحزام له وليطعننّ برمحٍ ليّن الرّاس

والعجان اسمٌ لآخر القضيب ممّا يلي السُّبّة وعبّر به عليه السّلام عن السُّبّة مجازاً اطلاق اسم المجاور على ما يجاوره ، والبذاءة الكلام الفاحش ، وانّما خصّص(ع) العجان بالذّكر دون جوانب السّبّة لملاحظة لطيفة وذلك انّ سبب وقوع لذّة المفعول فيه بذلك الفعل انّما هو محاكّة قضيب الفاعل لاصل قضيب المنفعل وهو عجانه المستلزمة لثوران الشّهوة والموجبة للانزال دون سائر الجوانب فلذلك خصّه عليه السّلام بالذّكر دونها ، **وامّا بيان الملازمة** بين جزئي هذه الشّرطيّة فلانّ السّبّة لمّا كانت اخسّ مكانٍ واقبحه من الانسان وكانت طبيعة الخلق مجبولة على سترها اذ كانت جبلّة الانسان مبنيّة على ستر القبيح وكلّ ماعدّ بين الخلق نقصاناً ورذيلةً ؛ واظهار الجميل والمسارعة الى التّكميل بكلّ[٢] مايعدّ كمالاً وفضيلةً ؛ فاذا فرضت انساناً اتّصف بهذا الفعل لعروض أسبابه فاذا ثارت[٣] قوّته الشّهويّة الى ارتكابه فانّ عقله حينئذٍ يكون مقهوراً في شهوته فينساق[٤] في قيادها الى قبول ماهو مشهور القبح[٥] بين الخلق وما كان نافراً منه باصل جبلّته من العار والشّناعة القبيحة

---

١ - ا : «بذه» (بتشديد الذال) ولعله مصحف : «بذا» بهمز الاخر. ٢- ج د : «لكل».
٣ - د : «تأدت». ٤ - ج د : «فيساق». ٥ - كذا والظاهر انه : «مشهور بالقبح».

والنّسب الصّادق والذّمّ الفاحش بين الخلق ويأنس ولا يبقى له انكارٌ ولا له منه نفارٌ بل ربّما تزيّى بزيّ النّساء اللّاتى هنّ[1] محلّ الوطى بأصل الطّبيعة ؛ واستحسن ذلك والفه ، واذا كان كذلك لم تنحصر نفسه خشيةً من الذّمّ وحذراً من اتيان القبيح اشنعه واشتهاره به عن رضىً ومحبّةً ؛ وحينئذٍ تحصّلت له وقاحة الوجه والعين واللّسان لامتداد الرّوح النّفسانىّ عند المواجهة بالقبيح ولا يزال ذلك يتزايد بحسب التّعويد وطول المواجهة حتّى لا يبقى له استشعار خوفٍ من[2] ذمّ ، ولا انفعال عن مواجهة بشتمٍ ، فقد ظهر لك لزوم قلّة الحياء للاتيان المخصوص فى المحلّ المذكور ، وامّا البذاءة فلازمة لقلّة الحياء ، ولمّا كانت هذه الرّذائل والظّلام[3] العارض من عدم هذه الفضائل مهروباً منها وكان ذلك الفعل هو السّبب فى لزومها كانت هذه الكلمة مشتملةً على التّنبيه للحذر من قربه والبعد عنه ماامكن ؛ والله المستعان .

الكلمة الحادية والعشرون

قوله عليه السّلام : السّعيد من وعظ بغيره .

اقول: السّعادة فى اللّغة هى اليمن والمراد بها ههنا حصول الانسان على الكمال الذّاتىّ له ، **والاتّعاظ** الانزجار عمّا يبعّد عن الحضرة الالهيّة وينافى الكمال المطلوب ، **واعلم** انّ هذه القضيّة فى تقرير متّصلة وهى : من وعظ بغيره فقد سعد ؛ وبيان الملازمة انّا بيّنّا انّ العلل العالية الفيّاضة بالخيرات ليس فى جانبها نقصانٌ ولا ينسب اليها تقصير وحرمانٌ بل الاصل فى عدم حصول الكمال وتأخّره هو نقصان المستعدّ فى ذاته او[4] عدم استعداده لمطلوباته حتّى اذا تمّ استعداد النّفس لامرٍ يوجب فيضه من علّته التّامّة واذا كان كذلك **فاعلم** انّ الاتّعاظ هو ازجار النّفس عن متابعة قواها البدنيّة الّتى هى شياطينها[5] حتّى لا ترد

---

١ ـ فى النسخ : «الذين هم» . ٢ ـ ا : «من خوف» . ٣ ـ ا : «والكلام» .
٤ ـ ج د : «و» . ٥ ـ ب : «شياطينهم» .

موارد[١] الملكات ولاتتدنّس برذائل الملكات ولزومها لقانون العدل الّذى هو[٢] وسط بين طرفى الافراط والتّفريط فيما يقودها اليه تلك القوى وتمنّيها من اباطيل المنى فاذا فرضنا انّها انزجرت مثل ذلك الانزجار عن نظرها بعين البصيرة الى حطام هذه الدّار فلاشكّ ولاشبهة انّها قد حصلت على الاستعداد المستلزم لنيل السّعادة الباقية ، واستشعرت لباس الامن من سموم عقارب اللّذّات الفانية ، **واماّ انّ ذلك الاتّعاظ من الغير فلأنّ** كلّ موجود ممكن لاينفكّ عن دليلٍ واضحٍ على الحكمة الالـهيّة وبرهانٍ شاهدٍ على كمال العناية الرّبّانيّة

فى كلّ شيءٍ له آية تدلّ على انّه واحد

فاذا اطّلعت النّفس على اثر رحمة الله او اثر سخطه لاح لها انّ المطلوب ليس هو مايميل قواها البدنيّة اليه وليس المراد ماتقبل بوجهها عليه فتتقهقر حينئذٍ عن طاعتها المردية وتتزجر عن متابعتها الموذية الى القانون العدلىّ ولاشكّ انّ لزوم ذلك القانون معدّ لقبول السّعادات الابديّة .

وقد وردت هذه الكلمة برواية أخرى وهى :

السّعيد من اعتبر بغيره . وتقديرها على هذه الرّواية : من اعتبر بغيره ؛ فان فسّرنا الاعتبار بالاتّعاظ لم يكن بين الرّوايتين مغايرة الّا فى اللّفظ ، وان فسّرناه بالمجاوزة والتّعدّى كما سبق احتجنا فى بيان اللّازم للملزوم وهو ثبوت السّعادة للمعتبر الى وسطٍ هو الاتّعاظ ، **اماّ المقدّمة الاولى** فلانّ المعتبر اذا نظر الى وفق الامر الالهىّ : قل انظروا ماذا فى السّماوات والارض[٣] فاعتبروا ياأولى الابصار[٤] فاستوفى شرائط النّظر كان ذلك النّظر مستلزماً للمجاوزة الى المطلوب استلزام الكلّ لجزئه[٥] فاذا حصل المطلوب على وجهه كان

---

١ ـ ا : «سراده» . ٢ ـ ا : «لقانون العدل هو» . ٣ ـ صدر آية ١٠١ سورة يونس .
٤ ـ ذيل آية ٢ سورة الحشر . ٥ ـ ج : «الكلى الجزئية» د : «الكلى لجزئية» .

ذلك سبباً لكمال القوّة العاقلة يتمكّن معه من قهر قواها البدنيّة وجذبها لها الى المسالمة والمساعدة على تحصيل المطلوبات الحقيقيّة . **وامّا الكبرى** فبيانها ماسبق فى الرّواية الاولى وبتقدير صحّة هذه الرّواية تكون هذه الكلمة صالحة الدّخول فى القسم الاوّل وفيها تنبيه على وجوب الاتّعاظ فانّ السّعادة لمّا كانت هى المطلوب[1] بالذّات وكان الاتّعاظ وسيلةً اليها لاجرم كان واجباً ؛ والله ولىّ التّوفيق .

الكلمة الثانية والعشرون

قوله عليه السّلام : ربّ املٍ خائب .

اقول: الامل هوالرّجاء ، **والخيبة** عدم حصول المطلوب بعد السّعى فيه ، والمقصود من هذه الكلمة التّنبيه على وضع الآمال مواضعها كما ينبغى وعلى الوجه الّذى ينبغى فانّ فيها ماهو خائب وان وجّهه الآمل مذلّلاً[2] فيه نفسه وقد علمت انّ اعظم السّعى خيبة ماكان سعياً واملاً للامور الفانية الّتى تفنى لذّتها وتبقى حسرتها فنحّ ايّها الاخ شهوتك جانباً وحدّق بعين بصيرتك الى ان تضع املك فانّك ستراه ان شاء الله . **وامّا تصديره** عليه السّلام **للكلمة بربّ** المقتضية للتّقليل فلانّ الآمل لمّا كان فى الغالب انّما يوجّه الآمال الى الامور الممكنة فى حقّه والّتى يكون متأهّلاً لها اذ مالايتصوّر امكانه فى حقّه ولاتأهّله له لايكون املاً له واذا كان فى الاغلب مستعدّاً لما يأمله كان ظافراً بحصوله بحسب تأهّله له سواء كان ذلك الامل بالنّسبة الى الله تعالى او الى احدٍ من ابناء النّوع ؛ **امّا بالنّسبة الى الله تعالى** فواجب عند تأهّل الآمل لمطلوبه ان يُظفره به ويفيضه عليه لما انّ الجواد المطلق لاتوقّف[3] فيه الّا على تمام القابل فى قابليّته ، **وامّا بالنّسبة الى ابناء النّوع** وان كانت أسباب الخيبة من القابل والمقبول منه كثيرةً ولكنّ الاغلب عند الاجتهاد من الآمل وتأهيل

---

١ ـ كذا . ٢ ـ اب : «ومذ» . ٣ ـ ا ب : «توفق» ج د : «يوقف» .

نفسه لذلك المامول يقع ذلك المأمول ولذلك قيل[١]: من اجتهد وجدّ وجد ؛ والتوصّل الى الامور الممكنة في الاغلب ممكن وان كان على عسرٍ ؛ وحصولها وان كان على بُعدٍ جائز ؛ واذا كان كذلك كان خيبة الآملين اقلّيّة الوجود بالنّسبة الى ظفرهم بمطلوباتهم ، واما اسباب تلك الخيبة فأمور جزئيّة واسباب قضائيّة لانضبطها قوى البشر وان عدّ الأمل في أنظارهم مستحقّاً والمأمول منه في العرف والعادة جواداً فلذلك صدّر القضيّة بربّ المفصحة عن الاخبار باقلّيّة خيبة الآملين ، ربّنا لاتجبهنا[٢] بخيبة آمالنا ، ولاتفضحنا بسوء أعمالنا ، وأفض علينا رياح رحمتك ، وأذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك ؛ انّك انت الوهّاب .

الكلمة الثالثة والعشرون

قوله عليه السّلام : ربّ طمعٍ كاذب .

اقول : قد عرفت ماهيّة الطّمع ، واما الكذب فقد يطلق على مالايطابق من اخبار[٣] القائل اعتقاده وعلى مالايطابق من الاعتقاد[٤] معتقده فيقال : ظنّ كاذب ووهم كاذب ؛ ولمّا كان الطّمع مستلزماً في بعض الصّور ظنّ حصول الشّيء المطموع فيه اطلق عليه انّه كذب اطلاقاً لاسم[٥] اللّازم على ملزومه والمقصود ههنا بيان اقلّيّة الطّمع الكاذب بحسب المطابقة والحثّ على وضع الاطماع مواضعها بحسب الالتزام وهو المقصود الذّاتيّ ؛ بيان الاوّل انّ الطّمع في الغالب انّما يتوجّه نحو امرٍ ممكنٍ ممّن يؤهّل نفسه لتناوله وكان اعتقاد حصوله تارة يكون علماً وتارةً يكون ظنّاً وتارةً يكون وهماً ، وكان الاعتقاد العلميّ لاكذب فيه وكان الاغلب في الظّنّ ان[٦] لاكذب فيه وكان الوهم ايضاً قد يطابق لاجرم

---

١ - اب «ولذ لك ماقيل» .
٢ - ج د : «لاتخيبنا» يقال : «جبهه بالمكروه اذا استقبله به» .
٣ - ج د : «افعال» .
٤ - كذا .
٥ - ب : «اطلاق الاسم» .
٦ - ب ج د : «انه» .

كان عدم مطابقة الطّمع الصّادر[١] عن تلك الاعتقادات وكذبه اقلّيّ الكون فلذلك صدّر عليه السّلام القضيّة بربّ . **بيان الثّاني** انّ الكلمة مستلزمة للتّنبيه على قبح الطّمع في الامور الفانية اذ كان طلبها مع مايؤدّى اليه من امر المعاد مشتملاً على كذب اعتقاد حصولها بحيث يكون السّعي في ذلك المطموع فيه ضائعاً لايعود الّا بالضّرر فينبغي ان يكون الطّامع في مجرى مواقع[٢] طمعه العائد عليه بالنّفع على تثبّتٍ ؛ والله الموفّق .

الكلمة الرابعة والعشرون

قوله عليه السّلام : ربّ رجاءٍ يؤدّى الى الحرمان .

اقول : الحرمان مصدر قولك حرمت فلاناً العطيّة اذا منعته اياّها بالكلّيّة ؛ والمقصود ههنا بيان انّ الرّجاء الّذى هو سبب في العادة لحصول المطلوب قد يتّفق ان يكون سبباً لحرمانه وبيان ذلك انّ الرّجاء امّا ان يكون من الله تعالى او من احدٍ من ابناء النّوع وعلى التّقديرين فقد يكون سبباً للحرمان **امّا** من الله تعالى فصورته رجاء محصّل لوقرٍ او اوقار[٣] من المال غلبه الحرص والشّره وساقه[٤] امل الزّيادة فيه الى السّفر به في البحار والقفار وكان في القضاء الالٰهيّ تلفه وحرمان صاحبه بالكلّيّة وان كان ذلك غير مقصود بالذّات للعناية الالٰهيّة ، **وامّا من ابناء النّوع** فصورته ان يقصد الرّاجي الى بعض المثرين رجاء رفده فيغلبه الحرص والطّمع على طلب ما لايمكن اوالتماس ماينفر الطّبع من التماسه فيكون ذلك مثيراً للقوّة الغضبيّة وسبباً لمنعه بالكلّيّة بحيث انّه لو اقتصر على ماهو دون ذلك واسهل منه لاعطى اياّه ولما كان ممنوعاً ، ولمّا كانت هذه الاحوال اقلّيّة الوجود بالنّسبة الى الرّجاء المؤدّى الى حصول المطالب وبلوغ الامور المرجوّة لاجرم صدّر القضيّة بربّ . **وفي هذه الكلمة ايضاً تنبيه** على وجوب وضع الرّجاء موضعه كماينبغي وعلى الوجه

١ـ ب : «الصادرة» . ٢ـ ب ج د : «تحرى مواضع» ٣ـ ا : «لوترا واوتار» ج د : «لوقدا وقار» . ٤ ـ ا : «سامه» .

الّذى ينبغى ليحصل عن ذلك ملكة الحرّيّة، ولانّ الرّجاء الخارج عن مجراه الطّبيعىّ مستلزمٌ للحرمان المنفورمنه طبعاً؛ والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الخامسة والعشرون

قوله عليه‌السّلام: ربّ ارباحٍ[1] تؤدّى الى الخسران.

اقول: الرّبح الزّيادة الحاصلة من التّصرّف فى قدرٍ مخرجٍ من المال للتّجارة يسمّى برأس المال **ويقابله الخسران وهو النّقصان** الحاصل بسبب التّجارة فى ذلك القدر المخرج **والمراد** أنّ بعض الارباح سبب للخسران وهذا المطلوب يثبت[2] تصوّره. **واعلم أنّ** لفظ الرّبح وان كان حقيقة[3] فيما ذكرنا فقد يطلق مجازاً على تحصيل المعارف والعلوم الحقيقيّة والحصول على الكمالات النّفسانيّة، ورأس مال هذه التّجارة هى المعقولات الاولى والثّانية بحسب تصرّف التّاجر وهو العقل فيها واستخراج الارباح الّتى هى النّتائج من المقدّمات والحجج والحقائق من الحدود والرّسوم، **ووجه المشابهة بينهما هو** انّ لكلّ واحدٍ منهما زيادةٌ حاصلةٌ عن اصله بالتّصرّف فيه، وكذلك لفظ **الخسران** كما كان حقيقةً فى النّقصان الحاصل فى رأس المال كذلك يطلق مجازاً على مايحصل من الخلل فى

١- هذه الكلمة فى جميع النسخ الموجودة عندى «ارباح» بصيغة الجمع كما يلاحظ فى المتن وماذكره الشارح (ره) فى شرحها ايضاً يؤيد كون الكلمة هكذا الاان الكلمة فى كتاب «مطلوب كل طالب فى شرح كلمات امير المؤمنين على بن ابى طالب (ع)» نقلت بلفظ المفرد على وزن صباح، ومقابلتها لماسبقها من قوله (ع): «رب رجاء» تؤيد كون الكلمة كذلك وكذا كونها مجرورة برب؛ **قال الطريحى** (ره) فى مجمع البحرين: «والربح بالتحريك اسم ماربحه الانسان وكذلك الرباح بالفتح» وصرح بمثل كلامه سائر علماء اللغة فالاولى كون الكلمة «رباح».

٢- ا ب: «ثبت». ٣- ج د: «حقيقته» (باضافته الى ضميره).

ترتيب الحدود والبراهين التّى هى رأس المال المجازىّ . **واذا عرفت ذلك فنقول : قد** يكون الرّبح الوهمىّ وهو المتعلّق بالمال سبباً للخسران بالمعنى المجازىّ أيضاً ولست أعنى بالسّبب ههنا العلّة الموجبة فانّ احد المتقابلين لايكون علّةً للآخر؛ اذلا واحد منهما بمجامعٍ للآخر و كلّ واحدٍ من العلّة والمعلول مجامعٌ للآخر بل المقصود انّه سبب عرضىٌّ معدٌّ والعلّة لها شىءٌ آخر.

مثال سببيّة الرّبح الظّاهرىّ للخسران الظّاهرىّ ماشوهد بالحسّ انّ رجلاً سافر الى الهند بسبعة عشر ديناراً ولم يزل يتردّد فى مدّةٍ يسيرةٍ بلغت تلك الارباح سبعة عشر ألفاً ؛ ثمّ عزم على القرار فنازعته نفسه الامّارة بالسّوء الخروج وغلبه الحرص على طلب الزّيادة فخرج فلم يلبث ان[1] هاج البحر على سفينته فغرقت وخرج عرياناً لايقدر على شىءٍ ممّا كسب فكانت تلك الارباح مهيّجةً لحرصه على الطّلب والسّعى والازدياد فكان سبباً معدّاً لحصول الحركات التّى معها وقع ذلك الخسران؛ وامثال ذلك كثيرة.

ومثال سببيّة الرّبح الظّاهرىّ للخسران الاخروىّ هوان المشتغل بتحصيل أرباح التّجارات الماليّة وقد أضنى[2] بدنه وأفنى عمره فى الأسفار والمعاملات وتاقت[3] نفسه وانخرطت فى سلك هواها وتدنّس لوحها بالملكات الرّديّة فحصلت على اضداد الرّبح المجازىّ الّذى لايجامعه فكانت تلك الارباح الوهميّة أسباباً معدّةً لنفس صاحب هذه التّجارة لان يتّصف بأضداد الرّبح المجازىّ فكانت أسباباً مؤدّية الى الخسران.

ثمّ لمّا كانت تأديتها[4] الى الخسران اقليّة الوجود بالنسبة الى تأديتها الى الارباح الوهميّة والحقيقيّة او الى السّلامة من الخسران الكلّىّ المردى فى حضيض جهنّم لاجرم صدّرت هذه الكلمة أيضاً بربّ. **فينبغى للعاقل** ان يميز الارباح المؤدّية الى الخسران من غيرها ليسلم

١- ج د: «فلم يلبث الا ان». ٢- ب: «انضى» يقال: «انضى بعيره انضاءً = هزله بكثرة السير» و يقال : «اضناه المرض اضناءً = اثقله». ٣- ا ب : «وانافت» ج د : «واتاقت». ٤- ب ج د : «كان تاديها».

باجتنابها عن السّقوط في مهاوي الصّغار وحلول دارالبوار سلامةً تستتبع غنيمةً عظيمةً وتستلزم مسرّةً مقيمةً؛ فانّ لها وجوداً وان كان أقلّيّاً؛ وعلى الله قصد السّبيل في أربح التّجارات وأزكاها وأنفعها وأنماها، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الكلمة السادسة والعشرون

قوله عليه السّلام: في كلّ اكلة غصّة، ومع كلّ جرعةٍ شرقة.

اقول: الاكلة الواحدة من الاكل، و **الغصة** بفتح العين المرّة الواحدة من قولك «غصّ فلانٌ بالماء = امتلأ حلقه منه فلم يجزه[1]» واما بالضمّ فهي الشّجا، **والجرعة** من الماء وكلّ مائع شرب المقدار الّذي يجذبه القوّة[2] الجاذبة منه دفعةً دفعةً، **والشّرق** الالم العارض عند الشّرب من نفوذ الماء في غير المجرى الطّبيعيّ من الحلق. **والمقصود من هذه الكلمة** بيان انّ اللّذّات الدّنياويّة غير خالصةٍ من شوب الآلام، وغير صافيةٍ من كدورات الشّرور؛ وانّ مابعدّ فيها خيراً ولذّةً هو عند التّحقيق خلاصٌ من ألمٍ وراحةٌ من تعبٍ؛ ثمّ هو ليس بخلاصٍ دائمٍ ولا براحةٍ مستمرّةٍ بل مستعقبة للألم وملحوقة بالنّصب **فكنّى** عليه السّلام **بالأكلة والجرعة عن اللّذّات**[3] **الدّنياويّة** لاستلزامها اللّذّة وكنّى بالغصّة والشّرقة عن الالم لاستلزامها اياه فكان ذلك اطلاقاً لاسم الملزوم على لازمه في الموضعين وهو مجازٌ حسنٌ **وانّما خصّ هذين النّوعين باللّذكر** من سائر الأنواع المستلزمة للّذّة والالم لما انّ الاكل والشّرب اكثرها وقوعاً في الوجود، **وفي هذه الكلمة تنبيه لك ايّها الاخ على**[4] حال هذه اللّذّات الحاضرة فانّها مشوبة بالآلام موسّخة بالآثام فانظر وفّقك الله بعين بصيرتك وجه المناسبة بينها وبين اللّذّات الباقية الصّافية وان كنت لاتطلّع منها

١ـ ا: «فلم يجزه» ب د: «فلم يخره». ٢ـ ا: «النفس». ٣ـ ا: «من اللذة».

٤ـ ب: «عن».

مادمت فى عالمك هذا الّا على قدرٍ مغطّى[١] بقشور الخيال محفوفٍ من اللّذّات الحاضرة بامثال فانّك؛ تجد بينها فرقاناً[٢] شديداً وامداً بعيداً، ولو جرّدت عقلك عن خيالك وأمكن لك ذلك لما وجدت بينها مقايسة ولفقدت بينها المناسبة ، والله تعالى هوالحاكم بالسّعادة ومن عنده حسن الوفادة.

الكلمة السابعة والعشرون والثامنة والعشرون

قوله عليه السّلام : اذا حلّت[٣] المقادير ضلّت التّدابير .

[و]اذا حلّ القدر بطل الحذر.

أقول: المقادير جمع مقدورٍ وهوالامر المقدّر من الله، **والضّلال** الضّياع والهلاك ، **والتّدابير** جمع تدبيرٍ وهو اجالة الفكر فى ايقاع الافعال على الوجوه الّتى هى أنفع و أوفق بحال الانسان **ونحتاج ههنا الى تفسير القدر** ولمّا كان معلّقاً بالقضاء احتجنا الى تفسيرهما معاً **فنقول :**

قالت الحكماء : لمّا كان جميع صور الموجودات كلّيّاتها وجزئيّاتها الّتى هى بلانهاية حاصلة من حيث هى منقوشة فى العالم العقلىّ بابداع الحقّ الاوّل تعالى ايّاها؛ وكان ابداع الامور المادّيّة منها ممتنعاً اذ المادّة غيرمستعدّةٍ لقبول صورتين منها فضلاً عن قبول ما لانهاية له وكانت العناية الالهيّة قد اقتضت تكميل المادّة بابداع تلك الصّور فيها واخراج مافيها من قبول تلك الصّور من القوّة الى الفعل قدّر بلطيف حكمته زماناً غيرمتناهٍ من الطّرفين يخرج فيه[٤] تلك الامور الى الفعل[٥] واحداً بعد آخر[٦] فتصير تلك الصّور فى جميع ذلك الزّمان موجودة فى موادّها والمادّة كاملة بها ، **واذا عرفت ذلك فاعلم انّ القضاء** اسم لوجود جميع الموجودات فى العالم العقلىّ مجملة على سبيل الابداع ، **والقدر** عبارة عن وجودها

١- ا : «مايغطى». ٢- ج د: «فرقاً». ٣- ا : «حصلت». ٤- ا: «مخرج» (بدلا من الكلمتين). ٥- ج : «العقل». ٦- د : «بعد واحدٍ آخر».

فى موادّها الخارجيّة مفصّلة واحداً بعد آخر واليها الاشارة فى التّنزيل الالهىّ: وان من شيءٍ الّا عندنا خزائنه وما ننزّله الّا بقدرٍ معلوم[١] واذا كان كذلك؛

فنقول: المقصود من هذه الكلمة انّ المقادير وهى وجود الموجودات المادّيّة اذا حلّت اى حدثت وقامت بالمادّة بالفعل وكانت اموراً مكروهةً الى طباع الانسان ككون[٢] الامور المضادّة للحياة فى موادّها أوكون امورٍ اخرى يتضرّر بها و يتأذّى بوقوعها فانّ تقديراته واجالة فكره بقوّته العمليّة فى كيفيّة التّوقّى والسّلامة من ذلك التّأذّى بحسب توهّمه انّه مالكٌ لاموره قادرٌ[٣] على تسليم أحواله[٤] من الآفات ومقتدرٌ على التّوقّى بالحذر، والتّدابير حينئذٍ تكون ضائعةً باطلةً غيرمنتفعٍ بها اذ كان حكمه بالقدرة على التّوقّى حكميّاً أو همياً[٥] حتّى لو راجع عقله لعلم انّ المقادير أمورٌ غيبيّةٌ ولها اطوارٌ وراء العقول لايحصن منها تدبيرٌ ولايطّلع على وجه الخلاص منها وان اطّلع على مثل مايعتاد معه دفع ذلك المكروه فيما مضى من الاوقات لقصور القوّة الانسانيّة عن ادراك تفاصيل اسباب وقوع الامر المكروه وعرفت من ذلك معنى بطلان الحذر عند وقوعها فانّ الحذر هو التّحرّز والتّحفّظ من وقوع الامور المكروهة بحسب اجالة الفكر العملىّ أيضاً فى الحيلة والخلاص من وقوعها بالانسان وقد عرفت انّ ذلك غيرنافعٍ عند حلول القدر فهو باطل.

تنبيه ـ ولايحملنّك هذا البحث على الانهماك فى المعاصى والاستكثار من الامور الموبقة فى . . . . . .[٦] فاذا نوقشت على ذلك أحلته على القضاء والقدر وزعمت[٧] انّك بذلك متخلّصٌ من العقاب فانّك حينئذٍ تكون من الغالطين غلطاً تكون به من الهالكين بل ينبغى ان تقبل بكلّيّتك على قبول الاوامر والنّواهى الشّرعيّة والعمل بمقتضاها وتعلم

١ـ آية ٢١ سورة الحجر. ٢ـ ا: «لكون». ٣ـ ب ج د: «وقادر». ٤ـ ب: «أمواله» (بالميم فى اول مفرده على ان يكون جمع مال لاكما فى المتن من كونها جمع حال (بالحاء المهملة). ٥ـ فى النسخ: «حكم وهمى». ٦ـ هنا بياض بقدر كلمتين فى ثلاث نسخ (ا ج د) واما نسخة ب فليس فيها كلمة «فى» والبياض. ٧ـ ا: «لزعمت».

انّ موجدك قد أعطاك قدرةً وعقلاوامرك بفعلٍ هوممكنٌ فى نفسه وبالنّسبة الى ذهنك هوممكنٌ ايضاً لك فالتّكليف واردٌ عليك بحسب ذلك لابحسب مافى علمه وانّ عقاب الانسان على خطيئته وهى الحركات الّتى لاتنبغى[1] منه المنسوبة اليه ظاهراً وفى اعتقاده الجازم بالقدرة عليها فيما يعدّ[2] جوهر نفسه لتمكّن الملكات الرّديّة منهاورسوخها فيهاامر لازم جوهرها وهى نارالله الموقدة* الّتى تطّلع على الافئدة[3] وكذلك مايتبعها من دوام التّعذيب بها[4] وانت بالنّظر الى نفسك معتقد جازم بانّك قادرٌ على تدبير الخلاص من تلك الهيئات الرّديّة بالسّعى فى اكتساب أضدادها؛ وعلى ان لاتعرض لنفسك بالكلّيّة. **وامّا نسبتك ذلك الى القدر** فذلك ليس من تكليفك[5] على انّ الشّرورالواقعة بك ليس اليها[6] قصد ذاتىّ بالفضائل من حيث انّه لايمكن بزّ[7] الخير الموجود فيك منها والّا لما كنت انت انت. **فان خطر ببالك مايقال** : انّ العقاب على الأمور الواجبة ظلمٌ وقبيحٌ يجب تنزيه الله تعالى عنه فاعلم انّ حديث الظّلم وقبحه والعدل وحسنه آراءٌ محمودةٌ سبب شهرتها وحدتها[8] من جمهور الخلق اشتمالها على مصالحهم وانتظام امورهم دون ان تكون بديهيّة[9] ناذاً بناء احكام الله تعالى عليها غيرلازمٍ ولامستقيم.

١- ا : «لاتنتفى» ج د : «لاتبتغى». ٢- ا ج د : «بعد». ٣- آيتان من القرآن الكريم (٦و٧ سورة الهمزة) أتى بهما فى كلامه. ٤- ا : «لها». ٥- ا: «منه تكفيك». ٦- ج د : «انها». ٧- ج د : «بر». ٨- ب : «وحدثها» ج د : «و وجدتها». ٩- هذا كلام عجيب جداً، وصدوره من مثله أعجب.

الكلمة التاسعة والعشرون

قوله عليه السّلام: ليس العجب ممّن هلك كيف هلك انّما العجب ممّن نجا كيف نجا[١]

أقول: يشير في هذه الكلمة الى انّه لاينبغي ان يتعجّب من كيفيّة هلاك من هلك في الاخرة باسباب الهلاك بل ينبغي ان يتعجّب من كيفيّة نجاة النّاجين **والعلّة في هذا الحكم** انّه لمّا كان الانسان ذا قوىً ثلاثة بحسبها[٢] تصدر عنه الافعال الاختياريّة وتصير بسببها هالكاً او[٣] مالكاً وهي القوّة النّاطقة والشّهويّة والغضبيّة وكان الغالب على النّاس في اكثر الاحوال الانحراف عن الاحوال الّتي ينبغي ان يكونوا عليها وهي مطلوبة منهم

---

١ ـ هذه الكلمة نقلت عن غيره عليه السلام ايضاً لكن باختلاف في اللفظ؛ فمنه مانقله المحدث الكاشاني المولى محسن الفيض(ره) في آخر رسالته الصغيرة الموسومة بمقالة ضياء القلب وقد طبعت ضمن رسائله الست مانصه (ص ١٨٥):

« و روى عن الحسن البصري انه قال: ليس العجب ممن نجا كيف نجا؛ انما العجب ممن هلك كيف هلك؛ مع كثرة الدلالات ووفور البينات، **وفي أمالي الصدوق** (ره) باسناده قال: كان الصادق(ع) كثيراً ما يقول:

علم المحجة واضح لمريده ... وأرى القلوب عن المحجة في عمى
ولقد عجبت لهالك ونجاته ... موجودة ولقد عجبت لمن نجا

وقال المجلسي (ره) بعد نقل البيتين عن امالي الصدوق سنداً في المجلد الاول من البحار (ص ١١٧ من طبعة امين الضرب): « **بيان**ـ العجب من الهلاك لكثرة بواعث الهداية ووضوح المحجة، والعجب من النجاة لندورها وكثرة الهالكين وكل أمر نادر مما يتعجب منه » وأوردهما ايضاً في المجلد الحادي عشر في ترجمة الصادق (ع) نقلا عن مناقب ابن شهرآشوب (انظر ص ١١١ من طبعة امين الضرب) **فليعلم** ان الكلام الاول المنسوب الى الحسن البصري قد نسب الى مولينا ابي محمد الحسن المجتبى عليه السلام على ما رأيت في بعض الكتب لمن اراد التحقيق فليراجع مظانه من مجلدات تاسع التواريخ. ٢ـ ا: «بحقيقتها». ٣ـ ا ب « و ».

باللّسان النّبوىّ وذلك الانحراف بسبب طاعة قوّتى الشّهوة والغضب والانهماك فيما تميلان اليه بمقتضى طباعهما[١] وتجرّان القوّة العاقلة اليه من مطلوباتهما وذلك ممّا يصرف عن التّوجّه الى القبلة الحقيقيّة و يمنع من التّعلّق بعصم النّجاة فلاجرم كان التّعجّب من كيفيّة هلاك الهالكين تعجّباً فى غيرموضعه لانّ اسباب الهلاك غالبةٌ فى الخلق اكثريّة الوجود؛ واكثريّة وجود المعلول تابعٌ لأكثريّة وجود اسبابه.

ولمّا عرفت انّ درجات السّعادة غيرمتناهية **فاعلم** انّ درجات الهلاك والشّقاوة [ايضاً] غيرمتناهية ولسنانعنى بالهلاك الهلاك السّرمدىّ فانّ ذلك مختصّ بالانحراف على وجهٍ مخصوصٍ اعنى ان يوجب ذلك الانحراف والميل ملكاتٍ رديّةٍ تلزم جوهر النّفس فيدوم بها العذاب بل نعنى به ماهو أعمّ من ذلك حتّى يكون الهلاك المنقطع داخلاً فيه ويكون اكثروجوداً من النّجاة، وماكان اكثريّاً و معتاداً لاينبغى ان يتعجّب منه؛ وكان التّعجّب من كيفيّة نجاة النّاجين تعجّباً فى موضعه لايستنكر[٢] لقلّة اسباب النّجاة وضعف وجودها من الخلق.

وفى هذه الكلمة ايماءٌ الى وجوب الاحتفاظ[٣] والأخذ بالحزم فى تحصيل اسباب النّجاة والاجتهاد فيها فانّها لاتدرك بالمنى ولاتحصل بالهوينا؛ واليك الاعتبار، والله تعالى ولىّ اعدادك لما هو اهله؛ وهوالموفّق.

الكلمة الثلاثون

قوله عليه السّلام : الاحسان يقطع اللّسان.

أقول: لفظ القطع يقال حقيقةً على تفريق اتّصال الجسم بالآلة القطّاعة كالسّكّين وغيرها ؛ وقد استعمله عليه السّلام ههنا مجازاً فى منع الكلام القبيح الخارج

١- ج د : «طباعهم». ٢- ا ب : «لايستكثر». ٣- ب ج د : «الاحتياط».

عن[1] لسان الذّام وانّ الاحسان لايفعل ذلك التّفريق فى اللّسان بل يكون بسببه منع اللّسان من الحركة بما لاينبغى، و وجه المناسبة انّه كما انّ الغاية من قطع اللّسان بالآلة القطّاعة ترك الكلام فكذلك فى الغاية من اسكاته بالعطيّة؛ وهذا من محاسن الاستعارة.

وامّا علّة هذا الحكم فنقول: الاحسان قسمان؛ ذاتىّ وعرضىّ؛ فالذّاتىّ هوالّذى يصدرعن الاخيارالفضلاء وذلك انّ سيرهم محمودة محبوبة فهم محبوبون لذواتهم وأفعالهم مسرورون بأنفسهم مسرورٌ بهم غيرهم؛ و كلّ احدٍ يجب ان يواصلهم و يصادقهم ، فهم أصدقاء انفسهم والنّاس أصدقاؤهم؛ ومن هذه سيرته فتجده يحسن الى النّاس بقصدٍ وغير قصدٍ اذكانت أفعاله محبوبةً لذيذةً والمحبوب اللّذيذ مختارٌ ومطلوبٌ، واذا كان كذلك فلابدّ وان يكثر المقبلون عليه والمحتفّون به، ومن كانت هذه حاله برئ ان[2] يصل اليه ذمٌّ أو يلحقه لومٌ بل تكون الالسنة مقطوعةً عنه بل هى دائماً رطبةٌ بالثّناء عليه متحرّكةٌ بشكره فضلاً انتكون ذامّةً لهوهذا هوالاحسان الّذى يبقى ولاينقطع؛ ويزيد ولاينقص، ويكون بهالاخوّة الّصادقةوالمحبّة المطلقة. **وامّا العرضىّ** فهو الّذى ليس بخلقٍ ولامعتادٍ لصاحبه ولاشكّ انّه منقطعٌ والمحبّة العارضة عنه محبّة عرضيّة مقيّد دوامها بدوامه باقية ريثما هوباقٍ وفيها زيادة ونقصان من طرفى المحسن والمحسن اليه؛ فانّ محبّة المحسن تكون أشدّ من محبّة المحسن اليه؛ **واعتبر ذلك فى المقرض والمستقرض** تجد المقرض اشدّ محبةً للمستقرض منهللمقرض وربّما كان داعياً له بالبقاء وسبوغ النّعمة والكفاية وان كان كلّ ذلك ليصل الى حقّه وليعود اليه ماله لالمحبّةٍ خالصةٍ ، **وامّا المقرض** فليس له هذه الهمّة ولاذلك الدّعاء ولكن يكون شهوته الى الاحسان ومحبّته له أشدّ من محبّة المحسن. **واذا عرفت ذلك** فمثل هذا الاحسان وان كان قاطعاً للّسان الّا انّ قطعه ليس بدائمٍ ولامستمرٍّ بل هو موقوف على دوام الاحسان، وقد يتّفق لمثل هذا المحسن ان لاتنقطع عنه الالسنة عند وقوف الخلق واطّلاعهم على انّ ذلك الاحسان عرضىّ.

١- ج د : «من». ٢- ا ب : «برى» انه» د: «من ان».

واعلم انّ الاوّل وان كان هوالمقصود الذّاتيّ من الكلمة الّا انّ الثّانى ايضامرادٌ؛ اذيصدق عليه انّه قاطع اللّسان أيضاً. ثمّ اعلم انّ الاحسان كما يقطع اللّسان فهوموجبٌ للالفة والمحبّة كما عرفت الّتى هى سببٌ لتحصيل السّعادتين، وعلّةٌ لاستحقاق المنزلتين، وموجبةٌ لمحبّة الخالق والحصول فى جواره المقدّس كما اشير اليه فى التّنزيل الالهىّ: والله يحبّ المحسنين[1] وانّ الله لمع المحسنين[2] و به يستعبد الاحرار كما يقطع السنة الاشرار؛ قال الشاعر[3]:

أحسن الى النّاس تستعبد قلوبهمُ فطا لما استعبد الانسان احسان

وينبغى للعاقل ان يلزم محابّ الله فانّه يكون محبوباً لله، وان يكون من الكائنين مع الله، وان يختار لنفسه مااختاره الله لنفسه من التّسمية محسناً؛ فمن كان مع الله فقد حصل فى جواره، ومن كان محبوباً لله فقد فاز بجميع مقاصده، ومن تخلّق بأخلاق الله فقد استحقّ الخلود فى دارالبقاء، وكلٌّ ميسّرٌ لما خلق له[4].

الكلمة الحادية والثلاثون

قوله عليه السّلام: احذروا نفار النّعم فما كلّ شاردٍ بمردودٍ.

اقول: اسناد النّفار والشّرود حقيقة فى النّعم وقد استعملها عليه السّلام ههنا مجازاً فى النّعم ووجه المشابهة انّها يستلزمان المفارقة فى الموضعين؛ والمقصود من هذه الكلمة التّحذير من مفارقة النّعم وهى الكمالات الخيريّة بمفارقة أسبابها، والتّنبيه بالسّالبة الجزئيّة وهى قوله: فماكلّ شاردٍ بمردودٍ؛ على انّ النّعم بعد مفارقتها قد لاتعود اليكم فانّ

١- فى مواضع من القرآن؛ منها ذيل آية ١٣٤ سورة آل عمران. ٢- ذيل آخر آية من سورة العنكبوت وهى (آية ٦٩). ٣- يريد به ابا الفتح البستى فان الشعر من نونيته المشهورة. ٤- هو وارد فى حديث نبوى معروف.

الابل الشاردة كمايجوز ان لاتردّ فالواجب حينئذٍ ان يكونوا من نفارها على حذرٍ ويتّقوا ما فى ذلك من عظيم خطرٍ.

فان قلت : النّعم امورٌ موهوبة من واهبها فاسترجاعها جائز فضبطها وحفظها غير ممكنٍ فلايدخل فى التّكليف فانّ كثيراً من الخلق يحافظون على أموالهم و يجتهدون فى ضبطها ولايزيدها ذلك الّانفاراً ؟ـ

قلت : ليس المقصود من التّحذير من نفارها والامر بحفظها هو حفظها بالجمع والضّبط بل لعلّ المقصود من حفظها [حفظها] بالتّفريق فانّ الانسان اذا فرّق منها ماينبغى ان يفرّق على الوجه الّذى ينبغى ان ينفق و اكّد ذلك السّداد و ايّد[1] ذلك الاستعداد بالشّكر والثّناء على واهب تلك النّعم بما هو أهله مراعياً[2] فى ذلك قانون العدل كان لذلك أثرٌ[3] عظيمٌ فى اعداد النّفس لقبول العناية الالهيّة ببقاء تلك النّعم ودوام تلك الافاضة ، و اذا لم يفعل المنعم عليه شيئاً من ذلك وخالف مقتضى العدل فيها لم يلبث ان تنفر نفار النّاقة الشّرود الّتى يوشك ان لاتعود.

فان قلت : اليس قد قام البرهان على انّ خلاف معلوم الله تعالى محالٌ، واذا كان كذلك فنقول : ان كان فى علم الله تعالى انّ تلك النّعم تنفر او لاتنفر فلابدّ وان تكون كذلك؛ فما الفائدة فى التّحذير؟وهل ذلك الّا لاجارٍ مجرى قولك للزّمن: لاتطر[4]؟! وان كان فى علمه عكس ذلك فلابدّ وان يكون؛ فلايتحقّق الحذر ايضاً ؟ـ

قلت: هذا كلامٌ[5] حقٌّ الّا انّ ماعلم الله وقوعه اوعدم وقوعه قديكون مشروطاً وقد لايكون؛ فما كان مشروطاً من ذلك فيستحيل ان يوجد من دون شرطه وان صدق انّه يعلم وقوعه لكن لامطلقاً بل بشروطه وأسبابه، فعلى هذا جاز ان يكون التّوقّى والحذر من نفار النّعم شرطاً لبقائها فلهذا الجواز كان مأموراً بالحذر. **بقى علينا ان يقال: انّكم**

١ـ ا : «ابد» (بالباء الموحدة). ٢ـ ا : « فراعى». ٣ـ اب : «اسر».
٤ـ ا : «لاتطير». ٥ـ ب د : «الكلام».

اعترفتم بأنّ المشروط لايجب ان يكون هو كلّ النّعم مع انّكم أوجبتم الحذر عند كلّ نعمة ؟ ــ فنقول : لمّا كان العبد غير مستقلٍّ وغير مطّلعٍ على اسباب الكائنات وشروطها وكانت غير محصورةٍ ولامتناهيةٍ فى حقّ الجليل[١] من الخلق فضلاً عن جملتهم حتّى يمكن ان يوقف[٢] عليها وعلى اسبابها المفصّلة لاجرم وجب ان يحذر الحذر المطلق لئلّا يتوقّى فيما ليس من شرطه التّوقّى والحذر ويتركها فى موضعٍ هو فى الحقيقة مشروطٌ بذلك؛ فانّه اذا حذر فى كلّ نعمة مفارقتها فزع[٣] الى حفظها بالمواظبة على اسباب الحفظ الّتى اشرنا اليها جملةً فتلك المواظبة وان لم تكن شرطاً لاستثبات تلك النّعمة فهى معدّة لضروب اخرى من النّعم ، وان كانت شرطاً فقد صادف محلّه؛ والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثانية والثلاثون

قوله عليه السّلام :

اذا وصلت اليكم اطراف النّعم فلاتنفّروا أقصاها بقلّة الشّكر.

اقول: أطراف النعم أوائلها، و **أقصاها** أواخرها؛ والمقصود من هذه الكلمة التّنبيه على استدامة النّعم الموهوبة بدوام الشّكر وبيانه أنّك عرفت أن دوام الشّكر عن نيّةٍ صادقةٍ وتحريك اللّسان بالذّكر عن اعتقاداتٍ صافية يستمريان[٤] مزيد النعم كما يستمرى الحالب الدّرّ من الضّرع لما انّ دوام الشّكر وما فى معناه من الابتهالات والتّضرّعات والتّعوّذ بها أسبابٌ معدّة للنّفس لدوام افاضات[٥] انواع الخيرات، واذا كان وجوده سبباً لوجود النّعم وبقائها واتّصال اواخرها باوائلها كان عدمه او قلّته سبباً عرضيّاً يكون معه نفارها وقلّة ثباتها وانقطاع تواترها واتّساقها؛

١- كذا فى النسخ ولعل الصحيح : «الجل» او «القليل». ٢- ا ب : «يوقفوا».

٣- ب ج : «فرع» (بالراء المهملة). ٤- ج د : «يستمرى». ٥- ج د: «اضافات».

لالقصورٍ من مفيضها؛ فانّه برىءٌ عن النّقصان، أجود الاجودين، فيضه تامٌ وكرمه عامٌ بل لانسبة لجودٍ الى جوده ولااضافة لكرم عبدٍ الى كرمه بل لعدم امكان القابل لتقصيره في السّعي الى تحصيل أسباب ذلك الامكان كالتّضرّع والدّعاء والشّكر والثّناء؛ واما نسبة التّنفير اليهم فلأنّهم بقلّة شكرهم سببٌ للنّفار بوجهٍ عرضيٍّ كما علمت فلاجرم نسبه اليهم.

واعلم انّه يتوجّه ههنا ايضاً ان نورد الشّكّ المذكور في الكلمة الّتي قبلها وهو انّ ماعلم الله تعالى وقوعه اوعدم وقوعه كان معلومه واجباً فلافائدة حينئذٍ في الشّكر والثّناء لأنّك[1] قد عرفت وجه الجواب هناك وهو انّ الثّناء والشّكر جاز ان يكون مشروطاً في الدّوام والاتّصال كما قرّرناه وقد علمت انّ الشّكر كيف هوسببٌ لاستنزال[2] المنن الالهيّة وعلّة لاتّصالها ودوامها واليه الاشارة بقوله تعالى: لئن شكرتم لازيدنّكم[3] والى سببيّة انقطاعه وقلّته لانقطاع النّعم واستحقاق العذاب لتدنّس النّفس بالاشتغال بأضداده والاعراض عنه اشار بقوله: ولئن كفرتم انّ عذابي لشديد[4] وقال تعالى: ومن شكر فانّما يشكر لنفسه[5] اى انّ منفعة الشّكر عائدة على نفسه من الاستعداد للافاضات الخيريّة واشكروا لله ان كنتم ايّاه تعبدون[6] فالشّكر من تمام العبادة الّتي بها تكون النّفس طاهرة مستحقّة لرضوان الله، ومن الله الهداية الى طلب مايرضيه؛ انّه ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثالثة والثلاثون

قوله عليه السّلام: اكثر مصارع العقول تحت بروق الاطماع.

اقول: يقال: صرع فلان فلاناً اذا غلبه ورمى به الى الأرض، والمصارع جمع

١- في النسخ: «الا انك». ٢- ب: «سبب استنزال». ٣- من آية ٧ سورة ابراهيم.
٤- ذيل آية ٧ سورة ابراهيم. ٥- من آية ١٢ سورة لقمان وكذا من آية ٤٠ سورة النمل.
٦- ذيل آية ١٧٢ سورة البقرة.

مصرع وهو موضع الفعل، **ومصارع العقول** مواضع أغلاطها، **وبروق الاطماع** هو تصوّر امكان حصول الامور الّتي يتوهّم الانتفاع بها فيقع الميل الى تحصيلها **والمقصود ههنا تنبيه الانسان** على وجوب التّثبّت عندما تلوح له المطامع حتّى لا يميل فيها ولا يتضرّع الّا لما ينبغي منها على الوجه الّذي ينبغي ونبّه عليه السّلام على ذلك بأنّ اكثر أغلاط العقول منشؤها ومبدؤها[1] نزوع القوّة الشّهويّة نحو المشتهيات بحسب اعتقاد حصولها.

وههنا تجوّز ان حسنان في التّركيب والاسناد، احدهما اسناد المصارع الى العقول الّتي هي في الحقيقة للاجسام وعبّر به عن انخداعها وغلطها و وقوع حركتها على غير قانونٍ صحيحٍ **و وجه المناسبة في هذا المجاز** انّ العقول اذا لم تثبت على الصّراط المستقيم ولم تلزم قانون العدل المأمور بلزومه بلسان الحقّ بل مالت بها الشّهوة تارةً والغضب تارةً ولعبت بها القوّة الوهميّة فأزالت أقدامها عن حاقّ[2] الوسط الى طرف[3] الرّذيلة الّتي هي أرضٌ ونارٌ بالنّسبة الى سماء فضيلة العدل وجنّتها فلاجرم صدق عليها انّها مصروعة وانّ لها مصارع.

والثّاني نسبة البروق الى الاطماع واسنادها اليها.

واعلم انّ البرق في الاصل هو اشتعال اللّامع المشاهد من السّحاب ولنعيّن حقيقته لينكشف بها وجه المجاز؛ **فنقول**: انّ الدّخان المرتفع من الأرض جسمٌ لطيفٌ من مائيّةٍ وأرضيّةٍ عملت فيها الحرارة والحركة المازجة عملاً قويّاً فقرب لذلك مزاجه من الدّهنيّة فهو لامحالة يشتعل بأدنى سببٍ مشعلٍ فكيف بالحركة الشّديدة فاذا اشتعلت تلك المادّة من شدّة المحاكّة عند تمزيق السّحاب كان ذلك الاشتعال هو البرق **واذا عرفت ذلك** وقد عرفت انّ الطّمع هو نزوع القوّة الشّهويّة الى تحصيل المشتهيات بحسب التّصوّر للمنفعة واللّذّة واعتقاد حصولها وكانت تلك التّصوّرات لانفاض على النّفس الّا بعد

١ـ ب ج د: «منشاها ومبداها». ٢ـ ا: «خان» ب: «خاف» د: «حاف» (بالحاء المهملة). ٣ـ كذا ولعل الصحيح: «طرفي».

تهيّئها واستعدادها لقبولها من الفاعل عزّت قدرته جرى ذلك الاستعداد وقبول النّفس به[١] لاشراق تلك التّصوّرات عن مشرقها مجرى استعداد تلك الموادّ وقبولها بحسبه للاشراق بذلك الاشتعال فكما انّ ذلك الاشتعال والاشراق المخصوص من السّحاب سبب محرّك لشهوات الخلق و اطماعهم الى نزول المطر كذلك اشراق تلك التّصوّرات وبروقها في سرّ الطّامع مبدؤ محرّك لقوّته الشّهويّة الى المشتهيات فلأجل هذه المشابهة صحّ اسناد البروق الى الاطماع.

وامّا برهان هذه القضيّة فظاهر بعد احاطتك بالأصول السّابقة وذلك انّك عرفت انّ سبب وقوع النّفس وتورّطها في الرّذائل المستلزمة للنّقصان هو انحراف احدى القوّتين اعني الشّهويّة والغضبيّة ومتابعة العقل لها وميلها به الى مقتضى طباعها من طرفي الافراط والتّفريط ممّا هو المعنيّ بمصارعه. **وههنا دقيقة وهي**[٢] انّه عليه السّلام خصّص المصارع بجهة تحت دون سائر الجهات وذلك من اوضح[٣] الدّلائل على اطّلاعه على نكت الاسرار ومعرفته التّامّة بنظم الكلام ووجوه المجازات المستحسنة.

وانّما خصّصها بتلك الجهة لأحد وجهين:

احدهما ـ انّ مصارع العقول من مسبّبات[٤] بروق الاطماع والمسبّب أدون من السّبب و السّبب أعلى و المسبّب تحت بالنّسبة اليه و ليست الجهة الجهة الحسّيّة بل الجهة العقليّة.

الثّاني ـ انّ بروق الاطماع لمّا كانت علامات للطّامع على حصول المنفعة واللّذّة حتّى لزم عن ذلك ان انصرع عقله كانت بروق الاطماع دلالات[٥] على مصارع العقول ولاشكّ انّ الدّليل اظهر من المدلول واعلى في الذّهن واسبق وجوداً منه فينبغي ان تكون مصارع العقول الّتي هي المدلول تحت بالنّسبة الى دليلها؛ والله ولّي الهداية والتّوفيق.

١ـ كذا ولعل الصحيح : « له ». ٢ـ ا ب : « هو ». ٣ـ ا : « افصح ».
٤ـ ا : « حثيات ». ٥ـ ج : « دالة ».

الكلمة الرابعة والثلاثون

قوله عليه‌السّلام: من أبدى صفحته للخلق[١] هلك.

أقول: صفحة الشّيء جانبه و أبدى اى، اظهر، و **الهلاك** فى الاصل السّقوط و كلّ ساقطٍ عن حالة[٢] هى فى نفس الأمر كمالٌ وخيرٌ فهو هالك **واعلم** انّ لهذه الكلمة فى كلامه عليه‌السّلام تتمّة توضح معناها وهى: من أبدى صفحته للخلق[٣] هلك عند جهلة النّاس، وحينئذٍ يلوح لك **انّ المقصود** من جوّد نفسه لمقابلة الجهّال من الخلق الّذين لايعرفون قدر نفوسهم وما هى عليه من رذيلة الجهل والنّقصان اللّازم لها وزحمهم[٤] بجانبه فى اظهار الحقّ و نصرته وشهر سيف العصبيّة[٥] عليهم فيه وحملهم على ركوب طريق[٦] العدل من غير ان يشوب تلك الخشونة بلينٍ و يخلط تلك الصعوبة بهونٍ هلك فيما بينهم فلم يلتفتوا اليه وضاع فلم يقبلوا عليه لجهلهم[٧] بقدر الحقّ وعدم اطّلاعهم على المقاصد الّتى ينبغى ان تسلك وتعوّدهم بارتكاب أضداد ذلك بل نفروا منه وأبغضوه وعادوه لمخالفة[٨] اكثر الخلق[٩] الّذى ألزمهم به لأغراضهم الفاسدة وربّما ادّى ذلك الى قتله وإفنائه او اجتلاب[١٠] انواع الاذى عليه بسبب قوّة الاذى الحاصل لهم من تطعّم[١١] مرارات الحقّ وضعفه بالنّسبة الى اشخاص الجهّال ونفارتهم[١٢] فى قبول الحقّ وعدم قبوله.

وهذه الكلمة من أظهر الدّلائل على انّه عليه السّلام كان أعرف النّاس بوجوه التّدبير وأحسنهم ايالةً وانّه كان مقتدراً على اصلاح الدّارين متّسع القوّة للجمع بين الاطراف

١- ج د: «للحق». ٢- ا ب: «عن حاله» (بالاضافة الى الضمير». ٣- د: «للحق». ٤- ج د: «رحمهم». ٥- ج د: «الغضبية». ٦- ا ب: «الطريق». ٧- ا: «بجهلهم». ٨- ج د: «لمخارقة». ٩- ا ج د: «الحق». ١٠- ب ج د: «واختلاف». ١١- ب: «طعم». ١٢- ب ج د ل: «وتفاوتهم».

المتجاذبة اذ كان معلّماً بهذه الكلمة انّه كيف ينبغي ان يستعمل الانسان اظهار الحقّ فانّه لمّا ثبت انّ الكاتم للحقّ الغير العامل به بالكلّيّة مع تمكّنه من استعماله في بعض موارده او في كلّها هالكٌ فكذلك ينبغي ان يعلم انّ المجاهر بالحقّ بالكلّيّة والمقابل له أباطيل الجهّال وأغراضهم الفاسدة هالكٌ؛ فلم تبق السّلامة الّا في مزج الاظهار بالاخفاء وخلط المجاهرة بالرّفق وضرب الخشونة باللّين والترخيص[1] لهم بالسّكوت عنهم عند شوب الحقّ بالباطل مرّةً والعزم عليهم والقيام في وجوههم في نصرة الحقّ مرّةً بحسب ملاحظة العقل[2] للمصالح الجزئيّة المتعلّقة بشخصٍ شخصٍ ووقتٍ وقتٍ، والله ولّي التّوفيق.

الكلمة الخامسة والثلاثون

قوله عليه السّلام: اذا أملقتم فتاجروا الله بالصّدقة.

اقول: **الاملاق** الفقر والحاجة، و **المتاجرة** المعاملة في التّجارة والمقصود في هذه الكلمة الحثّ على العبادة المخصوصة الّتي هي الصّدقة عند الاحتياج بما يمكن فانّ للصّدقة ولو بشقّ تمرةٍ **حظّاً عظيم النّفع في الدّارين** وبها تحصل الاعواض الّتي لا تقابل بالشّكر ولا يحصيها العدّ والحصر.

امّا **في الاولى**[3] فلانّ المملق المحتاج الى التّيسير من العيش يكون في الغالب شره النّفس محافظاً على ما يحصل في يده لشدّة حاجته اليه وخوفه ان لا يقدر على مثله فاذا فرضنا انّه يتصدّق به او ببعضه[4] مع ما به من الحاجة اليه دلّ ذلك منه على اشتماله على ملكة العفّة الّتي عرفت انّ بها يكون استعداد النّفس لاستجابة ثمرات الادعية وقبول ابتهالاتها في المطلوبات الممكنة. **وأيضاً** فانّ النّفوس الى مثل صاحب هذه الصّدقة كثيرة الانجذاب، والميول الطّبيعيّة اليه متداعية وخاصّةً اذا عرف بذلك واشتهر به فكثيراً ما

١- ا ج: «الترخص». ٢- ب: «الحق». ٣- ب: «الاول». ٤- ج د: «يصدق به او ينفق».

يكون ذلك ايضاً سبباً لادرار الارزاق عليه وعلّة لدفع[١] الصّلات[٢] والمنح اليه؛ **وقد علمت** انّ من تاجر الله تعالى لم يخسر.

وامّا في الاخرى فلانّ صاحب هذه الصّدقة مع مافرضنا[٣] من حاجته اليها اذا بذلها كان ذلك دليلاً على معرفته بأنّه لامتاجرة أربح من متاجرة الله و ذلك مستلزم لمعرفته بالله ومع ذلك فقد استعدّت نفسه بسبب قهرها للقوّة الشّهويّة وضبطها لها عن الضّنّة بما بذله مع حاجته اليه ومقاومتها وكسرها عن الشّره[٤] في المشتهيات لقبول انوار عظيمة ونعم جسيمة لايقاومها شكرٌ؛ واليه الاشارة بقوله تعالى: لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبّون[٥] وقوله تعالى: ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفرلكم والله شكورٌ حليمٌ[٦] وقوله تعالى: وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ اليكم وانتم لاتظلمون[٧] وأمثال هذه الاشارات كثيرةٌ في القرآن والسّنّة، ومع ذلك فانّ فيها من تحصيل الانس الموجب للمحبّة بين الخلق المطلوبة منهم بالعناية الالهيّة لتحصيل السّعادتين واستكمال درجة الفوز مالايخفى؛ والله الموفّق.

الكلمة السادسة والثلاثون

قوله عليه السّلام: من جرى في عنان أمله عثر بأجله.

اقول: أراد بالجرى في عنان الامل تطويل الآمال المستلزمة لقلّة الالتفات الى القبلة الحقيقيّة والمطالب العليّة، والعثور بالاجل الوقوع في الوقت الّذي علم الله تعالى فيه مفارقة النّفس للبدن[٨] وهي الضّرورة المسمّاة بالموت، فأسند عليه السّلام العنان الى

١- ب: «لرفع». ٢- ا: «الضلات» (بالضاد المعجمة). ٣- ب: «فرضناه».
٤- ب: «الشرة». ٥- صدر آية ٩٢ سورة آل عمران. ٦- آية ١٧ سورة التغابن.
٧- ذيل آية ٦٠ سورة الانفال. ٨- ب ج د: «البدن».

الامل تشبيهاً له بالفارس المطلق عنان فرسه ، والعثور الى الاجل تشبيهاً له بمايعثر به الانسان من حجرٍ اوخشبٍ ؛ وكلّ هذه تجوّزات حسنة في الاسناد لطيفة المشابهة، فانّ حركة القوّة الشّهويّة الى المشتهيات[١] لاعتقاد حصولها تشبه جرى الفرس، وكون النّفس هي المستعملة لتلك[٢] القوّة والمصرّفة[٣] لها يشبه الرّكوب للفرس، الّا انّ هذه القوّة فرس عقليّة ، وقدرة النّفس على ضبط تلك القوّة مع عدم ضبطها مشبه لاطلاق عنان الفرس، ونسبة الجرى اليه نسبة صادقة فانّ الفارس تنسب اليه الحركة والجرى وان كانت نسبة عرضيّة و الحركة الذّاتيّة للفرس كذلك الجارى فى عنان امله تنسب اليه الحركة الّا انّها لقوّته الشّهويّه بالذّات ولقوّته العقليّة بالعرض، وكون الجارى فى عنان الأمل واقعاً فى الضّرورة المذكورة الّتى لابدّ منها يشبه وقوف[٤] رجل[٥] الجارى فى حجرٍ او خشبٍ يقع بسببه المسمّى ذلك عثاراً اذ[٦] كانا معاً مستلزمان لاذى من يقع فيه، وبعد معرفتك بهذه التّجوّزات وحسن وجوهها تجد المعنى من هذه الكلمة ظاهراً.

وامّا تخصيص هذا الحكم الّذى هو غاية كلّ انسان بل كلّ حيوان بمن جرى فى عنان امله دون غيره ممّن يستقصر الامال ويستصغر الدّنيا فليس لاجل انّ من استقصر الامل خارج عن هذا الحكم بل لتنبيه مطيل الامل الغافل بسبب ذلك عمّا يرادبه وما هو مطلوب من وجوده وايقاظه من رقدة الغافلين على انّ المطلوب منه ليس مايخوض فيه بالجرى فى[٧] التماس امثاله فانّ ذلك لابدّ من زواله والعثور بضرورة الموت اللّازمة للحيوان فينبغى ان يجرى الامل على القانون العدلىّ المطلوب بلسان التّنزيل الالهىّ والسّنن النّبويّة ويجعل الحظّ الاوفر من الالتفات لماوراءه من تحصيل السّعادات الباقية والخيرات الدّائمة ، والله يؤتى كلّ ذى استعدادٍ من الفضل اتمّه؛ وهو الموفّق.

١ـ ج : «الى المسترعيات» د: «النزعيات» فلعل النسختين: «المستدعيات» او «الرغبات».
٢ـ ا : «بتلك». ٣ـ ج د : «المفرقة» (بلاواو أيضاً). ٤ـ كذا ولعل الصحيح: «وقوع». ٥ـ كذا. ٦ـ ا: «ان» ج د : «اذا». ٧ـ ا : «من».

الكلمة السابعة والثلاثون

قوله عليه السّلام: لاتتّكل على المنى فانّها بضائع النّوكى.

اقول: المنى جمع منية وهو الشّيء المتمنّى كقوله: انّ سعدى لمنية المتمنّى، **والبضائع** جمع بضاعة وهى البعض من المال تبعثه[1] للتجارة، و **النّوكى** جمع أنوك وهو الأحمق، والمقصود من هذه الكلمة النّهى عن اشتغال النّفس بتمنّى الامانى فانّ ذلك الاشتغال قد يعرض ولا يزال يتزايد حتّى يكسب النّفس ملكة الوسواس والالتفات عن الانتقاش بنور الحقّ وسواد لوح الخيال عن قبول المنامات الصّافية والالهامات الخالصة. ثمّ انّه عليه السّلام نبّه على قبح ذلك بانّ ذلك بضائع الحمقى لتنفر نفوس العقلاء عن اقتناء هذه البضاعة واتّخاذها فى تجاراتهم اذ كان العاقل لايرضى لنفسه تصرّفات الأحمق وحركاته.

وامّا اطلاقه عليه السّلام البضاعة على المنى فاستعارة حسنة فانّ ناقصى العقول الّذين ليس لهم ملكة الانتقال الى المعقولات الثّانية النّاقصين فى استعدادهم لاصلاح معاشهم ومعادهم فى اكثر الأحوال طالبون[2] لمتخيّلاتهم الغائبة او الغير الممكنة الحصول متمنّون لها عن تخيّلاتهم القاصرة عن ضبط القوّة الصّادرة عنها قواهم العقليّة امّا لضعفها وقوّة سلطان الوهم عليها اولاختلال تلك القوى وقلّة صلوحها لتدبير العقل وتصريفه فكأنّها حينئذٍ بضائع لم ينتظرونها فكما يتوقّع التّاجر وصول البضاعة الّتى بعث بها للتّجارة ومكاسبها كذلك تجد هؤلاء متوقّعين متمنّين لما يتخيّلونه من ضروب اللّذّات وأنواع المشتهيات ويقطعون بذلك أزماناً حتّى ربّما صدّتهم تلك الامانى عن اشغال مهمّة لهم فضلاً عمّا يعنيهم من امر الدّين ومايجب عليهم من الأمور المقرّبة الى الله تعالى **فينبغى للعاقل اذا عرف سرّ هذه البضاعة** وما تؤدّى اليه من الخسران ان يعرض عنها الى استنصاع[3]

١- ج د: «ينبعثه». ٢- ا: «الطالبون». ٣- ب: «استبصاع» ج: «اصطناع» د: «اصطباع».

فكره فى استفادة الجواهر العقليّة وارباح النّفائس النّفسيّة[١] فانّ ذلك هو التّجارة الرّابحة ويهرب من متابعة شيطانه فى تحسين البضائع المذكورة له فانّ من كان تلك بضاعته لم يصبح ليله الّا وهو فى أسر الشّيطان وصفقة الخسران، ولم تزل عين بصيرته عن ادراك الحقائق خاسرةً ، ويد عقله عن تناول فواكه الجنّة قاصرةً ، ياويلتا ليتنى لم اتّخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّنى عن الذّكر بعد اذ جاءنى وكان الشّيطان للانسان خذولاً[٢]، والله ولىّ العصمة.

الكلمة الثامنة والثلاثون

قوله عليه السّلام :لاشرف اعلى من الاسلام.

أقول : **الشّرف** العلوّ ، **والاسلام** فى اللّغة الانقياد ، وفى الشّريعة الانقياد بحسب الأوامر والنّواهى الشّرعيّة وتلقّيها بالقبول والطّاعة والعمل بمقتضاها بحسب الجهد والطّاقة ، وقد عرفت انّ الغاية القصوى منه انّما هو الوصول الى الواحد الحقّ والحصول فى المقعد الصّدق، وانّ ذلك الوصول والحصول موقوفٌ على جلاء مرائى النّاقصين من درن[٣] الباطل حتّى تصفو وجوه ألواحهم وتستعدّ لقبول الانتقاش بالجلايا وعرفت انّ ذلك الجلاء والصّفاء لن يحصل الّا بزوال المانع منه **وذلك المانع امّا خارجىّ و امّا داخلىّ**؛ **امّا الخارجىّ** فهو تنحية ماسوى الحقّ الاوّل عن سواء السّبيل، وحذفه عن درجة الاعتبار، وتنزيه السّرّ عن الاشتغال به عن الحقّ ؛ وذلك هو الزّهد الحقيقى ، **وامّا الدّاخلىّ** فهو تطويع النّفس الامّارة بالسّوء للنّفس المطمئنّة لتزول دواعى الشّيطان الى خيبة[٤] الخسران ويخلص سرّ الانسان لقبول الرّضوان وقد عرفت كيفيّة ذلك التّطويع وأسبابه وغايته ، والجامع الاجمالىّ لازالة الموانع قوله تعالى : وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النّفس

١- ج د : «النفيسة». ٢- آية ٢٨ و٢٩ سورة الفرقان. ٣- ا ج : «دون».

٤- اب : «جنبة».

عن الهوى[١] فخوفه ترك ماعداه؛ ونهيه لنفسه قهره لقواه، حتّى اذا تخلّى عن هذه الموانع لبّه تجلّى[٢] حينئذٍ بنور قدس الحقّ قلبه.

لايقال: لانسلّم أنّ هذا هو الاسلام فانّا نعلم بالضّرورة أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان يحكم باسلام من أظهر الشّهادتين و عمل بالاركان وان لم يكن له شيءٌ ممّا ذكرتم فانّ واحداً من الاجلاف الجافين[٣] من الاعراب الّذين[٤] يقدمون ويظهرون الاسلام لايتصوّر[٥] شيئاً ممّا ذكرتموه. **وأيضاً** فلو كان الاسلام هو الّذى ذكرتموه لما كان فى الخلق مسلمٌ الّا افرادهم وذلك باطلٌ بالاتّفاق **لانّا نقول:** الاسلام له معنيان ظاهرىّ وحقيقىٌّ والّذى ذكرناه و بحثناه انّما هو الحقيقىّ والّذى ذكرته هو الاسلام الظّاهرىّ ولاشكّ فيه و فى تسمية صاحبه مسلماً الّا انّ قول الاسلام عليهما بحسب الاشتراك اللّفظىّ لتباين المعنيين فصاحب الاسلام الظّاهرىّ وان سمّى مسلماً الّا انّ اسلامه غير منتفعٍ به وليس اسلامه ذاك هو الّذى لاشرف أعلى منه قال صلّى الله عليه وآله: انّ الله لاينظر الى صوركم ولا الى أعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم؛ الّا انّه لمّا كان مظنّة ان يكون وسيلة الى الاسلام الحقيقىّ وطريقاً اليه وجب اتّخاذه[٦] و المشاركة بين صاحبه و بين المسلم الحقيقىّ فى الاسم والحكم، قال (ص): الرّياء قنطرة الاخلاص. وقال (ص): من رتع حول الحمى أو شكّ ان يقع فيه، فلامنافاة اذاً بين القولين.

واذا عرفت ذلك ظهر لك انّ شرف الاسلام أكمل أنواع الشّرف فانّ الشّرف الحقيقىّ للانسان انّما هو كمال جوهر نفسه وصيرورته عقلاً مستفاداً الّذى هو الاسلام الحقّ لا الكمال الوهمىّ من مالٍ او جاهٍ او انتسابٍ الى كرم اصلٍ فانّك قد عرفت انّ الفخر والشّرف بأمثال ذلك ممّا لاينبغى ان يعتدّ به لفقد الكمال فى المفتخر والمتشرّف وخلوّه منه وذلك سرّ قوله عليه السّلام: لاشرف أعلى من الاسلام؛ والله ولىّ التّوفيق.

١ـ آية ٤٠ سورة النازعات. ٢ ـ ا ب: «تحلى» (بالحاء المهملة). ٣ـ د: «والجافين».
٤ـ اب د: «حين». ٥ـ فى جميع النسخ: «لايتصورون» ٦ـ ا ج د: «اتحاده» (بالحاء والدال المهملتين).

الكلمة التاسعة والثلاثون

قوله عليه السّلام : لاشفيع انجح من التّوبة.

أقول : قد عرفت معنى التّشفيع، **والنّجاح** الظّفر وقد يراد به الصّواب من قولهم: رأى نجيح اى صوابٌ ، و **التّوبة** الاقلاع عن الذّنب و **يعتبر في تحققها ثلاثة قيود؛ اوّلها** ـ ترك الفعل فى الحال؛ **والثّاني** ـ النّدم على الماضى من الأفعال . **والثّالث** ـ العزم على الترك فى الاستقبال؛ وقد استعمل عليه السّلام لفظ التّشفيع على المعنى المسمّى بالتّوبة مجازاً من باب الاستعارة؛ ووجه المناسبة انّ التّشفيع كما يقصد ليكون وسيلةً الى استسماح[1] الجريمة كذلك التّوبة عن المعصية يقصد ليكون وسيلةً الى سقوط الجريمة وعدم لحوق العقاب عليها ويكاد حسن هذا التّشبيه يلحق هذا المجاز بالحقيقة حتّى تكون التّوبة من جملة أشخاص الشّفعاء الّتى اطلق[2] عليها لفظ التّشفيع بحسب الوضع والمقصود انّ التّوبة اظفر شفيعٍ بقضاء المطلوب من كلّ شافعٍ **وذلك باطباق العلماء على انّها لاترد**، **امّا المعتزلة** فيوجبون اثرها على الله، **وامّا الحكماء** فيوجبون اثرها من الله ، واذا حقّق مذهب ابى الحسن الاشعرىّ رجع الى المذهب الثّانى و ان قال اثرها بفضلٍ[3] من الله اذ[4] كان استقصاء مذهبه يعود الى انّ ذلك التّفضّل فيض العناية الالهيّة للرّحمة على نفسٍ استعدّت بالتّوبة للقبول وذلك فى الحقيقة واجبٌ من الله.

واعلم انّ من جزالة هذا اللّفظ مع وجازته انّك مخيّر فى حمل لفظ النّجح فيه على اىّ معانيه الثّلاثة[5] شئت[6]؛ **امّا الاوّل** فقد عرفته . **وامّا بمعنى السّرعة** فلانّه

١ـ د: «استماح» . ٢ـ د : «يطلق» . ٣ ـ كذا فى ب ج د؛ واما نسخة ا فالعبارة فيها هكذا : «اثرها من الله» . ٤ـ ب : «اذا» . ٥ ـ ب : «الثلاث» .
٦ـ فى النسخ : «سبب» .

لاوسيلة الى حصول الشّفاعة اسرع من التّوبة اذ كانت النّعمة المفاضة على العبد المذنب من ربّه غيرموقوفة الّا على قبوله واستعداده بتحقّقها . **وامّا بمعنى الصّواب** فلانّه لاشفيع أصوب فى قبول الرّحمة من واهبها من التّوبة اذكان التّوسّل بغيرها من بذل مالٍ او نفسٍ فى مجاهدة ظاهرة اوغير ذلك مع الاصرار على المعصية وعدم التّوبة منها غيرنافع ولامخلّص من العذاب الحاصل بسببها فالتّوسّل بها اذاً أصوب رأيٍ يراه صاحب الجريمة وقد اكثرالله تعالى فى تنزيله من الحثّ عليها والأمر بها ومن وعد التّائب وحمده اذكانت التّوبة سبباً عظيماً من أسباب السّعادة الابديّة وبها النّجاة من اغلال الهيئات المردية فقال عزّ ذكره : يا ايّها الّذين آمنوا توبوا الى الله توبةً نصوحاً[1] بتركٍ محقّقٍ وندمٍ صادقٍ وعزمٍ جازمٍ عسى ربّكم ان يكفّرعنكم سيّئاتكم ويدخلكم جنّاتٍ تجرى من تحتها الانهار[2] إرجاءً واطماعاً من غيرجزم ابقاعاً للذّة الدّغدغة النّفسانيّة الحاصلة من الرّجاء كيلا ـ ييأسوا من رحمته فينهمكوا فى المعاصى بجرأة[3] وابقاءً للخوف النّاشى من الوعيد عليها بالاشفاق فيتقهقروا عنها بسرعةٍ ، وقال تعالى : انّما التّوبة على الله للّذين يعملون السّوء بجهالةٍ ثمّ يتوبون من قريبٍ[4] قبل ان يتمكّن من جواهر نفوسهم عقارب ابدانها فلايبقى لها قبول الدواء طبيب الاطبّاء ولايرجى لها برء ولاشفاء؛ وليست التّوبة للّذين يعلمون السّيّئات حتّى اذا حضر احدهم الموت قال انّى تبت الآن ولا الّذين يموتون وهم كفّار؛ الآية[5] .

وفى هذه الكلمة تنبيهٌ باعثٌ على المبادرة الى التّوبة اذ كان الجانى انّما يجتهد فى انجح وسيلةٍ لاستسماح جريمته وتنجيز أظفرشفيعٍ لاستغفارخطيئته ويبالغ فى احسن الاعذار لمحوسيّئته وقد ثبت انّ التّوبة اعظم شفيعٍ وانجحه واسرعه وانفعه فيما ان بقى كان مهلكاً

---

١ ـ صدر آية ٨ سورة التحريم . ٢ ـ من بقية آية ٨ سورة التحريم . ٣ ـ ب : «بجراءة» . ٤ ـ صدر آية ١٧ سورة النساء وذيلها : «فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله حكيماً عليماً» . ٥ ـ آية ١٨ سورة النساء .

شرّ هلاكٍ فيجب على صاحب الجريمة ان يحرص عليها ولايقصّر في المبادرة اليها ويستغنم[١] فرصة المهل ولايسوّف في الامل فيقع في خطر فوات العمل بحلول الاجل فيكون وجوده عدماً له وشرّاً وحياته موتاً وضرّاً، والله ولىّ التّوفيق للصّواب.

الكلمة الاربعون

قوله عليه السّلام: لالباس اجمل من العافية.

اقول : اللّباس بكسر اللّام مايلبس من ثوبٍ وغيره محسوساً كان او معقولاً اذ يقال: لبس فلان الأمر الفلانىّ وتلبّس به اذا دخل فيه، و **الجمال** الحسن والبهاء، **والعافية** السّلامة من كلّ مكروهٍ من قولهم: اعفى من كذا وعوفى منه اذا لم يصب به **والمقصود** بيان افضليّة الجمال الحاصل من لباس العافية على غيره من انواع الجمال، وهذه القضيّة ضروريّة وجدانيّة فانّ كلّ عاقلٍ يجد من نفسه انّ ملائمة الكمال الحاصل من التّجمّل بثوبٍ او غيره من أنواع الجواهر لطبعه مستحقر في جانب لذّته بحصول العافية عن[٢] حمّى يوم و[٣] التّجمّل بلبسها فضلاً عمّا هو أفضل من ذلك كالعافية من الذّمّ او استحقاق العقاب او غير ذلك.

فان توهّم متوهّم وقال[٤] عن وهمه: التّفاوت في الجمال انّما هو بحسب التّفاوت في الخيريّة واللّذّة ونحن نجد انّ اللّذّة بجمع الاموال وغلبة الرّجال والمباضعة أتمّ من اللّذّة بالعافية الّتى نحن فيها ؟ـ

فجوابه من وجهين

امّا الاوّل ـ فلانّ كلّ ما زعمت انّه لذيذ فلذّته بالحقيقة عافيته من بلاء الالم

١ـ كذا ولم اجد استعماله في كتب اللغة فلعله : « يغتنم ». ٢ـ ا : « من ».
٣ـ ب : « او ». ٤ـ ج د : « متوهم قال » ا : « متوهم مال ».

الحاصل من فقد ذلك اللّذيذ و راحته بالنّسبة الى التّعب الحاصل من طلبه.

واممّا ثانياً فلانّ من شرط الالتذاذ حصول اللّذيذ مع الشّعور بوجه الالتذاذ لكنّ الشّعور غير حاصل لـذى العافية بالكمـال الّذى هو العـافية فانّ استمرار المحسوسات واستقرارها يذهل النّفس عن ادراكهـا فان اردت التّنبّه لشرف هذا الكمال فانظر الى طويل المرض عند الرّجوع الى الحالـة الطبيعيّة وحدوث العـافية عليه بسرعة غير خفيّة التّدريج كيف يجد اللّذّة التّامّة الصّادقة بل ربّما حصل اللّذيذ فكره كمـا يكره بعض المرضى الحلو فضلاً عن ان لايكون اليه باعث شوق ولايقدح ذلك فى كونه لذيذاً لانّه ليس بكمالٍ بالنّسبة الى ذلك المريض فى حاله تلك اذ ليس بشاعرٍ به بالحسّ من حيث هو كمال وخير وذلك يبيّن صحّة ماقلناه، وفى دعوات الأئمّة رضوان الله عليهم: اللّهمّ انّى أسألك العافية وتمام العافية، والشّكر على العافية يا ولىّ العافية، اللّهمّ انّى أسألك عافية الدّنيا من البلاء وعافية الآخرة من الشّقاء؛ فقد ظهر انّ العافية أجمل لباسٍ وأحسن شعارٍ أفيض على النّاس؛ والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الحادية والاربعون

قوله عليه السّلام: لاصواب مع ترك المشورة.

اقول: الصّواب الاصابة فى الامور الّتى تفعل، والمشورة طلب الرّأى المحمود من الاوداّء والنّصحاء وغيرهم فى ترجيح احد الامور المحتملة فى ذهن المستشير او تأكيدها و بيان انّ المصلحة فى ايّها تكون؟ **واممّا علّة هذا السّبب الكلّىّ فمن وجهين؛**

الاوّل ـ انّ الانسان لمّا كان بحيث لايمكن استقلاله وحده بأمور معاشه ومعاده لحاجته الضّرورية الى مالابدّ منه من غذاءٍ ولباسٍ ومسكنٍ وغير ذلك وكانت هذه الامور كلّها أموراً

صناعيّة لايمكن ان يقوم بها صانعٌ واحدٌ الّا فى مدّةٍ لايمكن ان يبقى بدونها او يتعسّر ان امكن بل لابدّ من جماعةٍ يتشاركون ويتعاونون على تحصيل تلك المنافع ويتعارضون ويتعاوضون وكان هذا التّعاون لايتمّ الّا بان يكون بينهم انسٌ طبيعىٌّ قضاءً للعناية الالهيّة بهذا العالم ومنه اشتقّ اسم الانسان فى اللّغة فواجب على الانسان اذاً ان يكتسبه مع أبناء الجنس ويحرص عليه بالجهد والطّاقة ولأنّه ايضاً مبدأ المحبّة الواجبة الّتى هى سبب السّعادتين اذ كان كلّ شخصٍ يرى كماله عندالآخر فلولاذلك لم يتمّ السّعادةبينهم فيكون كلّ انسانٍ بمنزلة عضوٍ من اعضاء البدن وقوام الانسان بتمام بدنه، وانّما وضعت الشّريعة والعادة الجميلة اتّخاذ[1] الدّعوات والاجتماع فى المأدبات[2] لتحصيل هذا الانس بل لعلّ الشّريعة انّما حثّت النّاس على الاجتماع فى المساجد و فضّلت صلوة الجماعة على الصّلوة المنفردة ليحصل لهم هذا الانس بالفعل اذ كان حاصلاً فيهم بالقوّة ، ثمّ يتأكّد فيهم بالاعتقادات الصّحيحة الجامعة لهم وينبّهك على انّ مطلوب صاحب الشّريعة صلّى الله عليه وآله ذلك انّه أوجب على اهل المدينة كلّهم ان يجتمعوا فى كلّ اسبوعٍ يوماً معيّناً فى مسجدٍ يسعهم ليجتمع ايضاً شمل المحالّ والسّككّ كما اجتمع اهل الدّور والمنازل فى كلّ يومٍ ، ثمّ أوجب ان يجتمعوا فى كلّ سنةٍ مرّتين فى مصلّى بارزين مصحرين ليجمعهم المكان ويتزاوروا ويتجدّد الأنس بين كافّتهم ويشملهم المحبّةالنّاظمة لهم.ثمّ أوجب بعد ذلك ان يجتمعوا من البلدان فى العمر كلّه مرّةً واحدةً فى الموضع المقدّس بمكّة ولم يعيّن من العمر وقتاً مخصوصاً ليتّسع لهم الزّمان فيجتمع اهل المدن البعيدة كما اجتمع اهل المدينة الواحدة ويصير[3] حالهم فى الانس والمحبّة وشمول الخير وافاضة الرّحمة والسّعادة بحسب انفعالات نفوسهم واستعدادها الصّادرة عن ذلكالاجتماع على غايةٍ من الكمال لايحصل لهم بدونه و كان هذا الأنس لايتمّ الّا بالحديث المستطاب

١ـ ب : «اتحاد» (بالحاء والدال المهملتين) ج د: «ايجاد»(بالجيم والدال)ولعله: «الاجابة».

٢ـ ا:«الماديات» ج د: «المناديات» لكن المأدبة جمعها المعروف«المآدب». ٣ـ ا:«تصير».

بالمشاورة فى الأمور والاطّلاع على بعض الاسرار الّتى لاتضرّ اذاعتها ليتمّ بذلك أنس المستشاروتسكن نفسه ان لو كان لها نفار وتنبسط ولاتنقبض قال عزّ من قائلٍ تأديباً لنبيّه بالأدب الجميل: وشاورهم فى الأمر[1] ولتوسع[2] المفاكهة[3] المحبوبة والمزاح المستعذب الّذى يقدّره العقل حتّى لايتجاوز الى الاسراف فيها فيسمّى ذلك الاسراف مجوناً وفسقاً وخلاعةً وشبهها من أسماء الذّمّ؛ ولايقصّر فيها فيسمّى ذلك القصور فدامة[4] وعبوساً وشكاسةً وما أشبهها من طرف التّفريط المذموم بل يتوسّط بينها فيسمّى ذلك المتوسّط ظريفاً معاشراً هشّاً بشّاً، **واذا عرفت** انّ المشورة من اجلّ اسباب تحصيل الانس المطلوب من الخلق **عرفت** انّها مطلوبة.

ثمّ انّه عليه السّلام نبّه على وجوب اتّخاذها والمواظبة عليها بانّه لاصواب فى فعلٍ يفعل بدونها لما انّ تصرّفات الخلق امّا أقوال او أفعال، واذا كان الجميع موقوفاً على المشورة بأمره و اشارته فلابدّ وان يستجيبوا له عند دعائه لهم اليها فتارك المشورة اذاً مخطىء؛ اذ ضيّع سبباً عظيماً من أسباب الفضائل الّتى يجب طلبها، والمخطىء غير مصيب فتارك المشورة غير مصيبٍ وان تصوّر بصورة المصيب.

الثّانى- انّ تارك المشورة فى اموره غير مصيب فى أغلب أفعاله ومقاصده فهو اذا أخطأ كان ملوماً ولعلّه يكون مأثوماً؛ اذ كان المستشار العاقل كثيراً مايكون مطّلعاً على وجوهٍ من مصالح ذلك الفعل المستشار فيه اما بحسب تجربته او بحسب قوّة عقله وجودة حدسه بحيث لايكون مثل ذلك الاطّلاع حاصلاً للمستشير و**السّبب الأكثرىّ فى الغلط** انّ الوهم الانسانىّ فى غالب الاحوال وأكثرها لابدّ وان يحكم بترجيح أحد طرفى الأمر المتردّد فيه المطلوب فيه الاستشارة بغتةً[5] قبل مراجعة العقل وانّما كان الصّواب فى الطّرف الاخر عند الفكر والتّحديق فاذا[6] فعل بيّن[7] له بعد ذلك

١- من آية ١٥٩ سورة آل عمران. ٢- ب ج د: «ولتوضع». ٣- ا: «المكافهة».
٤- يقال: «فدم الرجل فدامة وفدومة كان فدماً وهو العيى عن الكلام فى ثقل ورخاوة و قلة فهم وفطنة». ٥- ا: «بعثه» ج د: «بعينه». ٦- ج د: «واذا». ٧- ب ج د: «تبين».

عن قريبٍ او بعيدٍ خطاؤه وانّه قد ضيّع حزماً واتّبع هواه، ولو فرض انّ مطلوبه حصل لم يعدّ ايضاً في عرف العقلاء مصيباً؛ اذ كان كالسّالك لطريقٍ كثيرة المخاوف غير عالم بمراحلها ومنازلها وغير مطّلع على آفاتها ومخاوفها فهو لايدرى على مايقدم فاذا وصل الى غايته من ذلك السّلوك سالماً فانّ أحداً من العقلاء لايقول: انّه مصيبٌ بل يطبقون على ذمّه وتوبيخه ويعدّونه متهوّراً مغرّراً بنفسه[1] مضيّعاً لها، وذلك بخلاف حال المواظب على المشورة فانّه يعدّ في عرف العقلاء مصيباً وان لم يحصل مطلوبه؛ اذ كان كالسّالك لسبيلٍ يعلم أحوالها وانّها آمنة فيتّفق له عند سلوكه لها لصٌّ اتّفاقاً فانّ أحداً من العقلاء لايقول: انّه مخطىءٌ[2] في سلوكه لها.

وفي هذه الكلمة تنبيه على وجوب الاستشارة فانّ كلمة العقلاء قد تطابقت على ذمّ تاركها ومدح طالبها، وانّ الاوّل مخطىءٌ وان اصاب؛ وانّ الثّاني مصيبٌ وان خاب، واتّفقوا على انّه يجب على كلّ ذي حزمٍ[3] مراجعة من هو فوقه او دونه في المنزلة فان الفضل لن يكمل[4] لاحدٍ ولن يختصّ به احد وانّ الرّأي الفرد لايكتفى به في الامور الخاصّة، ولاينتفع به في الامور العامّة، واتّفقوا على مدح الرّأي الصّائب وتفضيل صاحبه ووجوب الاستعانة به في الامور وذلك لشدة عقليّته[5] لها وحسن استنباطه للرّأي فيما ينبغي ان يفعل من الامور المصلحيّة وفي هذا المعنى يقول ابو الطّيّب المتنبّي؛ شعر:

الرّأي قبل شجاعة الشّجعان هو اوّلٌ وهي المحلّ الثّاني
فاذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةً بلغت من العلياء كلّ مكان

ومن امثال العرب في مدح الرّأي قوله عليه السّلام: رأي الشّيخ خيرٌ من مشهد

١- يقال: غرر بنفسه = عرضها للهلكة. ٢- ا: «سخطيء». ٣- ب ج د: «على ذي الحزم». ٤- ج: «لم يكمل» د: «لايكمل». ٥- ج د: «عقليه».

الغلام[١] و فى مدح ذى الحزم و التّجربة و الآراء الصّائبة قولهم: قد حلب فلان الدّهر اشطره[٢] اى قد اختبر الدّهر شطرين من خيرٍ و شرٍّ، ومنها قولهم فى نعت الحازم ايضاً: اذا تولّى عقداً أحكمه[٣] قال الشّاعر:

وما عليك ان اكون أزرقاً اذا تولّى عقد شيءٍ أوثقا

والامثال والشّعر فى هذا المعنى كثير؛ والله ولىّ التّوفيق.

---

١ - قال الميدانى فى مجمع الامثال (ص ٢٠٤ من طبعة ايران): «رأى الشيخ خير من مشهد الغلام، قاله امير المؤمنين على عليه السلام فى بعض حروبه». **قال الرضى** (ره) **فى** باب الحكم من **نهج البلاغة** « و قال عليه السلام: رأى الشيخ احب الىّ من جلد الغلام، و بروى من مشهد الغلام» **وقال** شارح الكلمات **(ابن ميثم)** رحمه الله **فى شرحه** (ص ٥٩٠ من الطبعة الاولى من شرح نهج البلاغه): «جلده قوته وقد مر ان الرأى مقدم على القوة و الشجاعة لاصالة منفعته، وانما خص الرأى بالشيخ والجلد بالغلام لان كلاً منهما مظنة ماخصه به فان الشيخوخة مظنة الرأى الصحيح لكثرة تجارب الشيخ و ممارساته للامور، والغلام مظنة القوة والجلد، **وعلى الرواية الاخرى** فمشهده حضوره والمعنى ظاهر».

وقال ابن ابى الحديد فى شرحه (ج ٤؛ ص ٢٨٠ من طبعة مصر):

« انما قال كذلك لان الشيخ كثير التجربة فيبلغ من العدو برأيه مالا يبلغ بشجاعته الغلام الحدث غير المجرب لانه قد يغرر بنفسه فيهلك ويهلك اصحابه، ولا ريب ان الرأى مقدم على الشجاعة ولذلك قال ابو الطيب: الرأى (فذكر البيتين الذين ذكرهما الشارح مع ثلاثة ابيات اخر من القصيدة و خاض فى نقل غير ذلك ايضاً فمن اراده فليطلبه من هناك).

٢- **قال الميدانى فى مجمع الامثال** (ص ١٧٨ من طبعة ايران):

« حلب الدهر اشطره؛ هذا مستعار من حلب اشطر الناقة؛ و ذلك اذا حلب خلفين من اخلافها ثم يحلبها الثانية خلفين ايضاً؛ و نصب اشطره على البدل [اى] اشطر الدهر **والمعنى** انه اختبر الدهر شطرى خيره و شره فعرف مافيه؛ **يضرب** فيمن جرب الدهر».

٣- **قال الميدانى فى مجمع الامثال** (ص ٢٦ من طبعة ايران):

« يضرب لمن يوصف بالحزم والجد فى الامور».

الكلمة الثانية والاربعون

قوله عليه السّلام : لامحبّة مع مراء.

اقول : المراء والمماراة المجادلة، **والمقصود من**[١] **هذه الكلمة** بيان انّ المماراة ومجاذبة القول مع الاصدقاء وأهل المودّات ممّا لايجامع محبّتهم وأنسهم للمماری[٢] بل يقتلعه[٣] اقتلاعاً **وتقرير ذلك** انّا بيّنّا فيما سبق انّ المحبّة سببٌ للألفة[٤] والانس الّذى يحتاج الخلق اليه فى اصلاح معاشهم ومعادهم، وبيّنّا[٥] انّه سببٌ للسّعادتين واتّفق الحكماء و ارباب العقول على انّ المراء مع هؤلاء يقلع[٦] المودّة من اصلها وذلك انّها سبب الاختلاف، والاختلاف سبب التّباين المضادّ للالفة الّتى حثّت عليها الشّريعة القويمة واتّفقت على وجوبها كلمة النّبيّين، ومن النّاس من يؤثر المراء ويزعم انّه يشحذ الاذهان ويثير التّشكوك ويفيد[٧] رياضة النّفس فى ميدان الكلام فهو يتعمّد[٨] ذلك فى المحافل و مجالس أهل النّظر ويخرج فى كلامه الى الفاظ العامّة ليزيد فى خجل صديقه و يظهر انقطاعه وانقهاره[٩] فى بده ولو فعل ذلك فى الخلوة لكان اهون لكنّه يفعله حيث يعتقد الحاضرون انّه أدقّ نظراً وأدقّ حجّة وأغزر علماً، وهذا الرّأى غير لائقٍ الّا بأهل البغى و جبابرة أهل الاموال اذ كان من عادتهم ان يستحقر بعضهم بعضاً ولاينفكّ أحدهم يصغّر صاحبه، ويزرى عليه، وينقص مروّته، ويبحث عن عيوبه، ويتتبّع عثراته، ويبالغ كلّ منهم فيما يقدر عليه من مساءة صاحبه حتّى يؤدّى ذلك الى العداوة البالغة الّتى يكون

١- د : «فى». ٢- ب : «للتمارى». ٣- د: «تقلعه». ٤- ب: «سبب الالفة». ٥- ا: «وقلنا». ٦- ب : «قلع». ٧- ج د: «ويفيد». ٨- ا : «يعهد» فهو مضارع من: «عهد الشى اذا حفظه وراعاه حالاً بعد حال». ٩- ا: «انتهاره» (من ن ه ر).

فيها سعاية بعضهم ببعض وازالة نعمته فيسوق ذلك الى سفك الدّماء وأنواع الشّرور ، واذا كان كذلك فكيف يثبت المحبّة مع المراء او ترجى معه الفةٌ او استجلاب انس؟!

وفي هذه الكلمة تنبيهٌ على وجوب ترك المماراة لما انّها مستلزمة لعدم ما وجوده مطلوب بلسان الشّريعة فقد لاح لك سرّه الصّادر عن المعالم[1] التّامّة المزينة بحلىّ الآداب ومحاسنها؛ والله ولىّ التّوفيق.

الكلمة الثالثة والاربعون

قوله عليه السلام : لاسؤدد مع انتقام.

اقول السّؤدد الاسم من السّيادة ، و **الانتقام** الأخذ بالعذاب لتقدّم جريمة من المأخوذ عن حركة القوّة الغضبيّة كما سبق بيانه **وهو قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً امّا المحمود فما** صدر موافقاً لرسم الشّريعة في السّياسات وتدبير المدن، **وامّا المذموم** فهو الّذى يخرج الى طرف الافراط من ذلك وهو المقصود في[2] هذه الكلمة بالذّات المنافى للسّؤدد ، والسّبب فى مضادّته له انّ الانتقام مثيرٌ للقوى الغضبيّة ممّن ينتقم منه وحاملٌ له على[3] طلب المقاومة والدّفع والمغالبة انفة وحميّة، او على الهرب والتّرك وكلّ ذلك مستلزم لتنفّر[4] الطّباع و بعدها عن التّألّف ،والسّؤدد انّما يحصل بالتّواضع وخفض الجناح للتّابعين ولين الكلمة و استجلاب طباعهم بأنواع التّلطّفات والمباسطات والتّكرّم والتّجاوز عن بعض اساءتهم والصّفح عن بعض جرائمهم ليحصل الانس والمحبّة

١- ج د : « العالم ». أقول: كأن الجملة قد سقط منها شيء. ٢- ج د : «من».

٣- ب : « عن ». ٤- ا : « لتنفير ».

الطّبيعيّة الّتي هي سبب الالفة والانقياد وذلك ماادّب[1] الله تعالى نبيّه بالآداب الصّلاحيّة فقال عزّ من قائل: واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين[2] ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفرلهم وشاورهم في الأمر[3] كلّ ذلك طلب للانس واستجلاب للمحبّة وحسن الألفة، وامّا الانقياد فتابع لحصول الالفة لانّهم بعدها اذا لمحوا كماله الخالين عنه وتمامه الفارغين منه انقادوا تحت أوامره بقلوب صافية وسلّموا أنفسهم اليه بنيّات صادقة الّا من لم يؤثّر التّودّد في أدمة[4] قلبه ولم يجد التّلطّف سبيلاً الى خالص لبّه لتقدّم حقد وضغينة او غيرها من الاسباب القدريّة، واذا كان كذلك فحيث حصل ما يضادّ ما ذكرنا من الأسباب الّتي يجب بها او معها التّسؤدد لزم ان لاتكون تلك الاسباب حاصلة وبانتفائها ينتفي التّسؤدد الّذي هو معلولها.

واعلم انّ الانتقام بالمعنى الاوّل وان حصلت منه للطّباع نفرة وكان مثيراً للقوّة الغضبيّة لكنّه لمّا كان ذلك موافقاً لرسم الشّريعة والتّأديبات الصّلاحيّة وقد تطابقت عليه المقالات النّبويّة وكانت أذهان الخلق تمرّنت عليه بحسب تعويد الشّرائع وانغرس فيها وجوبه حتّى انقادت نفوسهم وأذعنت للاعتراف به وكان ذلك لايصدر الّا بحسب جناية متعارفة القبح[5] بينهم لم يكن ذلك منافياً للتّسؤدد بل كان من متمّماته وواجباته؛ اذ كان سبباً عظيماً من أسباب بقاء النّوع الانسانيّ فلو حصلت بسببه نفرة من المنتقم منه او ممّن يتعلّق به ممّن عليه الاحتشام وحبّ[6] الحيوة عن[7] الانقياد للعقوبات الشّرعيّة لكان ذلك أمراً جزئيّاً غير ملتفت اليه ولاقادح في سيادة المنتقم اذ كانت شوكة القوى الغضبيّة من الخلق مقهورة بسيف الشّريعة قد تقاصرت وتحاشت عن مقابلة امر سماويّ لمعاضدة[8]

١- ج د: «ولذلك ادب». ٢- آية ٢١٥ سورة الشعراء. ٣- وسط آية ١٥٩ سورة آل عمران. ٤- ا: «ادبه» ج د: «ادمة». ٥- ا: «الشح». ٦- ج د: «وجب». ٧- ب ج د: «على». ٨- ا: «لمعاضده».

شيطان[١] مثلها وألقت زمامها الى القوى العقليّة فى الانقياد لما ينبغى على الوجه الّذى ينبغى.

وفى هذه الكلمه تنبيه لطالب السّؤدد على انّه ينبغى ان يترك ماينافيه وهو الانتقام الخارج الى حدّ الرّذيلة وإلّا لكان مناقضاً لسعيه، وكاسراً لما هو طالب لتقويمه؛ وذلك نهاية الجهالة؛ والله الموفّق.

الكلمة الرابعة والاربعون

قوله عليه السّلام: لاشرف مع سوء الادب.

اقول: قد عرفت انّ حسن الادب يعود الى معنى الرّياضة المعتدلة للقوى البدنيّة وقد بيّنّا كيفيّتها فاعرف من ذلك انّ سوء الادب وهو سوق تلك القوى على حدّ طباعها وانهماكها فى مطلوباتها الطّبيعيّة لها على قانونٍ وهميّ دون ان يكون على وفق القانون العدلىّ المرسوم من الشّريعة والحكمة وكما علمت انّ الشّرف الحقيقىّ انّما هو باجتماع أجزاء الكمال من العقل واجتماع مكارم الاخلاق والآداب المستحسنة حتّى تتحصّل ماهيّته المطلوبة عنها فاعرف انّ عدمه بفوات أحدها[٢] اذا كان اجتماع الأجزاء هو المحقّق للماهيّة المركّبة وكان عدم الجزء الواحد كافياً فى عدمها فاذا فرضنا اشتمال[٣] الانسان على سوء الادب المقابل لكماله وحسنه فبالضّرورة لم يشتمل على مايقابله من الادب الجميل[٤] واذا كان خالياً عن ذلك الجزء من الكمال لم يتحقّق ماهيّة الكمال فلم يتحقّق ماهيّة الشّرف لعدم علّته وقد ظهر[٥] لك فى هذه الكلمة [سرّ تنبيه][٦] لطالبى الشّرف والمجتهدين فى تحصيل الكمال الانسانىّ على وجوب الرّياضة و تأديب القوى النّزوعيّة

١ـ ب: الشيطان». ٢ـ ب: «احدهما». ٣ـ ا: «استكمال». ٤ـ ب: «الجهل». ٥ـ ب: «اظهر». ٦ـ فى النسخ «تنبيهاً» فالتصحيح نظرى.

وردعها عمّا تميل اليه بطباعها وقهرها بيد القوّة العاقلة وتصريفها على قانون العدل اذ كان الشّرف وسوء الادب ممّا لايجتمعان؛ والله ولىّ المنّ والاحسان.

الكلمة الخامسة والاربعون

قوله عليه السّلام:

ما اضمر احدكم شيئاً الّا اظهره الله فى فلتات لسانه وصفحات وجهه.

اقول الاضمار كتمان السّرّ وغيره فى الضّمير وهو الذّهن والعقل، **والفلتات** جمع فلتة وهى وقوع الأمر بغتةً من غير اختيارٍ ولا رويّة و تدبّرٍ، و **صفحات الوجه** جوانبه **والمقصود ههنا بيان** انّ الاعتقادات الّتى يضمرها الانسان ويحافظ عليها ويراعى سترها عن اطّلاع الغير عليها لمصالح متصوّرةٍ ومقاصد اختياريّةٍ سواء كانت نافعة او ضارّة فانّها وان بولغ فى مراعاة حفظها واجتهد فى عدم اطّلاع الغير عليها لابدّ وان تظهر، لمّ انّه عليه السّلام **نبّه على سببين** من اسباب الظّهور وحكم بانّه لابدّ **وان تظهر باحدهما مع تلك المحافظة:**

احدهما ـ فلتات اللّسان وذلك انّ النّفس وان كان لها عناية بحفظ ذلك لكنّها قد تنصرف الى مهمٍّ[1] آخر فتنفعل حينئذٍ عن ملاحظة وجه المصلحة فى كتمانه وسبب وجوب ستره فتنفلت[2] المتخيّلة من اسر العقل العملىّ فتلوّحه وتبعث الشّهوة الى التّكلّم[3] به من غير ان يكون للنّفس شعورٌ بشعورها به، وذلك معنى كونه فلتةً، **وقد يصدر الكلام فلتةً على وجهٍ آخر** وذلك ان يتلفّظ المضمر بكلامٍ يكون مستلزماً للايماء او التّنبيه على

١ـ ج د: «تنصرف الى فهم». ٢ـ ج د: «فتلتفت». ٣ـ ج د: «المتكلم».

ذلك المعنى المضمر والمتكلّم غافل عن ذلك الايماء وغير عالم بكيفيّة التّنبيه من ذلك الكلام على مضمره والسّامع ذوحدس قويّ فيقع له الاطّلاع على ذلك المضمر مع شدّة الاعتناء بستره.

الثّاني ـ صفحات الوجه و ذلك اشارة الى القرائن والامارات المستلزمة لاظهار المكتوم كما يدلّ تقطيب الوجه والعبوس والاعراض عن الشّيء من معتاد البشاشة على بغض[1] ذلك الشّيء؛ وانبساط الوجه والفرح به والاقبال عليه على محبّته ، وكما تدلّ الصّفرة العارضة للوجه حال نزول الأمر المخوف على اضمار الوجل ، والحمرة العارضة عند نزول أسبابها كشافهة من يتستّر من فعل القبيح على حال فعله ومواجهته به على الخجل، وكدلالة عرق الوجه وغضّ الطّرف على الحياء، وكدلالة الملاحظة بالبصر على وجه مخصوص على العداوة؛ وعلى كثير من الامور النّفسانيّة وأمثال ذلك من القرائن الّتي تكاد لاتتناهى ؛ **فهذه الامور** و امثالها وان اجتهد فى اخفائها **فلابدّ** وان تلوح من السّببين المذكورين .

وفى هذه الكلمة تنبيه للعاقل على انّه لاينبغى ان يضمر من الأمور الّا مالواطّلع عليه منه لما كان مستقبحاً فى العرف ولما نفر طبعه من المواجهة به فانّه ان اضمر امراً يستقبحه الخلق ويستنكر فيما بينهم لو اطّلعوا عليه ولابدّ من الاطّلاع عليه للأسباب المذكورة لم يسلم[2] من الافتضاح وكان وقته مشغولاً بالقبيح **امّا فى مدّة اضماره** وستره فبالمحافظة عليه واشتغال النّفس به عن السّعى فى مصالحها الكلّيّة الذّاتيّة ، **وامّا بعد ظهوره** فبمعاناة الخلاص من عاره والتّألّم من المواجهة به والنّدم والتّأسّف على ابقاع[3] ما استلزم اظهار ذلك والجزع الّذى لايجدى نفعاً ولايعود بطائل ؛ وكلّ ذلك منهىّ

١ـ فى النسخ «بعض» بالعين المهملة فالتصحيح نظرى. ٢ـ ا ب: «ولم يسلم».
٣ـ ا : «اتباع».

عنه لانّه اشتغال الانسان بما لايعنيه ، **وامّا نسبة ذلك الاظهار الى الله تعالى فظاهر من** قولنا: انّه مفيض الكلّ وعلّة العلل؛ والله ولىّ الصّواب.

الكلمة السادسة والاربعون

قوله عليه السّلام : اللّهمّ اغفرلنا رمزات الالحاظ ، وسقطات الالفاظ ، وهفوات اللّسان ، وسهوات الجنان.

اقول : الرّمزات جمع رمزة وهى الاشارة، **والالحاظ** جمع لحظ وهى النّظر الخفيف، **وسقطة القول الخطيئة فيه وجمعه سقطات وسقاط، والهفوة** الزّلّة ، **والسّهو الغفلة** وهى التفات النّفس عن الشئ حال اشتغالها بشئ آخر ، **والجنان القلب** مأخوذ من الاجتنان وهو الاختفاء ، **ولمّا كانت هذه الامور الاربعة** فى الظّاهر وبالنّسبة الى من لايعلم وجه وقوعها ذنوباً وجرائم يذمّ فاعلها ويعدّ خارجاً عن مقتضى القانون العدلىّ [1] لاجرم كان طالباً لغفرها وهوسترها.

بيان الاوّل امّا انّ الاشارات بالالحاظ قد تكون ذنوباً فذلك كلّ رمز يكون وسيلةً الى ارتكاب جريمةٍ فانّه يكون جريمةً؛ ومثاله مايفعله من يطلب منه ظالمٌ تعريف انسانٍ ليقصده بالظّلم فيكره المطلوب منه التّصريح بذلك بلسانه خوف الشّنعة والسّبّ الصّادق والمقصود بالظّلم حاضرٌ فيرمز بلحظه اليه فينبّه الظّالم عليه ، وكمن يرمز بلحظه تنبيهاً للغافل عن بعض المعاصى عليها حتّى يكون ذلك سبباً لركوبها، وكلّ ماكان وسيلةً الى ارتكاب جريمة فهو جريمة، والدّالّ على الشّرّ كفاعله، ودلالة الالحاظ كصريح الالفاظ.

---

١ ـ ب : «العدل».

وامّا سقطات الالفاظ وهوالخطأ فيه والتّكلّم بردیّةٍ وساقطةٍ وبمالاينبغی وظاهرٌ انّه جريمة ؛ اذ لامعنی للجريمة الّا ما اكتسبه الانسان من الافعال مخالفاً للقانون العدلیّ الّذی هو غاية الشّرائع من التّكاليف البشريّة.

وامّا هفوات اللّسان وهی زلله فظاهرٌ انّه جريمة أيضاً وهوعلّة لسقطات الالفاظ فانّ بهفوات اللّسان قد يقع الرّديّ من القول[1].

وامّا سهوات الجنان فقد عرفت انّ المقصود بالقلب النّفس الّا انّ القلب لمّا كان المتعلّق الأوّل للنّفس أطلق اسمه عليها مجازاً اطلاقاً لاسم المتعلّق على المتعلّق ولانّه الظّاهر المتعارف بين الخلق من لبّ[2] الانسان لخفاء تصوّر النّفس على اكثرالنّاس.

وسهواته غفلات النّفس عن مطالعة الخزانة الّتی فيها الأمر المغفول عنه امّا معنیٌ او صورةٌ لاشتغالها بمهمّ آخراو[3] بمعارضة الوهم لها حال التفاتها الی ذلك مع بقائه فی تلك الخزانة،وهذا القدر هو الفارق بين النّسهو والنّسيان فانّ النّسيان يشترط فيه مع ذهول النّفس عن الأمر انمحاؤه[4] من الخزانة بالكلّيّة وهذه النّسهوات هی من أسباب الهفوات الّتی هی من اسباب السّقطات والرّمزات؛ وأسباب الجرائم فی العرف الظّاهر جرائم ، واذا كانت جرائم مستقبحةٌ تعاب على من وقعت منه لاجرم كان طالباً لسترها ملتمساً لغفرها ومعدّاً نفسه بالابتهال الصّادق للعصمة منها.

بقی سؤالان

أحدهما ـ ان يقال: انّ سهوات الجنان غير مؤاخذٍ بها؛ اذ لايدخل فی التّكليف فلِمَ يطلب غفرانها ويلتمس سترها ؟!

١ـ ج : «فان هفوات اللسان قد يقع فيها الردی من القول».
٢ـ كذا.
٣ـ ب ج : «و».
٤ـ النسخ : «المخاوة».

الثّانی ـ انّ الشّیعة أثبتت له علیه السّلام العصمة عن المعاصی ؛ سهوها وعمدها من حین الولادة و مابعدها ، وطلبه للغفران لنفسه دلیل جواز صدور المعاصی عنه وهو مبطلٌ لقولهم ؟!

والجواب عن الاوّل انّ صدور هذه عن الانسان لمّا کان معدوداً فی العرف جرائم ومعایب منفّرةً للطّباع مستلزمةً للذّمّ ممّن لایعلم کیفیّة وقوعها هل هوعن سهوٍ او عمدٍ لاجرم جاز طلب سترها و غفرها و اعداد النّفس بالابتهالات والدّعوات لتقوی وتشرف وتتعالی بذلک الاستعداد عن حیّز السّهوات الموجبة للهفوات والسّقطات فلایقع منها بل ینستر فی ستر العدم الاصلیّ؛ولایلزم من ذلک ان یکون مکلّفاً بها.

وعن الثانی من وجهین :

الاوّل ـ انّ الدّعاء ههنا والتماس المغفرة مشروط بوقوع هذه الأشیاء[1] منه فکأنّه قال علیه السّلام : اللّهمّ ان وقع منّی کذا وکذا فاغفرلی؛وهذا کلامٌ صادق لکنّک قد علمت فی علم المنطق انّه لایلزم من صدق الشّرطیّة صدق کلّ واحدٍ من جزئیها بل ولایلزم جواز وقوعه فانّک لو قلت : ان کانت الأرض محیطةً بالسّماء کانت اعظم من السّماء کان ذلک لزوماً صادقاً مع استحالة کلّ واحدٍ من الجزئین فنحن نمنع وقوع المعاصی منه وان صدق هذا الکلام ، وطلب المغفرة کما یکون لصدور الذّنب کذلک یکون للتّذلّل والخضوع و الانقطاع الی الله و الاعتراف بالتّقصیر عن اداء حقوقه ومجازاة نعمه.

الثّانی ـ انّ للشّیعة ان یقولوا : لمّا ثبتت عصمته بالبرهان وکان قوله علیه السّلام: «لنا» ضمیراً عاماً یتناول بظاهره کلّ مؤمنٍ ومسلمٍ معه ممّن یجوز صدور هذه الامور منه

١ـ ج : «الاسباب».

كان ذلك العموم مخصوصاً بالدّليل العقليّ الدّالّ على عصمته عليه السّلام ويبقى عامّاً في الباقين ، و اضافة ذلك الى نفسه وادخاله لها في جملة اولئك اعترافٌ بالعبوديّة وخضوعٌ لله تعالى واظهارٌ للحاجة الى لطيف عنايته وافاضة ستره و وقايته واتمام تلك النّعمة عليه ، وذلك من جميل الأخلاق وكمال العرفان،ونجدالادعية الصّادرة عن الأنبياء عليهم السّلام مشحونةً بطلب المغفرة والاعتراف بالذّنوب والمعاصي مع الاتّفاق على عصمتهم وذلك محمولٌ على ماقلناه؛والله ولىّ التّوفيق وبه الحول والقوّة.

القسم الثالث

فى اللّواحق والتّتمّات وفيه فصلان

الفصل الاول

فى بيان انّ عليّاً عليه‌السّلام كان مستجمعاً لجميع الفضائل الانسانيّة

وفيه بحثان:

البحث الاوّل فى بيان كماله بحسب القوّة النّظريّة

قد علمت انّ كمال القوّة النّظريّة انّما هو باستكمال الحكمة النّظريّة وهى كما علمت استعداد النّفس الانسانيّة بتصوّر المعارف الحقيقيّة والتّصديق بالحقائق النّظريّة بقدر الطّاقة البشريّة ولاشكّ انّ هذه الدّرجة كانت ثابتةً له عليه السّلام على أتمّ مايمكن فانّ ادراكه(ع) لهذه الأشياء ادراك بحسب قوّته الحدسيّة القدسيّة وادراك كثير الحكماء لها ادراكٌ فكريٌّ محتاجٌ الى كلفةٍ ومشقّةٍ يستلزم أغلاطاً عظيمةً لايخلو عنها الّا آحاد الحكماء؛ فأين احدهما من الآخر ؟! و بيان ذلك ببيان انّه عليه السّلام كان سيّد العارفين بعد سيّدالمرسلين صلّى‌الله عليه وآله ، وقبله نبيّن انّه كان استاذ العالمين.

فههنا اذاً مقامان :

المقام الاوّل ـ انّه كان استاذ البشر بعد رسول‌الله صلّى‌الله عليه وآله و بيانه انّا بحثنا العلوم بأسرها فوجدنا أعظمها وأعمّها العلم الالهىّ وقد رأينا فى خطبه عليه‌السّلام من أسرار التّوحيد والنّبوّات والقضاء والقدر وأحوال المعاد ما لم يأت فى كلام أحدٍ من أكابر العلماء و أساطين الحكمة ، ثمّ وجدنا جميع فرق الاسلام تنتهى فى علومهم اليه؛ أمّا

المتكلّمون فإمّا معتزلة؛ وانتسابهم اليه ظاهر، وذلك انّ المباحث المتعلّقة بأصول الفقه والمسائل الفقهيّة و كثيرٍ من ظواهر الشّريعة موافقة لأصول المعتزلة وقواعدهم فى اثبات الحسن والقبح العقليّين فى افعاله تعالى وبنائهم على ذلك استحالة التّكليف بالمحال وغير ذلك ممّا هومسطور فى كتبهم واكثراصول المعتزلة مأخوذة من ظواهر كلامه عليه‌السّلام فى التّوحيد والعدل وان كانت لها أسرارٌ أخرى ، و **إمّا أشعريّة** ومعلوم انّ استاذهم ابوالحسن الاشعرىّ وهو تلميذ أبى علىٍّ الجبّائىّ وهو منتسبٌ الى‌امير المؤمنين عليه السّلام الّا انّ اباالحسن تنبّه لما وراء أذهان المعتزلة وطالع كتب الحكمة فخالف‌أستاذه فى‌مواضع تعلّمها [1] من مذهبه وعبّر عنها بعباراتٍ توافق ظاهر الشّريعة وزعم بذلك انّه عند[2] المتكلّمين وليس معهم‌الّا اسمه . **وامّا الشّيعة** فانتسابهم اليه ظاهرٌ ، **وامّا الخوارج** و ان كانوا على غايةٍ من البعد عنه الّا انّهم ينتسبون الى مشايخهم وهم كانوا تلامذة علىٍّ عليه السّلام. **وأمّا المفسّرون** فرئيسهم ابن‌عبّاسٍ رضى‌الله عنه وقد كان تلميذاً لعلىٍّ عليه السّلام ، **وأمّا الفقهاء** فأكابرهم كانوا يأخذون عنه الأحكام وتذكّر ما قال عمر غير مرّةٍ حيث يقع فى المسائل المشكلة فيفرج عنه: لولا علىٌّ لهلك عمر؛ وكونه أفضل الأمّة فى ذلك ظاهرٌ ولذلك قال رسول‌الله صلّى‌الله عليه‌وآله :أقضاكم علىٌّ؛ والأقضى لابدّ وان يكون أفقه وأعلم بقواعد الفقه وأصوله. وقال عليه‌السّلام: لو كسرت[3] لى الوسادة لحكمت بين أهل التّوراة بتوراتهم ، وبين أهل‌الانجيل بانجيلهم؛ وبين أهل الزّبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم ؛ والله ما من آيةٍ نزلت فى برٍّ او بحرٍ اوسهلٍ اوجبلٍ ولاسماءٍ ولا أرضٍ ولاليلٍ ولانهارٍ الّا أنا أعلم فيمن نزلت وفى‌أىّ شىءٍ نزلت؛ وذلك يدل على كمال علمه بالأحكام وعدم نظيرٍ له فى ذلك . **وأمّا الفصحاء** فعلومٌ انّ جميع من‌ينسب الى الفصاحة بعده يملأون أوعية أذهانهم من‌ألفاظه ويضمّنونها[4] كلماتهم وخطبهم ليكون

١- ا : «تعلمها»(من دون نقطة) فيمكن ان يقرأ «يعلمها». ٢- كذا ولعله كان: «من». ٣- المشهور فيه : «ثنيت». ٤- ا : «يضمونها».

منها[١] بمنزلة درر[٢] العقود ؛ والأمر فى ذلك ظاهرٌ ، **وامّا النّحويّون فأوّل واضعٍ** للنّحو هو أبوالأسود الدّؤلى و كان ذلك بارشاده عليه السّلام له الى ذلك وكان بدؤ ذلك انّ أبا الأسود سمع رجلاً يقرأ: انّ الله برئٌ من المشركين ورسوله (بالكسر) فأنكر ذلك وقال: نعوذبالله من الحور بعد الكور؛ اى من نقصان الايمان بعد زيادته وراجع فى ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام وقال له: نحوت ان أضع للعرب ميزاناً يقوّمون به لسانهم فقال عليه السّلام: انح نحوه؛ وأرشده الى كيفيّة ذلك الوضع وعلّمه ايّاه. **وامّا علماء الصّوفيّة** وأرباب العرفان فنسبتهم اليه فى تصفية الباطن وكيفيّة السّلوك الى الحقّ الأوّل ظاهرة الإنتهاء اليه . **وأمّا علماء الشّجاعة والممارسون للاسلحة والحروب فهم ايضاً** منتسبون اليه فى ذلك فثبت بماقرّرنا انّه عليه السّلام كان استاذ الخلق وهاديهم الى الحقّ وذلك وان دلّ على كماله فى قوّته النّظريّة فهو دالّ ايضاً على كمال قوّته العمليّة.

المقام الثانى انّه عليه السّلام كان سيّد العارفين بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله

وذلك ببيان انّه كان قد تسنّم درجة الوصول **وتحقيق ذلك** انّك علمت فى الاصول المتقدّمة انّ الوصول انّما يحقّ[٣] اذا غاب العارف عن نفسه فلحظ جناب الحقّ من حيث إنّه هو فقط وان لحظ نفسه من حيث هى لاحظة لامن حيث هى مزيّنة بزينة الحقّ ثمّ انّه قد وجد فى كلامه واشاراته مايستلزم حصول هذه المرتبة له **وذلك من وجوهٍ :**

الاوّل ـ قوله عليه السّلام: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ؛ وقد عرفت انّ ذلك اشارة الى انّ كلّ كمالٍ نفسانىٍّ متعلّق بالقوّة النّظريّة قد[٤] حصل له بالفعل وذلك يستلزم تحقّق الوصول التّامّ الّذى ليس فى قوّة الاولياء زيادة عليه.

الثّانى ـ قوله عليه السّلام مناجياً لربّه: الهى ماعبدتك خوفاً من عقابك ولا رغبةً فى ثوابك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك؛ وهذا الكلام يدلّ على انّه عليه السّلام

١ـ ا : «فيها». ٢ـ ج : «در». ٣ـ د: «يتحقق». ٤ـ ب ج: «قد».

قد حذف كلّ ماسوى الحقّ تعالى عن درجة الاعتبار و لم يلحظ معه غيره و ذلك هو الوصول التّامّ.

الثّالث ـ لمّا سأله ذعلب اليمانيّ : هل رأيت ربّك يا اميرالمؤمنين ؟ ـ فقال عليه السّلام : أفأعبد ما لا أرى؟! قال: وكيف تراه؟ـ قال :لاتراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان ؛ وقد عرفت انّ القلوب فى عرفهم عبارة عن النّفوس الانسانيّة ، وادراكها نيلها ووصولها الى ساحل عزّته؛ وذلك يدلّ على انّه عليه السّلام كان من الواصلين.

الرّابع ـ انّه عليه السّلام وصف موضعه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وكيفيّة تربيته وارشاده وتعليمه له فى آخر خطبته المسمّاة بالقاصعة؛ قال عليه السّلام مخاطباً للقوم: وقد علمتم موضعى من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ؛ وضعنى فى حجره وانا وليدٌ يضمّنى الى صدره ويكنفنى فى فراشه و يُمسّنى جسده ويُشمّنى عرفه وكان يمضغ الشّىء ثمّ يلقمنيه وما وجدلى كذبةً فى قولٍ ولاخطلةً فى فعلٍ ، ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظم ملكٍ من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ، ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل اثر أمّه؛ يرفع لى فى كلّ يومٍ علماً من أخلاقه ويأمرنى بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور فى كلّ سنة بحراء فأراه ولايراه غيرى ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ فى الاسلام غيررسول الله وخديجة وأنا ثالثهما؛ أرى نور الوحى والرّسالة وأشمّ ريح النّبوّة ولقد سمعت رنّة الشّيطان حين نزل الوحى عليه صلّى الله عليه و آله فقلت : يارسول الله ماهذه الرّنّة ؟ـ فقال: هذا الشّيطان قد ايس من عبادته انّك تسمع، ما أسمع، وترى ما أرى؛ الّا انّك لست بنبيٍّ وانّك لوزير[1] وانك لعلى خيرٍ.

والاستدلال بهذا الكلام من وجوهٍ:

الاوّل ـ انّه لانزاع فى انّه عليه السّلام كان فى أصل الخلقة فى غاية الذّكاء

١ـ كذا فى النسخ ولكن فى نهج البلاغة : «ولكنك وزير».

والاستعداد لكمال العلوم وفي غاية الحرص، ولانزاع انّ محمّداً صلّى الله عليه وآله كان أفضل الفضلاء و أعلم العلماء فاذا اتّفق لمثل هذا التّلميذ الكامل ان يصحب مثل هذا الاستاذ الفاضل ويكونان في غاية الحرص ؛ التّلميذ في التّعلّم والاستاذ في التّعليم ، وكان قد سبق له ان اتّصل بخدمته من زمان صغره الى آخر عمره كما أشار اليه وعلى الوجه الّذي أشار اليه فانّ العقل يضطرّ الى الحكم بانّ ذلك التّلميذ يبلغ مبلغاً عظيماً في الكمال، ويصل الغاية القصوى من العلم.

الثاني ـ قوله عليه السّلام: أرى نور الوحي ـ الى قوله ـ قد أيس من عبادته، وذلك انّه عليه السّلام رأى بعين بصيرته الصّور الالهيّة أمثال الأنوار البهيّة كما عرفت من انزعاج المتخيّلة الى تلك الصّور المقتنصة للعقل وتشبيحها وحطّها الى الحسّ المشترك بصور خياليّة وكذلك انحطّ الى حسّه النّفحات الرّبّانيّة في مثال ريح محسوسة في غاية الذّكاء ونهاية اللّذّة كريح المسك الاذفر وان كان فرقان[1] مابينهما فرقان مابين الشّامّين والمشمومين وكذلك سمع رنّة الوهم حال قهر العقل له وانزعاجه خلفه واستتباعه اياه حال انفلاته[2] الى التّوجّه نحو القبلة الحقيقيّة واقتناص الصّور القدسيّة[3] وحقيقة ذلك الرّنّان انّ العقل متصوّر[4] في تلك الحال ماوقع للوهم من انجذابه الى خلاف مقتضى طبعه فتصوّر المتخيّلة حينئذ و تشبّه ما أدركه العقل من أحواله معه بصورة شخص شرير بعيد عن قبول الخير قهر على المتابعة فيه فتألّم[5] فصاح[6] فتحطّه في تلك الصّورة ومايصحبها من الأمثال المحسوسة الى الحسّ المشترك فيدرك هناك الصوت[7] المسمّى بالرّنّان وذلك يدلّ على وصوله واتّصاله بأرباب حظيرة القدس وقرب منزلته من تناول صور الوحي وان صدق انّه دون درجة النّبوّة.

١ـ ب: «فرقاً». ٢ـ ب ج: «انقلابه». ٣ـ ب ج د: «القدسية». ٤ـ ج: «يتصور».
٥ـ ب: «فيألم» ج: «فتألم». ٦ـ ب: «وصاح» ج: «فصاح». ٧ـ ب: «الصورة».

الثّالث ـ قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله[1]: انّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى الّا انّك لست بنبيّ؛ ولااشكال انّ النّبيّ (ص) كان له اتّصال بالحقّ تعالى والوصول التّامّ الّذى وصفناه وكان ذلك الاتّصال حاصلاً لعليّ وان كان دون درجة النّبوّة؛ فانّ للاتّصال بالجناب المقدّس درجاتٍ لاتتناهى، ولذلك قال: انّك لست بنبيّ.

الرّابع ـ قوله عليه السّلام يصف السّالكين الواصلين[2]:

---

١ ـ هو من أواخر الخطبة القاصعة المروية فى نهج البلاغة كما صرح به الشارح (ره). ٢ ـ قال الشارح (ره) فى شرح هذا الكلام الشريف المروى فى نهج البلاغة (ص٤٠٣ من الطبعة الاولى):

اقول: هذا الفصل من اجل كلام له (ع) فى وصف السالك المحقق الى الله وفى كيفية سلوكه المحقق و أفضل أموره فأشار **باحياء عقله** الى صرف همته فى تحصيل الكمالات العقلية من العلوم والاخلاق وأحيا عقله النظرى والعملى بها بمداد الرياضة بالزهد والعبادة واشار **باماتة نفسه** الى قهر نفسه الامارة بالسوء وتفريغها بالعبادة للنفس المطئنة بحيث لايكون لها تصرف على حد طباعها الا بارسال العقل وباعثه فكانت فى حكم الميت عن الشهوات والميول الطبيعية الذى لاتصرف له من نفسه. وقوله (ع): **حتى دق جليله** اى حتى انتهت به اماتته لنفسه الشهوية الى ان دق جليله وكنى (ع) بجليله عن بدنه فانه اعظم مايرى منه، **ولطف غليظه** اشارة الى لطف بدنه ايضاً **ويحتمل** ان يشير به الى لطف قواه النفسانية بتلك الرياسة وكسر الشهوة فان اعطاء القوة الشهوية مقتضى طباعها من الانهماك فى المآكل والمشارب مما يثقل البدن ويكدر الحواس ولذلك قيل: البطنة تذهب الفطنة وتورث القسوة والغلظة، فاذا اقتصرت على حد العقل بها لطفت الحواس عن قلة الابخرة المتولدة عن التملى بالطعام و الشراب ولطف الملطف ذلك ماغلظ من جوهر النفس بالهيئات البدنية المكتسبة من متابعة النفس الامارة بالسوء كلطف المرآة بالصقال حتى يصير ذلك اللطف مسبباً لاتصالها بعالمها واستشرافها لانوار من الملأ الاعلى. **وقوله (ع): وبرق له لامع كثير البرق** اشار (ع) باللامع الى مايعرض للسالك عند بلوغ الارادة بالرياضة به حدّاً ما من الخلسات الى الجناب الاعلى فيظهر له انوار الهية شبيهة بالبرق فى سرعة لمعانه واختفائه وتلك اللوامع مسماة عند أهل الطريقة بالوقت و كل وقت فانه محفوف بوجد اليه قبله و وجد عليه بعده لانه لما ذاق تلك اللذة ثم فارقها ←

قد أحيا عقله و أمات نفسه حتّى دقّ جلباه و لطف غليظه و برق له لامع كثير البرق فأبان لـه الطّريق و سلك به السّبيل وتدافعت به الابواب الى باب السلامة و دار ـ الاقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه فی قرار الامن والرّاحة بما استعمل قلبه وارضى ربّه.

ومن تأمّل لطائف هذه الكلمات واستلاح بمرآة سرّه أسرار هذه الرّمزات علم انّه عليه السّلام كان من سادات العارفين و رؤساء الواصلين والمراد انّ العارف **قد أحيا عقله** باستعمال مادّة الحياة الّتی هی العلوم والسّعی فی تحصيلها، **وأمات نفسه** الامّارة بالسّوء

← حصل فيه حنين وانين الى مافات منها **ثم ان هذه اللوامع** فی مبدء الامر تعرض له قليلا فاذا امعن فی الارتياض كثرت فأشار باللامع الى نفس ذلك النور و بكثرة برقه الى كثرة عروضه بعد الامعان فی الرياضة **و يحتمل ان** يكون قد استعار لفظ اللامع للعقل الفعال ولمعانه ظهوره للعقل الانسانی، وكثرة بروقه اشارة الى كثرة فيضان تلك الانوار الشبيهة بالبروق عنه عند الامعان فی الرياضة **وقوله (ع) : فأبان له الطريق** ای ظهر له بسبب ذلك ان الطريق الحق الى الله هی ما هو عليه من الرياضة **وسلك به السبيل** ای كان سبباً لسلوكه فی سبيل الله اليه **وقوله (ع): وتدافعته الابواب** ای أبواب الرياضة ای أبواب الجنة ای تطويع النفس الامارة والزهد الحقيقی والاسباب الموصلة اليهما كالعبادات وترك الدنيا فان كل تلك ابواب يصير منها السالك حتى ينتهی الى باب السلامة وهو الباب الذی اذا دخله السالك تيقن فيه السلامة من الانحراف عن سلوك سبيل الله بمعرفته ان تلك هی الطريق وذلك الباب هو الوقت الذی اشرنا اليه وهو اول منزل من منازل الجنة العقلية، **وقوله (ع): وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه فی قرار الامن والراحة** نهی قرار الامن متعلق بثبتت وهو اشارة الى الطور الثانی للسالك مادام فی مرتبة الوقت فانه يعرض لبدنه عند لمعان تلك البروق شدة اضطراب وقلقه يحس بها خلسة لان النفس اذا فاجأها أمر عظيم اضطربت وتقلقلت فاذا كثرت الغواشی الفتها بحيث لاتنزعج عنها ولاتضطرب لورودها عليها البدن بل تسكن وتطمئن لثبوت قدم عقله فی درجة اعلى من درجات الجنة التی هی قرار الامن والراحة من عذاب الله. **وقوله (ع) بما استعمل قلبه وارضى ربه تعالى** فالجار والمجرور متعلق بثبتت ايضاً ای وثبتت رجلاه بسبب استعمال قلبه ونفسه فی طاعة الله وارضائه بذلك الاستعمال و بالله التوفيق.

بتطويعها للقوّة العاقلة كما عرفت أسباب التّطويع وكيفيّته، **حتّى دقّ جليله** اى صغر جسمه ونحف من تحمّل أعباء الرّياضة والقيام بها، **ولطف ماكان غليظاً كثيفاً** من هيئاته البدنيّة الرّديّة فصارت نفسه مرآةً مجلوّةً فبرق فيها بارق العزّة وهوالوقت فى عرف أرباب العرفان كما عرفته، **وكونه كثيراً** اشارة الى ماذكرنا من انّ تلك اللّوامع لاتزال تزداد وتكثر الى ان تغشاه فى غيرحال الارتياض. وقوله: **فأبان له الطريق وسلك به السّبيل**؛ اى انّه اهتدى لمعارج القدس بتلك البروق بعد ان كان غير مهتدٍ لها، وسلك به السّبيل الاقصد بعد ان كان فى اسر متخيّلته فى حال ارتياضة تسوقه فى سبلٍ مختلفةً بحسب اختلاف محاكاتها للامورالوهميّة قبل الاطّلاع باشراق تلك اللّوامع على السّبيل الواضح ولذلك قال: **وتدافعت به الابواب** اى الأبواب المتخيّلة انّها هى المسالك الصّحيحة قبل الاشراف على باب السّلامة المؤدّى الى دارالمقامة، **وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه** اشارة الى انقلاب وقته سكينةً ولاتستفزّه غواشيه فى قرارالامن عن الوجدين المحفوف بهما الوقت، وعن روع استفزاز تلك الغواشى والرّاحة من مجاذبة النّفس الامّارة اذ صارت فى اسر النّفس المطمئنّة مقهورةً تأتمر بأوامرها وتنزجر بنواهيها، **بما استعمل قلبه وأرضى ربّه** بامتثال أمر ربّه فى الأعمال المتقدّمة فى درجات السّلوك.

وهذه اللّطائف ممّايوضح انّه عليه السّلام كان مطّلعاً اطّلاعاً حقيقيّاً على هذه المقامات واقفاً[1] على أعلى درجاتها واصلاً الى منتهاها وغايتها.

الخامس ـ انّك ستعرف فى الفصل الثّانى ان شاء الله تمكّنه عليه السّلام من الاطّلاع على المغيبات والقدرة على الاتيان بخوارق العادات؛ ومعلوم انّ ذلك من خواصّ الواصلين.

البحث الثّانى

فى بيان كماله عليه السّلام فى القوّة العمليّة

قد عرفت انّ كمال القوّة العمليّة انّما هو بكمال الحكمة العمليّة وهى استكمال

١ـ ب: «واقعاً».

النّفس بكمال الملكة التّامّة على الافعال الفاضلة حتّى يكون الانسان ثابتاً على الصّراط المستقيم متجنّباً لطرفى الافراط والتّفريط فى جميع أفعاله ، ثمّ علمت انّ اصول الفضائل الخلقيّة ثلاثة.

الاوّل ـ الحكمة الخلقيّة وهى الملكة الّتى تصدرعنها[1] الافعال المتوسّطة بين الجربزة والغباوة اللّذان هما طرفا الافراط والتّفريط، ولمّا ثبت انّه عليه السّلام كان من رؤساء الواصلين وجب ان يكون مستلزماً لهذه الفضيلة اذهى من صفات العارفين ، وان لايكون واقفاً دونها على حدّ الغباوة وألّا لمّا كان واصلاً ،وان لايكون متجاوزاً لها الى طرف الجربزه لأنّ الخبث يمنع صاحبه عن التّرقّى الى درجة الكمال ويأبى طبعه الّا الشرّ.

الثّانى العفّة

وقد علمت انّها الملكة الصّادرة عن اعتدال حركة القوّة الشّهويّة بحسب تصريف العقل العمليّ لها على قانون العدل .

ونبيّن انّ هذه الملكة كانت ثابتةً له عليه السّلام من وجوه :

الاوّل ـ انّه كان أزهد الخلق فى الدّنيا وفيما عدا القبلة الحقيقيّة وأقدر على حذف الشّواغل الملفتة[2] عن لقاء الله وكلّ من كان كذلك كان أملك لهواه من غيره امّا المقدّمة الاولى فمعلومة بالتّواتر عن احواله وصفاته وأمّا الثّانية فضروريّة أيضاً.

الثّانى ـ قوله عليه السّلام مخاطباً لربّه[3]: ماعبدتك رهبةً من عقابك ولارغبةً فى ثوابك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك . وقد عرفت انّ ذلك كما يستلزم اثبات الوصول فى حقّه فكذلك هومستلزم لاثبات هذه الملكة له لانّ كلّ من قدر على حذف ماسوى الحقّ الاوّل وتنحيته[4] عن القصد فلابدّ وان يكون زمام شهوته بيد عقله.

١ـ النسخ: «عنه». ٢ـ كذا والشارح(ره) يستعمله كثيراً فى شرح نهج البلاغة ايضاً لكنى لم أجده فى اللغة . ٣ـ من الاحاديث المسلمة الواردة فى الكتب المعتبرة المعروفة.
٤ـ ب: «يتجنبه» ج د: «تجنبه».

الثّالث ـ قوله عليه‌السّلام فى رواية ضرار بن ضمرة الضبّابىّ لمعاوية وقد سأله عن أمير المؤمنين (ع) قال[1]: لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى اللّيل سدوله وهو قائمٌ فى محرابه قابضٌ على لحيته يتململ تململ السّليم ويبكى بكاء الحزين ويقول:

---

١ ـ **قال ابن ميثم (ره) فى شرح نهج البلاغة** فى شرح هذه العبارة مانصه (ص ٥٨٨):

اقول: كان هذا الرجل من اصحابه (ع) فدخل على معاوية بعد موته (ع) فقال: صف لى علياً فقال: او تعفينى عن ذلك فقال: والله لتفعلن فتكلم بهذا الفصل فبكى معاوية حتى اخضلت لحيته و **الضباب** بطن من فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، و **السدول** جمع سدل وهو ماارسل على الهودج، و **التململ** التقلقل من الالم والهم، و **السليم** الملسوع و **الوله** اشد الحزن **وقد نظر عليه السلام** الى الدنيا بصورة امرأة تزينت وتعرضت لوصوله اليها مع كونها مكروهة اليه فخاطبها بهذا الخطاب، و **اليك** من اسماء الافعال اى تنحى، و **عنى** متعلق له بما فيه من معنى الفعل، و **استفهامه** عن تعرضها به وتشوقها اليه استفهام انكار لذلك منها واستحقار لها واستبعاد لموافقته اياها على ماتريد، و **لاحان حينك** اى لاقرب وقتك اى وقت انخداعى لك وغرورك لى. وقوله (ع): **هيهات** اى لابعد ماتطلبين منى **ثم امرها بغرور غيره** وهو كناية عن انه لاطمع له فى ذلك منه لانه اراد منها غرور غيره وهذا كمن يقول لمن يخدعه وقد اطلع على ذلك منه: اخدع غيرى؛ اى ان خداعك لايدخل على. **ثم خاطبها** خطاب الزوجة المكرهة منافراً لها فأخبرها بعدم حاجته اليها؛ **ثم انشأ طلاقها ثلاثاً** لتحصل البينونة بها مؤكداً لذلك بقوله: **لارجعة لى فيها**؛ وهو كناية عن غاية كراهيتها، واكد طلاقها لميله (ع) الى ضرتها التى هى مظنة الحسن والبهاء. **ثم اشار الى المعايب** التى لاجلها كرهها وطلقها وهى قصر العيش اى مدة الحيوة فيها و **يسير الخطر** اى قلة قدرها ومحلها فى نظره ثم حقارة مايؤمل منها؛ **وثم نأوه من امور؛ احدها** ـ قلة الزاد فى السفر الى الله تعالى وقد علمت انه التقوى والاعمال الصالحة وهكذا شان العارفين فى استحقار أعمالهم. **الثانى** ـ طول الطريق الى الله ولاشىء فى الاعتبار اطول مما لايتناهى. **الثالث** ـ بعد السفر وذلك لبعد غايته وعدم تناهيها. **الرابع** ـ عظم المورد واول منازله الموت ثم البرزخ ثم موقف القيامة الكبرى والله المستعان. **وروى**: «وخشونة المضجع»؛ وهو القبر». ←

يادنيا يادنيا اليك عنّي ؛ابي تعرّضت ام الي تشوّقت[1] لاحان حينك هيهات غرّي غيري لاحاجة لي فيك قدطلّقتك ثلاثاً لارجعة فيها؛ فعيشك قصير وخطرك يسير وامللك حقير فآه من قلّة الزّاد وطول الطّريق وبعد السّفر وعظم المورد.

وهذا صريحٌ موضحٌ لاثبات ملكة العفّة له وقمع الشّهوة بالكلّيّة والمراد ههنا بالسّفر السّفر في الله لا السّفر الى الله كما عرفت الفرق بينهما.

← **وقال ابن ابي الحديد في شرحه ضمن ماقال :** (ج ٤ من طبعة مصر ص٢٧٦):

« والتململ والتملل ايضاً عدم الاستقرار من المرض كأنه على ملة وهي الرماد الحار و تشوفت و يروى بالقاف (يريد انه بالفاء وفي رواية اخرى بالقاف) وقوله: لاحان حينك ادعاء عليها لاحضر وقتك كما تقول : لاكنت فاما ضرار بن ضمره فان الرياشي روى خبره **ونقلته انا من كتاب عبدالله بن اسمعيل بن احمد الحلبي في التذييل على نهج البلاغة** قال : دخل ضرار على معاوية وكان ضرار من صحابة علي عليه السلام فقال له معاوية: ياضرار صف لي علياً قال او تعفيني؟- قال: لااعفيك، قال: ماأصف منه وكان والله شديد القوى بعيد - المدى يتفجر العلم من انحائه والحكمة من ارجائه، حسن المعاشرة سهل المباشرة، خشن المأكل قصير الملبس ، غزير العبرة طويل الفكرة ، يقلب كفيه ويخاطب نفسه، وكان فينا يجيبنا اذا سألنا و يبتدئنا اذا سكتنا ، ونحن مع تقريبه لنا اشد مايكون صاحب لصاحب هيبة لابتدئه الكلام لعظمته؛ يحب المساكين ويقرب اهل الدين وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وتمام الكلام مذكور في الكتاب.

و ذكر عمر بن عبدالعزيز في كتاب الاستيعاب هذا الخبر فقال:

حدثنا عبدالله بن يوسف قال : حدثنا يحيى بن مالك بن عائذ قال: حدثنا ابوالحسن محمد بن محمد بن مقلة البغدادي بمصر وحدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا العكلي عن الحرمازي عن رجل من همدان قال قال معاوية لضرار الضبابي : يا ضرار صف لي علياً قال : اعفني يا امير المؤمنين قال: لتصفنه قال: اما اذ لابد من وصفه؛ كان والله بعيد المدى شديد القوى، ←

١- قرى، بالقاف والفاء فمن اراد التحقيق فليراجع شروح نهج البلاغة.

الرّابع ـ قوله عليه السّلام فى صفة المخلص من عبادالله[1] فهو من معادن دينه وأوتاد أرضه، قد ألزم نفسه العدل فكان اوّل عدله ان نفى الهوى عن نفسه، يصف الحقّ ويعمل به، ولايدع للخير غايةً الّا أمّها ولامظنّةً الّا قصدها قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائدة وامامه يحلّ حيث حلّ ثقله وينزل حيث كان منزله .

ومن أنصف من نفسه علم انّ هذا الكلام لايصدرعنه وهومرتكبٌ بخلافه وذلك يستلزم اثبات الملكة المذكورة له.

الخامس ـ قال ابن عبّاس رضى الله عنه[2] دخلت على امير المؤمنين عليه السّلام بذى قارٍ وهو يخصف نعله فقال لى: ماقيمة هذه النّعل ؟ــ فقلت: لاقيمه لها ، قال: والله لهى أحبّ إلىّ من امرتكم الّا ان أقيم حقًّا او ادفع باطلاً.

← يقول فصلا ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها و يأنس بالليل و وحشته ، غزيرالعبرة طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن ، كان فينا كأحدنا، يجيبنا اذا سألناه و ينبيئنا اذا استفتيناه ، ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لانكاد نكلمه هيبة له ، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لايطمع القوى فى باطله ولاييأس الضعيف من عدله ؛ وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين و يقول : يادنيا غرى غيرى ، أبى تعرضت ام الى تشوفت؟ هيهات هيهات قد باينتك ثلاثاً لارجعة فيها فعمرك قصير وخطرك حقير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر وحشة الطريق؛ فبكى معاوية و قال:

رحم الله اباالحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار ؟ــ قال: حزن من ذبح ولدها فى حجرها.

١ـ من أراد شرحه فليراجع ج ٢ من شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد؛ ص ٢٢٦ من طبعة مصر، وص ٢١٤ ـ ٢١٦ من شرح ابن ميثم من الطبعة الاولى فى سنة ١٢٧٦ . ٢ـ من اراد ان يقف على شرح هذا الكلام فليراجع شرح نهج البلاغة لشارح هذه الكلمات (ابن ميثم ـ رحمه الله ـ) انظر ص ١٤٩ من الطبعة الاولى وشرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد (ص ١٧٦ من ج ١ من طبعة مصر) .

وذلك يستلزم اعراضه عن المطلوبات الفانية الّا اذا كانت تؤدّى الى الخيرات الباقية وهوعين العفّة.

السّادس ـ دعاء النّبيّ صلّى الله عليه وآله لـه : اللّهمّ أدر الحقّ مع عليٍّ حيث دار[1]: ومن كان الحقّ ملازماً لطبيعة حركاته استحال ان يلزمها باطل لاستحالة ان يلزم الطّبيعة الواحدة لازمان متقابلان او مختلفان فاستحال ان يكون متّبعاً للهوى البتّة وهو معنى العفّة وهذا القدرقطرة من بحرالتّنبيهات على لزوم هذه الملكة له ، وبالجملة فالخوض فى اثبات هذه الملكة له يشبه الاستدلال فى موضع الضّرورة.

الثّالث ــ الشجاعة

وثبوتها له عليه السّلام معلوم بالضّرورة حتّى صار مثلاً يضرب مبالغة فى حقّ الرّجل الشّجاع **واذا عرفت انّ هذه الاصول الثّلاثة ثابتة له** على اتمّ مايمكن، وثبت أنّها مستلزمة لفضيلة العدالة علمت ثبوت العدالة له اكمل ممّا هى لسائرالخلق **ويؤيّده** قول الرّسول صلّى الله عليه وآله: أقضاكم علىّ[2]؛ والقضاء محتاجٌ الى العدل ومشروطٌ به.

وامّا أنواع هذه الفضائل فانت عند الانصاف واعتبار درجته وتصفّح كلماته واقوال الرّسول صلّى الله عليه و آله فى حقّه سيّما قوله : اللّهمّ أدرالحقّ مع عليٍّ حيث دار ؛ تجده مستكملاً لها عالماً بكيفيّة اقسامها مزكّياً نفسه بها ويراها[3] وجوه حركاته و تصرّفاته لانّها الحقّ ،وتجده خالياً من انواع الرّذائل المحتوشة لها لعدم امكان اجتماع

١ـ من اراد ان يقف على شيء من طرق هذا الحديث فليراجع غاية المرام للسيدهاشم البحرانى (ره) فان الباب الخامس والاربعين من ذلك الكتاب فى نقل قول النبى(ص):على مع الحق والحق مع على، وقوله(ص):اللهم ادر الحق معه حيث دار وفيه؛اربعة عشر حديثاً من طرق العامة، والباب السادس والاربعين من الكتاب فى نقل احاديث الخاصة فى ذلك (انظر ص٥٠٤ ـ ٥٢٦). ٢ـ من الاحاديث المتواترة بين الفريقين. ٣ـ ب : « وتراها » وعلى هذه النسخة لايستقيم الكلام الا بوجود كلمة «فى» قبل لفظة «وجوه».

الاضداد **ولولا كراهة التّطويل** لاوضحنا انّ كلّ نوعٍ من أنواع الفضائل ثابت له على اكمل الوجوه .

واما القسم الثّانى والثّالث من اقسام الحكمة وهما الحكمة المنزليّة والسّياسيّة

فقد علمت انّ فائدتها ان يعلم الانسان وجه المشاركة الّتى ينبغى ان يكون بين اشخاص النّاس ليتاونوا على مصالح الابدان ونظام مصالح المنزل والمدينة وقد كان عليه السّلام فى ذلك العلم سبّاق غاياتٍ وصاحب آياتٍ ويكفيك فى معرفة ذلك منه **امّا على سبيل الجملة** فلانّ الشّريعة المصطفويّة متضمّنة لهاتين الحكمتين على أتمّ الوجوه واكملها بحيث ترجع اكابر الحكماء اليها فى تعلّمها ؛ ومعلوم انّ امير المؤمنين عليه السّلام كان متمسّكاً بها ومقرّراً لها وباسطاً لأسرارها الكلّيّة ومفصّلاً لإشاراتها الجمليّة ولم يغيّر منها حرفاً ولم يقصّر فيها عن غايةٍ وذلك مستلزم ثبوتها له على اكمل وجه واتمّه **وامّا على سبيل التّفصيل** فعليك فى معرفة ذلك انّه كان اكمل الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله فى هذا العلم بمطالعة عهوده الى عمّاله وولاته وامرائه وقضاته من كتاب نهج البلاغة وخصوصاً العهد الّذى كتبه للاشتر النّخعىّ فانّ فيه لطائف من تدبير امر المدن ونظام أحوالها لاتُهتدى لحسنها واذا تأمّلته لم تجد عليه مزيداً فى هذا الباب ، هذا مع ماتواتر من رجوع المتقدّمين له المعترف بحسن تدبيرهم وايالتهم الى استشارته فى امورهم وتعرّف كيفيّة تدبير العساكر والحروب والمصالح الكلّيّة والجزئيّة والفيء الى احكامه من الاخبار الكثيرة.

من ذلك قوله عليه السّلام لمّا استشاره عمر فى الخروج من المسلمين الى غزو الرّوم[1]:

١ـ نقلة الشريف الرضى ـ رضى الله عنه ـ فى باب الخطب من نهج البلاغة وصدره بهذه العبارة «ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب فى الخروج الى غزو الروم بنفسه» (انظر ج ٢ شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد من طبعة مصر ؛ ص ٢٨٩) .

وقد توكّل الله لأهل هذا الدّين باعزاز الحوزة، وستر العورة، والّذى نصرهم وهم قليلٌ لاينتصرون، و منعهم وهم قليلٌ لايمتنعون؛ حيٌّ لايموت، انّك متى تسر الى هذا العدوّ بنفسك فتلقهم فتنكبْ لايكن للمسلمين كانفةٌ دون أقصى بلادهم ليس بعدك مرجعٌ يرجعون اليه فابعث عليهم[1] رجلاً محرباً[2] واحفز[3] معه أهل البلاء والنّصيحة فان اظهرالله فذاك ماتحبّ وان تكن الاخرى كنت ردءً للنّاس ومثابةً للمسلمين[4].

١- في نهج البلاغة : «اليهم».

٢- **قال شارح الكلمات ابن‌ميثم (ره) في شرحه لنهج البلاغة** (ص٢٦٧ من الطبعة الاولى): «والمجرب بكسر الميم الرجل صاحب حروب» وقال ابن ابي‌الحديد في شرحه: «رجل محرب اى صاحب حروب» **لكن قال ابن‌الاثير في النهاية** : «وفي حديث على - رضى‌الله عنه - فابعث عليهم رجلا محراباً اى معروفاً بالحرب عارفاً بها والميم مكسورة وهو من ابنية المبالغة كالمعطاء ؛ و منه حديث ابن‌عباس قال في‌على رضى الله عنهما : مارأيت محراباً مثله» **وقال** الفيروزآبادى **في القاموس** : « ورجل حرب و محرب و محراب شديد الحرب شجاع» **وقال الزبيدى في شرحه مانصه** : «(ورجل حرب) كعدل (و محرب) بكسر الميم (و محراب) اى(شديد الحرب شجاع) **وقيل** : محرب و محراب صاحب حرب، و في حديث على - كرم الله وجهه - فابعث عليهم رجلا محرباً اى معروفاً بالحرب عارفاً بها والميم مكسورة وهو من ابنية المبالغة كالمعطاء من العطاء ، و في‌حديث ابن‌عباس قال في على:مارأيت محرباً مثله ، ورجل محرب محارب لعدوه» .

٣- قال ابن ابي‌الحديد في شرحه:«حفزت الرجل واحفزه = دفعته من خلفه وسقته سوقاً شديداً» و قال ابن‌ميثم في شرحه:«حفز كذا اى دفعه وحفزه ضمه الى غيره» .

٤- **قال ابن ابي‌الحديد في شرحه :**

« **فان‌قلت:** فما بال رسول‌الله(ص) كان يشاهدالحروب بنفسه ويباشرها بشخصه؟ــ **قلت** : ان رسول الله (ص) كان موعوداً بالنصر و آمناً على نفسه بالوعد الالهي في قوله: والله يعصمك من‌الناس؛وليس عمر كذلك. **فان قلت** : فمابال اميرالمؤمنين(ع) شهد حرب الجمل و صفين و النهروان بنفسه **فهلا بعث** اميراً محرباً و أقام بالمدينة ردءً و مثابة ؟- **قلت** عن **هذا جوابان** ؛ **احدهما** ـ انه(ع) كان عالماً من جهة النبي(ص) انه لايقتل في‌هذه الحروب؛ويشهد لذلك الخبر المتفق عليه بين‌الناس كافة: تقاتل بعدى ـه

فانظر الى هذا الرّأى الصّائب بعين بصيرتك تجده كافلاً لمحاسن تدابير الرّياسات مقتضياً لنظام الحركات المدنيّة كاشفاً لمصالح الملك مستلزماً لكونه عليه السّلام أفضل المتقدّمين فى هذا الشأن.

ومنها قوله عليه السّلام[1]: والله لقد عُلِّمْتُ[2] تبليغ الرّسالات، وإتمام العدات، وتمام الكلمات، وعندنا أهل البيت ابواب الحكم وضياء الأمر.

ولاشكّ انّ من علم تبليغ الرّسالات وادائها و كانت عنده ابواب الحكمة كان اولى الخلق بتدبير احوال الخلق واقدرهم على نظم امورهم[3].

← الناكثين والقاسطين والمارقين. **و ثانيهما** يجوزان يكون غلب على ظنه ان غيره لا يقوم مقامه فى حرب هذه الفرق الخارجة عليه ولم يجد اميراً محرباً من اهل البلاء والنصيحة لانه (ع) هكذا قال لعمر **واعتبر هذه القيود والشروط** فمن كان من اصحابه (ع) محرباً لم يكن من اهل النصيحة له، ومن كان من أهل النصيحة له لم يكن محرباً فدعته الضرورة الى مباشرة الحرب بنفسه».

اقول: قد عمل أمير المؤمنين (ع) هذا العمل فى غير حرب الجمل وصفين والنهروان و يكشف عن ذلك مانقله السيد الرضى (رض) فى نهج البلاغة (ج ٢ شرح ابن ابى الحديد ص ٢٠٩ من طبعة مصر) بهذه العبارة «ومن كلام له عليه السلام وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً فقال (ع): مابالكم امخرسون انتم؟ افقال قوم منهم: ياامير المؤمنين ان سرت سرنا معك، فقال (ع): مابالكم لاسددتم ارشد ولاهديتم لقصد افى مثل هذا ينبغى ان اخرج وانما يخرج فى مثل هذا رجل ممن ارضاه من شجعانكم وذوى بأسكم ولاينبغى لى ان ادع الجند والمصر و بيت المال (الى ان قال) و انما انا قطب الرحى تدور على وانا بمكانى فاذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها (الى آخر ماقال)».

١ـ هو صدر كلام له (ع) نقله السيد الرضى (ره) فى نهج البلاغة (انظر شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ص ٢٦٠ من المجلد الثانى من طبعة مصر).

٢ـ قال ابن ابى الحديد: «رواها قوم: لقد علمت، بالتخفيف و فتح العين، و الرواية الاولى احسن».

٣ـ قال ابن ميثم (ره) فى شرحه لنهج البلاغة فى شرح هذا الكلام مانصه (ص ٢٨٤ ←

ومنها قوله عليه‌السّلام فى علم تدبير الحروب :

فقدّموا الدّارع ، وأخّروا الحاسر ، وعضّوا على الاضراس؛ فانّه أنبى للسّيوف عن الهام ، والتووا فى أطراف الرّماح؛ فانّه أمور للاسنّة ، وغضّوا الابصار؛ فانّه أربط للجأش وأسكن للقلوب ، وأميتوا الاصوات ؛ فانّه أطرد للفشل ، ورايتكم فلاتميلوها ، ولاتخلّوها ، ولاتجعلوها الّا بأيدى شجعانكم والمانعين الذّمار منكم؛ فانّ الصّابرين على نزول الحقائق هم الّذين يحفّون برایاتهم و يكتنفونها حفافيها ووراءها و امامها لايتأخّرون عنها فيسلموها ، ولايتقدّمون عليها فيفردوها.

وهو مذكور فى كتاب نهج البلاغة[1].

وكذلك قوله عليه‌السّلام فى هذا المعنى فى بعض ايّام صفّين[2] :

← من الطبعة الاولى) : « **اقول** : صدر الفصل بذكر فضيلته وهى علمه بكيفية تبليغ الرسالات وادائها ، وعلمه باتمام الله تعالى ما وعدبه المتقين فى دارالقرار فتمام وعده ان لاخلف فيه ، و تمام اخباره ان لاكذب فيها ، و تمام اوامره و نواهيه اشتمالها على المصالح الخالصة والغالبة و هكذا ينبغى ان يكون اوصياء الانبياء و خلفاؤهم فى ارض الله وعباده **ثم اردف ذلك بالاشارة الى فضل اهل البيت عاماً** و اراد بضياء الامر انوار العلوم التى يبتنى عليها الامور والاعمال الدينية والدنيوية وماينبغى ان يهتدى الناس به فى حركاتهم من قوانين الشريعة ومايستقيم به نظام الامر من قوانين السياسات وتدبير المدن والمنازل ونحوها اذ كان كل امر شرع فيه على غيرضياء من الله و رسوله او احد اهل بيته و خلفائه الراشدين فهو محل التيه والزيغ عن سبيل الله».

فمن اراد باقى الكلام و شرحه فليراجع شرح نهج البلاغة.

١- هومذكور فى نهج البلاغة فى باب الخطب فان اردت شرحه فراجع شرح ابن ابى الحديد (ج ٢ ص ٢٦٦ من طبعة مصر) او شرح شارح تلك الكلمات ابن ميثم (ره) على نهج البلاغة (ص ٢٨٦ من الطبعة الاولى). ٢- هو ايضاً مذكور فى نهج البلاغة (انظر شرح ابن ميثم (ره) ص ١٨٢ من الطبعة الاولى) وان اردت ان تراجع شرح ابن ابى الحديد فراجع ج ١ ص ٤٧٦ من طبعة مصر.

معاشر المسلمين استشعروا الخشية ، وتجلببوا السّكينة ، وعضّوا على النّواجذ؛ فانّه أنبى للسّيوف عن الهام، وأكملوا اللّأمة ، وقلقلوا السّيوف فى أغمادها، والحظوا الخزر، واطعنوا الشّزر، ونافحوا بالظّبى، وصلوا السّيوف بالخطى.

وعند تأمّل هذه الكلمات تجده عليه السّلام قد أحاط بعلم تدبير الحرب وانتظام أمور الجند .

وامّا رجوعهم الى احكامه الصّائبة وتنبيهاته عليه السّلام لهم على الاغلاط العظيمة فى مواضع كثيرة يطول بتفصيلها الكلام ويخرج عن الغرض كقضيّة[1] المجهضة[2]

١ـ ب ج : «كقصة» . ٢ـ ج : «المجهصة» (بالصاد المهملة) وهى تصحيف قطعاً؛ **قال الطريحى** (ره) **فى مجمع البحرين**: «الجهاض بالكسر اسم من: أجهضت الناقة والمرأة ولدها اجهاضاً = أسقطته ناقص الخلق؛ ومنه المجهض = المسقطة للحمل ، والولد مجهض بفتح الهاء وجهيض» **فكأنها اشارة الى ما نقله نقلة الآثار** وحملة الاخبار ضمن قضاياه الغريبة؛ **قال العلامة المجلسى** (ره) **فى تاسع البحار** فى « باب قضاياه صلوات الله عليه وما هدى قومه(ع) اليه مما أشكل عليهم من مصالحهم» **نقلا عن مناقب ابن شهر اشوب** (ص ٧٩ ؛ من طبعة امين الضرب):

« ابوالقاسم الكوفى والقاضى النعمان فى كتابيهما : عمر بن حماد باسناده عن عبادة بن الثابت قال: قدم قوم من الشام حجاجاً فأصابوا أدحى نعامة فيه خمس بيضات فشووهن وأكلوهن ثم قالوا : ما أرانا الاوقد أخطأنا والصيد أصبنا ونحن محرمون؛ فأتوا المدنية وقصوا على عمر القصة فقال : انظروا الى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاسألوهم عن ذلك ليحكموا فيه فسألوا جماعة من الصحابة فاختلفوا فى حكم ذلك **فقال عمر : اذا اختلفتم فهينا رجل كنا أمرنا اذا اختلفنا فى شىء فيحكم فيه** فأرسل الى امراة يقال لها عطية فاستعار منها اتاناً فركبها وانطلق بالقوم معه حتى اتى علياً وهو ينبع؛ فخرج اليه على فتلقاه ثم قال له: هلا أرسلت الينا ؛ فنأتيك ؟ — فقال عمر : الحكم يؤتى فى بيته فقص عليه القوم **فقال على(ع) لعمر**: مرهم فليعمدوا الى خمس قلائص من الابل فليطرقوها للفحل فاذا أنتجت أهدوا ما نتج منها جزاءً عما أصابوا، **فقال عمر : يا أبا الحسن ان الناقة قد** ←

وقضيّة المرأة زنت وهی حامل[1] فأمر عمر برجمها، وقضيّة المرأة الّتی ولدت لستّة أشهر فأمر عمر ايضاً برجمها حتّی نبهّه عليه السّلام علی انّ ذلك أقلّ مدّة الحمل بقوله تعالی: وحمله وفصاله ثلاثون شهراً؛ وقد علم انّ مدّة الفصال سنتان فقال له عمر فی هذا المواضع:

← **تجهيض؟**- فقال علی: وكذلك البيضة قد تمرق ، فقال عمر : فلهذا أمرنی ان نسألك.

بيان-قال الجوهری : مدحی النعامة موضع بيضها و **أدحيها** موضعها الذی تفرخ فيه وهو أفعول من: دحوت؛ لانها تدحوه برجلها ثم تبيض فيه، **واجهضت الناقة** ای أسقطت، **ومرقت البيضة** ای فسدت، **و قال الميدانی فی مجمع الامثال و شارح اللباب وغيرهما** : فی المثل السائر: **فی بيته يؤتی الحكم** ؛ هذا ما زعمت العرب عن ألسن البهائم قال: ان الارنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها وانطلقا يختصمان الی الضب فقالت الارنب : يا اباالحسل فقال: سميعاً دعوت؛ قالت : أتيناك لنختصم اليك، قال: عادلا حكمتما ، قالت : فی بيته يؤتی الحكم ، قالت : وجدت تمرة ، قالت : حلوة فكليها ، قالت : فاختلسها الثعلب قال لنفسه بغی الخير قالت : فلطمته ، قال: بحقك أخذت، قالت: فلطمنی قال : حراً تنتصر ، قالت : فاقض بيننا ، قال : حدث حدثين امراة فان ابت فاربعة، فذهبت أقواله كلها امثالا؛ انتهی».

١- هذه القضية فی كتب معتبرة كثيرة راجع لبعض طرقه تاسع البحار (ص ٤٨٣ من طبعة امين الضرب) فان اردت ملاحظة عدة من طرقها راجع تمام «باب قضاياه صلوات الله عليه وما هدی قومه اليه مما اشكل من مصالحهم» ص ٤٧٠-٤٩٩ من المجلد المذكور.

وانما نشير الی موضع من موارد نقلها

قال العلامة المجلسی (ره) **فی تاسع البحار** فی «باب قضاياه (ع) وما هدی قومه اليه مما أشكل عليهم » (ص ٤٧٩ من طبعة امين الضرب): « **قب** (ای مناقب ابن شهراشوب) وكان الهيثم فی جيش فلما جاء جاءت امرأته بعد قدومه بستة أشهر بولد؛ فأنكر ذلك منها وجاء به عمر وقص عليه فأمر برجمها فأدركها علی (ع) من قبل ان ترجم ثم قال لعمر: اربع علی نفسك انها صدقت ان الله تعالی يقول: وحمله و فصاله ثلاثون شهراً، وقال: والوالدات يرضعن اولادهن حولين ←

لولا عليّ لهلك عمر؛ وبلفظٍ آخر: لاعشت لمشكلةٍ لانكون لها يا ابالحسن[1].

وجزئيّات هذا الباب كثيرةٌ وفيما ذكرناه مقنعٌ لمن سلك طريق السّداد وتنحّى عن [سبيل العناد]؛ والله وليّ التّوفيق والعصمة.

ـــ كاملين فالحمل والرضاع ثلاثون شهراً؛ فقال عمر: لولا علي لهلك عمر، وخلى سبيلها والحق الولد بالرجل.

شرح ذلك اقل الحمل اربعون يوماً و هوز من انعقاد النطفة واقله لخروج الولد حياً ستة اشهر؛ وذلك لان النطفة تبقى في الرحم اربعين يوماً، ثم تصير علقة اربعين يوماً، ثم تصير مضغة اربعين يوماً، ثم تتصور في اربعين يوماً، وتلجها الروح في عشرين يوماً، فذلك ستة اشهر فيكون الفطام في اربعة وعشرين شهراً؛ فيكون الحمل في ستة أشهر».

١ـ **قال العلامة المجلسي**(ره) **في تاسع البحار** في باب قضاياه بعد نقل حديث فيه «فقال عمر: معضلة وليس لها الا ابوالحسن» (ص ٤٩٠ من طبعة امين الضرب) مانصه:

«**بيان ـ قال الجزري في النهاية:** العضل المنع والشدة يقال: أعضل بي الامر اذا ضاقت عليك فيه الحيل ومنه حديث عمر: اعوذ بالله من كل معضلة ليس لها ابوحسن، و روى معضلة (اي بتشديد الضاد) اراد المسألة الصعبة او الخطبة الضيقة المخارج من الاعضال والتعضيل ويريد بأبي الحسن علي بن ابي طالب(ع) انتهى».

اقول: يشبه كلام ابن الاثير من جهة كلام نجم الائمة الرضي(ره) في شرح الكافية لابن الحاجب

وذلك انه قال في مبحث لا التي لنفي الجنس مانصه (ص ١١١ من طبعة تبريز سنة ١٣٧٤): «واعلم انه قد يؤول العلم المشتهر ببعض الخلال بنكرة فينتصب وينزع منه لام التعريف ان كان فيه نحو: لاحسن؛ في الحسن البصري، وكذا لاصعق في الصعق، او ما اضيف اليه نحو لا امرء قيس ولا ابن زبير، ولا يجوز هذه المعاملة في لفظي عبدالله وعبدالرحمن اذ الله والرحمن لا يطلقان على غيره تعالى حتى يقدر تنكيرهما، قال: لاهيثم الليلة للمطي، وقال:

ارى الحاجات عند ابي حبيب نكدن ولا امية في البلاد

ولتأويلة بالمنكر وجهان اما ان يقدر مضاف هو مثل فلا يتعرف بالاضافة لتوغله في الابهام ←

الفصل الثانى

فى بيان اطّلاعه عليه السّلام على المغيبات وتمكّنه من خوارق العادات؛ وفيه بحثان :

البحث الاوّل ـ فى اطّلاعه على الامور الغيبيّة ولنورد منها فى هذا البحث عشرة احكام :

الحكم الاوّل ـ ماحكم بوقوعه فى حقّ عبيدالله بن زياد من قوله عليه السّلام: اما انّه سيظهر عليكم بعدى رجلٌ [1] رحب البلعوم، مندحق البطن ، يأكل مايجد؛ ويطلب

← وانما يجعل فى صورة النكرة بنزع اللام وان كان المنفى فى الحقيقة هوالمضاف المذكور الذى لايتعرف بالاضافة الى اى معرف كان لرعاية اللفظ واصلاحه **ومن ثم قال الاخفش:** على هذا التأويل يمتنع وصفه لانه فى صورة النكرة فيمتنع وصفه بمعرفة وهو معرفة فى الحقيقة فلايوصف بنكرة.

و اما ان يجعل العلم لاشتهارة بتلك الخلة كأنه اسم جنس موضوع لافادة ذلك المعنى لان معنى قضية : ولا اباحسن لها ؛ لافيصل لهـا اذ هو عليه السلام كان فيصلا للحكومات على ماقال النبى(ص): أقضاكم على ؛ فصار اسمه كالجنس المفيد لمعنى الفصل والقطع كلفظ الفيصل، وعلى هذا يمكن وصفه بالمنكر وهذا كما قالوا : لكل فرعون موسى؛ اى لكل جبار قهار ، فيصرف فرعون و موسى لتنكيرهما بالمعنى المذكور.

وجوز الفراء اجراء المعرفة مجرى النكرة بأحد التأويلين فى الضمير واسم الاشارة ايضاً نحو : لااياه ههنا او : لاهذا : وهو بعيد غيرمسموع».

و انما نقلناه هنا بطوله لكثرة فائدته ولمناسبته للمقام.

---

١ - **قال شارح الكلمات ابن ميثم** (ره) فى شرحه على نهج البلاغة فى شرح هذا الكلام (ص١٨٢ من الطبعة الاولى):

« و اختلف فى مراده بالرجل فقال اكثر الشارحين: المراد معاوية لانه كان بطيناً ←

مالايجد ، فاقتلوه ولن تقتلوه؛ الا وانّه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي، فامّا السّبّ فسبّوني [فانّه لي زكوة ولكم نجاة] **وامّا البراءة** فلاتبرّؤا منّي؛فانّي ولدت على الفطرة وسبقت الى الاسلام والهجرة .

وكان ذلك الحكم صادقاً كما هو المشهور من قصّته.

الحكم الثّاني ـ لمّا قتل عليه السّلام الخوارج وقيل له : هلك القوم بأجمعهم ، فقال[1]: كلّا والله انّهم نطفٌ في أصلاب الرّجال وقرارات النّساء؛ كلّما نجم منهم قرنٌ قطع حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلّابين .

وكان من الخوارج ماكان كما قال .

← كثير الاكل؛روى انه كان يأكل فيمل فيقول : ارفعوا ؛ فوالله ماشبعت ولكن مللت وتعبت،وكان ذلك داء أصابه بدعاء الرسول (صلعم) روى انه بعث اليه مرة فوجده يأكل، فبعث اليه ثانية فوجده كذلك فقال : اللهم لاتشبع بطنه ولبعضهم في وصف آخر :

وصاحب لي بطنه كالهاوية كأن في احشائه معاوية

وقيل: هوزيادبن ابي سفيان وهو زيادبن ابيه ،وقيل: هوالحجاج ، وقيل:المغيرة بن شعبة (فخاض في الشرح فمن اراده فليراجع هناك)».

وقال ابن أبي الحديد في شرحه (ج ١ من طبعة مصر ص ٣٠٥):

« وكثير من الناس يذهب الى انه عليه السلام عنى زياداً ،وكثير منهم يقول:انه عنى الحجاج ،وقال قوم : انه عنى المغيرة بن شعبة والا شبه عندي انه معاوية لانه كان موصوفاً بالنهم وكثرة الاكل وكان بطيناً يقعد بطنه اذا جلس على فخذيه(الى آخر ماقال).

اقول : فيما ذكره الشارحان المشاراليهما في شرح الكلام مطالب نفيسة ولو لا ان الخوض في نقلهما يفضي الى اطناب لايناسبه المقام لنقلت ماذكراه (فان شئت ؛ فراجع).

١- **نقله الشريف الرضي(ره) في** باب الخطب من **نهج البلاغة** (راجع شرح ابن ميثم ص١٧٤ من الطبعة الاولى ، وشرح ابن ابي الحديد طبعة مصر ج ١ ص٤٢٧).

الحكم الثّالث ـ قوله عليه السّلام[1]: فتنٌ كقطع اللّيل المظلم لاتقوم لها قائمةٌ، ولاتردّ لها رايةٌ،تأتيكم مزمومةً مرحولةً، يحفزها قائدها ، ويُجهدها راكبها ، أهلها قومٌ أذلّةٌ عند المتكبّرين ، فى الارض مجهولون ؛ وفى السّماء معروفون ، فويلٌ لكك يابصرة عند ذلك من جيشٍ من نقم الله لا رَهَجَ له ولاحسّ وسيبتلى اهلك بالموت الأحمر والجوع الاغبر.

١- هو ايضاً مروى فى باب الخطب من نهج البلاغة **قال ابن‌ميثم(ره) فى‌شرحه** (ص ٢٥٤ من الطبعة الاولى) :

«**اقول: يحفزها** يدفعها من خلف ، و **الكلب** الشر، و **الاذلة** جمع ذليل ،**والرهج** الغبار، والحس الصوت الخفى **وقد نبه عليه السلام** فى هذا الفصل على ماسيقع بعده من الفتن **و يخص منها فتنة صاحب الزنج بالبصرة** وشبه تلك الفتن بقطع الليل المظلم و وجه الشبه ظاهر **ولاتقوم لها قائمة** اى لايمكن مقابلتها بما يقاومها و يدفعها و انما انث لكون القائمة فى مقابلة الفتنة وقيل: لاتثبت لها قائمة فرس، **و استعار لفظ الزمام والرحل والحفز والقائد والراكب وجهده لها ملاحظةً لشبهها بالناقة** وكنى بالزمام و الرحل عن تمام اعداد الفتنة و تعبيتها كما ان كمال الناقة للركوب ان تكون مزمومة مرحولة ، و بقائدها عن اعوانها ، و براكبها عن منشئها المتبوع فيها ، و بحفزها وجهدها عن سرعتهم فيها ، **واهلها اشارة الى الزنج** و ظاهر شدة كلبهم و قلة سلبهم اذ لم يكونوا أصحاب حرب وعدة وخيل كما يعرف ذلك من قصتهم المشهورة وكما سنذكر طرفاً منها فيما يستقبل من كلامه فى فصل آخر وقد وصف مقاتليهم فى الله بكونهم اذلة عند المتكبرين وكونهم مجهولين فى الارض اى ليسوا من ابناء الدنيا المشهورين بنعيمها ، وكونهم معروفين فى السماء هواشارة الى كونهم من اهل العلم والايمان يعرفهم ربهم بطاعتهم وتعرفهم ملائكتهم بعبادة ربهم.

ثم اردف ذلك بأخبار البصرة مخاطباً لها والخطاب لاهلها بما سيقع بها من فتنة الزنج وظاهر انه لم يكن لهم غبار ولااصوات اذ لم يكونوا اهل خيل ولاقعقعة لجم فاذاً لارهج لهم ولاحس وظاهر كونهم من نقم الله للعصاة وان عمت الفتنة اذ قلما تخص العقوبة النازلة بقوم بعضهم كما قال تعالى: واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة **وقوله(ع)**: سيبتلى ←

وكان من أحوال البصرة وموت أهلها بالطّاعون وغيرذلك ماكان كماهومشهورٌ من قصصها وذلك يدلّ على اطّلاعه عليه‌السّلام على ما لم يكن قبل كونه .

الحكم الرّابع ـ قوله عليه السّلام : ولو تعلمون ما أعلم ممّا طوى عنكم غيبه اذاً لخرجتم الى الصّعدات تبكون على اعمالكم[1] وتلتدمون على أنفسكم ، ولتركتم أموالكم

← اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر؛ **قيل : فالموت الاحمر** اشارة الى قتلهم بالسيف من قبل الزنج او من قبل غيرهم **ووصفه بالحمرة** كناية عن شدته وذلك ان اشد الموت ما كان بسفك الدم **اقول**: وقد فسره (ع) بهلاكهم من قبل الغرق كما نحكيه عنه وهو ايضاً فى غاية الشدة لاستلزامه زهوق الروح **وكذلك وصف الاغبر** لان اشد الجوع ما اغبر معه الوجه وغير السحنة الصافية لقلة مادة الغذاء اورداءته فلذلك سمى اغبر **وقيل:** لانه يلصق بالغبراء وهى الارض .

وقد اشار عليه السلام الى هذه الفتنة فى فصل من خطبة خطب بها عند فراغه من حرب البصرة و فتحها وهى خطبة طويلة حكينا منها فصولا تتعلق بالملاحم من ذلك فصل يتضمن حال غرق البصرة فعند فراغه من ذلك الفصل قام اليه (الى آخر ماذ كره؛ وهوطويل لايسعه المقام فمن اراده فليطلبه من هناك)» .

١ــ **قال الشريف الرضي (ره) بعد نقله فى باب الخطب من نهج البلاغة** (انظر شرح نهج البلاغة لابن ميثم ص ٢٨٠ من الطبعة الاولى):

« **اقول** : الوذحة الخنفساء وهذا القول يوسى به الى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره» **قال ابن ميثم فى شرحه:** «الصعدات جمع صعيد وهو وجه الارض، **واللدم والالتدام** ضرب الوجه ونحوه ، **ورأى ميمون** مبارك **وقدماً** بضم القاف والدال اى تقدموا ولم ينثنوا، و **الوجيف** ضرب من السير فيه قوة **والوذحة كماقيل: انها كنية للخنفساء** ؛ ولم ينقل ذلك فى المشهور من كتب اللغة و انما المشهور انها القطعة من بعر الشاة تنعقد على اصواف اذنابها وتتعلق بها وهذا الفصل من خطبة له بالكوفة يستنهض فيها اصحابه الى حرب الشام ويتبرم من تقاعدهم عن صوته. ←

لاحارس لها ولاخالف عليها،ولهمّت كلّ امرئ منكم نفسه لايلتفت الى غيرها؛ولكنّكم نسيتم ماذكّرتم ، وامنتم ماحذّرتم ، فتاه عنكم رأيكم ، وتشتّت عليكم أمركم ، ولوددت انّ الله فرّق بينى و بينكم وألحقنى بمن هو أحقّ بى منكم ، قومٌ والله مياميين الرّأى، مراجيح الحلم ، مقاويل بالحقّ ، متاريك للبغى ، مضوا قدماً على الطّريقة ، وأوجفوا على المحجّة، فظفروا بالعقبى الدّائمة ، والكرامة الباردة ، اما والله ليسلّطنّ عليكم غلام ثقيف الذّيال

(الى ان قال)

ثم بين لهم بعض ماسيلحقهم من الفتن العظيمة مماطوى عنهم غيبه،وهى فتنة الحجاج بن يوسف بن الحكم بن ابى عقيل بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن الاخلاف قوم من ثقيف (الى ان قال) ثم قال : ايه اباوذحة وكلمة **ايه** اسم من اسماء فعل الامر يستدعى به الحديث المعهود من الغير ان سكنت،و ان نونت كانت لاستدعاء قول او فعل ما؛ **وقيل:** التسكين للوقف والتنوين للدرج . **وأما تلقيبه(ع) له بأبى وذحة فروى فى سبب ذلك** انه كان يوماً يصلى على سجادة له فدبت اليه خنفساء فقال: نحوها عنى فانها وذحة من وذح الشيطان .

وروى انه قال: قاتل الله قوماً يزعمون ان هذه من خلق الله فقيل له: مما هى ؟ــ فقال: من وذح ابليس وكأنه شبهها بالوذحة المتعلقة بذنب الشاة فى حجمها او شكلها فاستعار لها لفظها ، **و نسبته لها الى ابليس** لاستقذاره اياها واستكراهه لصورتها ، او لانها تشوشه فى الصلوة **وروى ابوعلى بن مسكويه :** انه نحاها بقصبة و قال : لعنك الله وذحة من وذح الشيطان **و نقل بعض الشارحين ودجة** (بالدال والجيم) وكنى بذلك عن كونه سفاكاً للدماء قطاعاً للاوداج ، وفيه بعد» .

قال ابن ابى الحديد فيما قال فى شرحه (ج٢ ؛ ص٢٥٧ من طبعة مصر) :

«قال الرضى- رحمه الله - والوذحة الخنفساء ولم أسمع هذا من شيخ من اهل الادب ولاوجدته فى كتاب من كتب اللغة ولاادرى من اين نقل الرضى رحمه الله ذلك؟ !

ثم ان المفسرين بعد الرضى- رحمه الله- قالوا فى قصة هذه الخنفساء وجوها

منها-ان الحجاج رأى خنفساء تدب الى مصلاه فطردها فعادت، ثم طردها فعادت-

الميّال يأكل خضرتكم ، ويذهب شحمتكم، ايه اباوذحة .

والمراد ههنا فتنة الحجّاج،والوذحة الخنفساء؛ وسبب نسبته اليها انّه كان جالساً يوماً على سجّادةٍ له فاذاً خنفساء قد أقبلت تدبّ اليه فقال : نحوّا هذه فانّها وذحة من وذح الشّيطان.

قال أهل اللّغة: الوذحة ما تعلّق بأصواف أطراف الضّأن من بعرها وبولها؛ وهذا الحكم غيبيّ.

الحكم الخامس ـ قوله عليه السّلام للاحنف وهو ممّا كان يخبر به عن الملاحم بالبصرة: يا احنف كأنّي به وقد سار بالجيش الّذى لايكون له غبارٌ ولاقعقعة لجمٍ ، ولا

← فأخذها بيده وحذف بها فقرصته قرصاً ورمت يده ورماً كان فيه حتفه، **قالوا:** وذلك لان الله تعالى قتله بأهون مخلوقاته كما قتل نمرود بن كنعان بالبقة التى دخلت فى أنفه فكان فيها هلاكه.

ومنها-ان الحجاج كان اذارأى خنفساء تدب قريبة منه يأمرغلمانه بابعادها ويقول: هذه وذحة من وذح الشيطان تشبيهاً لها بالبعرة ، **قالوا** : وكان مغرى بهذا القول،والوذح مايتعلق بأذناب الشاة من أبعارها فيجف.

ومنها-ان الحجاج قال وقد رأى خنفساوات مجتمعات : واعجباً لمن يقول : ان الله خلق هذه ، قيل: فمن خلقها ايها الامير؟— قال: الشيطان ، ان ربكم لاعظم شأناً ان يخلق هذه الوذح **قالوا:** فجمعها على فعل كبدنة وبدن؛فنقل قوله هذه الى الفقهاء فى عصره فأكفروه.

ومنها-ان الحجاج كان مثفاراً وكان يمسك الخنفساء حية ليشفى بحركتها فى الموضع حكاكه ، **قالوا** : ولايكون صاحب هذا الداء الا شانئاً مبغضاً لاهل البيت ، **قالوا : ولسنا نقول** : كل مبغض فيه هذا الداء **وانما قلنا** : كل من فيه هذا الداء فهو مبغض؛ **قالوا: وقد روى ابوعمر الزاهد ولم يكن من رجال الشيعة** فى اماليه واحاديثه عن السيارى عن ابى خزيمة الكاتب قال : مافتشنا أحداً فيه هذا الداء الاوجدناه ناصبياً ، قال ابوعمر : واخبرنى العطا فى من رجاله **قالوا** : سئل جعفربن محمد عليه السلام عن هذا الصنف من الناس فقال : رحم منكوسة تؤتى ولاتأتى ، وما كانت هذه الخصلة فى ولى الله تعالى قط ولاتكون ابداً وانما تكون فى الكفار والفساق والناصب للطاهرين وكان ابوجهل عمربن هشام المخزومى من القوم وكان اشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله ←

حمحمة خيلٍ، يثيرون الارض بأقدامهم كأنّها أقدام النّعام ، ويلٌ لسككهم العامرة والدّور المزخرفة الّتي لها أجنحة كأجنحة النّسور وخراطيم كخراطيم الفيلة، من اولئك الّذين لايندب قتيلهم ، ولايفقد غائبهم[1] .

← قالوا : ولذلك قال له عتبةبن ربيعة يوم بدر: ياصفراً استه .

فهذا مجموع ماذكره المفسرون وما سمعته من افواه الناس في هذا الموضع .

ويغلب على ظني انه(ع) اراد معنى آخر ؛ وذلك ان عادة العرب ان تكنى الانسان اذا ارادت تعظيمه بما هو مظنة التعظيم كقولهم: ابوالهول، و ابوالمقدام ،وأبوالمغوار، فاذا ارادت تحقيره والغض منه كنته بما يستحقر ويستهان به كقولهم في كنية يزيد بن معاوية ابوزنة ؛ يعنون القرد، وكقولهم في كنية سعيدبن حنص البخاري المحدث؛ ابوالفار، وكقولهم للطفيلي: ابولقمة ، وكقولهم لعبد الملك: ابوالذبان؛ لبخره، وكقول ابن بسام لبعض الرؤساء :

فانت لعمري ابوجعفر ولكننا نحذف الفاء منه

وقال ايضاً :

لئيم دون الثوب نظيف القعب والقدر
ابو النتن ابو الدفر ابو البعر ابو الجعر

فلما كان امير المؤمنين عليه السلام **يعلم** من حال الحجاج نجاسته بالمعاصي والذنوب التي لوشوهدت بالبصر لكانت بمنزلة الملتصق بشعر الشاء **كناه ابووذحة** ويمكن ايضاً ان يكنيه بذلك لدمامته في نفسه و حقارة منظره وتشويه خلقته فانه كان قصيراً دميماً نحيفاً اخفش العينين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه اصلع الرأس فكناه باحقر الاشياء وهو البعرة .

وقد روى قوم هذه اللفظة بصيغة اخرى فقالوا : ابه اباودجة؛ قالوا: هي واحدة الاوداج، كناه بذلك لانه كان قتالا يقطع الاوداج بالسيف، **ورواه قوم اباوحرة** وهي دويبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر شبهه بها .

وهذا وماقبله ضعيف ، وماذكرناه نحن اقرب الى الصواب» .

---

١ - قال ابن ميثم(ره) في شرحه على نهج البلاغة في شرح هذا الكلام ←

والاشارة فى هذا الكلام الى صاحب الزنج وهو على بن محمد العلوى ويكنى بالبرقعى

← ضمن ماقال (ص ٢٩٠ من الطبعة الاولى) :

« والضمير فى قوله (ع): كأنى به لصاحب الزنج واسمه على بن محمد علوى النسب، والجيش المشار اليه هم الزنج؛ و واقعتهم بالبصرة مشهورة، وأخبارهم وبيان أحوالهم وتفصيل واقعتهم يشتمل عليها كتاب منفرد فى نحو من عشرين كراسة فليطلب علمها من هنالك.

واما وصف ذلك الجيش بالاوصاف المذكورة فلان الزنج لم يكونوا أهل خيل ولا جند من قبل حتى يكون بالاوصاف المشار اليها ، واثارتهم التراب بأقدامهم كناية عن كونهم حفاة فى الاغلب مشقق الاقدام فهى من اعتياد الحفاء ومباشرة الارض كالخشب ونحوه فكانت مظنة اثارة التراب عوضاً من حوافر الخيل، **و وجه شبهها بأقدام النعام** ان أقدامهم فى الاغلب قصار عراض منتشرة الصدور ومفرقات الاصابع فهى من عرضها لا يتبين لها طول فأشبهت اقدام النعام فى بعض تلك الاوصاف.

ثم أخبر بالويل لمحال البصرة و دورها المزوقة من اولئك و استعار لدورها لفظ الاجنحة واراد بها القطانيات التى تعمل من الاخشاب والبوارى بارزة عن السقوف كالوقاية للمشارف والحيطان عن آثار الامطار وهى أشبه الاشياء فى هيئتها و صورة وضعها بأجنحة كبار الطير كالنسور ، و كذلك استعار لفظ خراطيم الفيلة للميازيب التى تعمل من الخوص على شكل خرطوم الفيل وتطلى بالقار يكون نحواً من خمسة اذرع او ازيد تدلى من السطوح حفظاً للحيطان من اذى السيل ايضاً وهى أشبه الاشياء فى صورتها بخراطيم الفيلة.

واما وصفه (ع) لهم بأنه لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم ، **قال بعض الشارحين** : ذلك وصف لهم بشدة البأس والحرص على الحرب والقتال وانهم لا يبالون بالموت ولا يأسفون على من فقد منهم ، **و أقول** : والاشبه ان ذلك لكونهم لا اصول لهم ولا اهل لاكثرهم من أم او أخت او غير ذلك ممن عادته ان ينوح ويندب قتيله ويفتقد غائبه لكون اكثرهم غرباء فى البصرة ممن قتل منهم لا يكون له منهم من يندبه ، ومن غاب لا يكون له من يفقده» .

اقول : لهذا الكلام الشريف ذيل قد نقله السيد (ره) فى نهج البلاغة وهو:

« انا كاب الدنيا لوجهها ، و قادرها بقدرها ، وناظرها بعينها» ←

لانّه كان يمشى متبرقعاً وكان مولده بالرّىّ من قرية يقال لها ورزنين[1] وكان قد خرج فاضلاً بارعاً، ذهب الى البصرة ودعا الزّنج الى نفسه وقرّر مع كلّ واحدٍ منهم ان يقتل سيّده و يزوّجه بمولاته؛ فأطاعوه بأجمعهم و بايعوه على ذلك وفعلوا مافعلوا ؛ وقصّتهم مشهورة ، وذلك مستلزمٌ لاطّلاعه على مالم يكن.

الحكم السّادس ـ قوله عليه‌السّلام[2]:

كأنّى به وقد نعق بالشّام وفحص برایاته فى ضواحى كوفان فعطف اليها عطف

← ومن اراد شرحه فليطلبه من الشروح .

ثم اعلم ان ابن ابى الحديد شرح الكلام بمالامزيد عليه واظن ان ابن ميثم (ره) اشار بكلامه «و بيان اخبارهم يشتمل عليها كتاب منفرد فى نحو من عشرين كراسة» الى ماذكر ابن ابى الحديد فى شرحه فمن اراد التفصيل فليراجع ذلك الشرح (ج ٢ ص ٢١٠—٢٦١ من طبعة مصر) .

١ـ قال ياقوت فى معجم البلدان : « ورزنين من أعيان قرى الرى كالمدينة» .

٢ـ لهذا الكلام ذيل نقله السيد(ره) بهذه العبارة (انظر شرح ابن‌ميثم (ره) ص ٢٩٩ من الطبعة الاولى): «واعلموا ان الشيطان انما يسنى لكم طرقه لتتبعوا عقبه»

وقال ابن‌ميثم(ره) فى شرح الكلام هناك: «وقد اخبر فى هذا الفصل انه سيظهر رجل بهذه الصفات **قال بعض الشارحين:** هو عبدالملك بن مروان وذلك لانه ظهر بالشام حين جعله ابوه الخليفة من بعده وسار لقتال مصعب بن الزبير الى الكوفة بعد ان قتل مصعب المختار بن ابى عبيدة الثقفى فالتقوا بارض مسكن بكسر الكاف من نواحى الكوفة ثم قتل مصعباً ودخل الكوفة فبايعه أهلها ، و بعث الحجاج بن يوسف الى عبدالله بن الزبير بمكة فقتله وهدم الكعبة وذلك سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وقتل خلقاً عظيماً من العرب فى وقائع عبدالرحمن بن الاشعث ورمى الناس بالحجاج بن يوسف» .

أقول : يريد بذلك الشارح ابن ابى الحديد فراجع شرحه لنهج البلاغة ان شئت(ج ٢ ، ص ٤٠٨ من طبعة مصر) وفى شرح ابن ميثم ايضاً لطائف فى شرح الكلام لمن اردتها فراجع هناك .

الضّروس وفرش الارض بالرّؤوس، قدفغرت فاغرته وثقلت فى الارض وطأته، بعيد الجولة عظيم الصّولة، والله ليشرّدنّكم فى أطراف الارض حتّى لايبقى منكم الّا قليلٌ كالكحل فى العين؛ فلاتزالون كذلك حتّى توؤب الى العرب عوازب أحلامها ، فالزموا السّنن القائمة والآثار البيّنة والعهد القريب الّذى عليه باقى النّبوّة .

وهذا الحكم اشارة الى بعض من يخرج فى آخر الزّمان كالسّفيانىّ وغيره.

الحكم السّابع ـ من خطبة له عليه السّلام[1]:

فعند ذلك لايبقى بيت مدرٍ ولاوبرٍ الّاوأدخله الظّلمة ترحةً، وأولجوا فيه نقمةً، فيومئذٍ لايبقى لهم فى السّماء عاذر، ولا فى الارض ناصر، أصفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير مورده ، وسينتقم الله ممّن ظلم مأكلاً بمأكلٍ ومشرباً بمشربٍ من مطاعم العلقم ؛ ومشارب الصّبر والمقر، ولباس شعار الخوف ، ودثار السّيف ، وانّما هم مطايا الخطيئات وزوامل الآثام، فأقسم ثمّ أقسم لتنخمنّها أميّة من بعدى كما تلفظ النّخامة ، ثمّ لاتذوقها ولاتطعم بطعمها أبداً ماكرّ الجديدان.

وهذا الحكم اشارة الى ماكان من بنى أميّة بعده.

الحكم الثّامن ـ واشار فيه الى وصف الاتراك وما يكون فى دولتهم[2]:

كأنّى أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجانّ المطرقة، يلبسون السّرق والدّيباج، ويعتقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استحرار قتلٍ حتّى يمشى المجروح على المقتول، ويكون المفلت اقلّ من المأسور، فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت ياأمير المؤمنين علم الغيب، فضحك عليه السّلام وقال للرّجل وكان كلبيّاً: يا أخا كلبٍ ليس هو بعلم غيبٍ وانّما هو تعلّم من

---

١ ـ ان شئت شرحه فانظر ص ٢٢٨ من الطبعة الاولى من شرح نهج البلاغة لابن ميثم ، او شرح ابن ابى الحديد ، ج ٢ ص ٤١٦ من طبعة مصر.

٢ ـ انظر ص ٢٩١ من الطبعة الاولى من شرح نهج البلاغة لابن ميثم ، او ص ٣٦١ من ج ٢ من شرح ابن ابى الحديد من طبعة مصر.

ذى علمٍ ؛ وانّما علم الغيب علم السّاعة ، وما عدّده الله سبحانه بقوله: انّ الله عنده علم السّاعة وينزّل الغيث ويعلم ما فى الارحام (الآية) فيعلم ما فى الارحام من ذكرٍ او انثى ، وقبيحٍ او جميلٍ ، وسخيٍّ او بخيلٍ ، وشقيّ او سعيدٍ ، ومن يكون للنّار حطباً او فى الجنان للنبيّين مرافقاً؛ فهذا علم الغيب الّذى لايعلمه أحد الّا الله ، وماسوى ذلك فعلمٌ علّمه الله نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ فعلّمنيه ودعالى بان يعيه صدرى وتضطمّ عليه جوانحى.

واعلم انّه عليه السّلام قصد بذلك اقناع المتكلّم بهذا الكلام مع صدقه ومطابقته لما أردناه؛ فانّ معنى تعليم النّبيّ (ص) له عليه السّلام لهذه العلوم هو اعداده لنفسه على طول الصّحبة وتعليمه له كيفيّة السّلوك وأسباب تطويع النّفس الامّارة للنّفس المطمئنّة من أنواع الرّياضات حتّى استعدّت نفسه للانتقاش بالامور الغيبيّة والاخبار بها ؛ وأكّد ذلك الاعداد بدعائه عليه السّلام الصّادر عن نفسه القدسيّة المتصرّفة فى عالم الكون والفساد وذلك مقرّر لما أردناه .

الحكم التّاسع ـ ماروى عنه عليه السّلام[1]: من انّه لمّا قاتل أبوبكر مسيلمة واسرت

١- **قال المجلسى (ره) فى المجلد التاسع من البحار** فى باب احوال اولاد امير المؤمنين على (ع) و ازواجه (ص ٦١٨ — ٦١٩ من طبعة امين الضرب ما نصه): «يج (اى الخرائج والجرائح للقطب الراوندى) عن دعبل الخزاعى قال: حدثنى الرضا عن أبيه عن جده عليهم السلام **قال** : كنت عند ابى الباقر اذ دخل عليه جماعة من الشيعة و فيهم جابر بن يزيد فقالوا : هل رضى ابوك على بامامة الاول والثانى ؟ — قال : اللهم؛ لا، قالوا : فلم تكح من سبيهم خولة الحنفية اذا لم يرض بامامتهم ؟ — فقال الباقر: امض يا جابر بن يزيد الى منزل جابر بن عبدالله الانصارى فقل له : ان محمد بن على يدعوك ،قال جابر بن يزيد: فاتيت منزله وطرقت عليه الباب فنادانى جابر بن عبدالله الانصارى من داخل الدار: اصبر ياجابر بن يزيد ، قلت فى نفسى من اين علم جابر الانصارى انى جابر بن يزيد ولا يعرف الدلائل الا الائمة من آل محمد عليهم السلام والله لاسألنه اذا خرج الى، فلما خرج قلت له: من اين علمت انى جابر ـ

الحنفيّة وجيء بها الى المدينة فلمّا وقفت بين يدى أبي‌بكرٍ دنا اليها طلحة والزّبير فوضعا عليها ثوبين؛ فنفرت من ذلك وقالت: لست بعريانة، فقيل لها: انّهما يتزايدان فيك ويأخذك أحدهما من حقّه، فقالت: لايكون ذلك ولن يملكنى الّا من يخبرنى بماقلته حين ولادتى، فنظر بعض القوم الى بعضٍ متعجّبين من قولها؛ فقال بعضهم: انّما ذلك من دهشها وفزعها؛ فقالت: والله ماداخلنى فزعٌ ولاجزعٌ ومافلت الّا حقّاً ثمّ جلست ناحيةً، فلمّا حضر أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام وقف ثمّ ناداها: ياخولة، فقالت: لبّيك و وثبت، فقال:

← وانا على الباب وانت داخل الدار؟ — قال: خبرنى سولاى الباقر(ع) البارحة انك تسأله عن الحنفية فى هذا اليوم وانا ابعثه اليك ياجابر بكرة غد وادعوك فقلت: صدقت، قال: سرنا فسرنا جميعاً حتى اتينا المسجد فلما بصر سولاى الباقر(ع) بنا ونظر الينا قال للجماعة: قوموا الى الشيخ فاسألوه حتى يتبثكم بماسمع ورأى؛ فقالوا: يا جابر هل راض امامك على بن ابى‌طالب(ع) باسامة من تقدم؟ — قال: اللهم؛ لا، قالوا: فلم نكح من سبيهم اذا لم يرض باسامتهم؟ — قال جابر: آهاه لقد ظننت أنى أموت ولاأسأل عن هذا اذ سألتمونى فاسمعوا وعوا.

حضرت السبى وقد ادخلت الحنفية فيمن ادخل فلما نظرت الى جمع الناس عدلت الى تربة رسول الله(ص) فرنت رنة وزفرت زفرة وأعلنت بالبكاء والنحيب ثم نادت: السلام عليك يارسول الله وعلى اهل بيتك من بعدك، هؤلاء امتك سبتنا سبى النوب والديلم؛ والله ما كان لنا اليهم من ذنب الا الميل الى اهل بيتك فجعلت الحسنة سيئة والسيئة حسنة فسبينا؛ **ثم انعطفت الى الناس وقالت**: لم سبيتمونا وقد أقررنا بشهادة ان لا اله الا الله وان محمداً(ص) رسول الله؟ — قالوا: منعتمونا الزكوة، قال: هب ان الرجال منعوكم فما بال النسوان؟ — فسكت المتكلم كانما ألقم حجراً.

ثم ذهب اليها طلحة وخالد يرميان فى التزويج اليها ثوبين فقالت: لست بعريانة فتكسوانى، قيل: انهما يريدان ان يتزايدا عليك فايهما زاد على صاحبه اخذك من السبى، قالت: هيهات والله لايكون ذلك ابداً ولايملكنى ولايكون لى بعل الا من يخبرنى بالكلام الذى قلته ساعة خرجت من بطن امى، فسكت الناس ينظر بعضهم الى بعض وورد عليهم من ←

لمّا كانت أمّك حاملاً بك وضربها الطّلق واشتدّ عليها الأمر دعت الله وقالت : اللّهمّ سلّمني من هذا المولود سالماً كان او هالكاً فسبقت الدّعوة لك بالنّجاة فناديت من تحتها : لا الٰه الّا الله يا امّاه لم تدعين عليّ ؟ ! وعمّا قليلٍ سيملكني سيّدٌ يكون لي منه ولدٌ

← ذلك الكلام ما أبهر عقولهم وأخرس ألسنتهم وبقي القوم في دهشة من امرها، فقال ابوبكر : مالكم ينظر بعضكم الى بعض ؟ — قال الزبير: لقولها الذي سمعت، قال ابوبكر: ما هذا الامر الذي أحصر أفهامكم ؛ انها جارية من سادات قومها ولم يكن لها عادة بما لقيت ورأت ؛ فلا شك انها داخلها الفزع وتقول ما لا تحصيل له ، فقالت : رميت بكلامك غير مرمي ؛ والله ما داخلني فزع ولا جزع و والله ما قلت الا حقاً ولا نطقت الا فصلا ولا بد ان يكون كذلك ؛ وحق صاحب هذه البنية ما كذبت ، ثم سكتت وأخذ طلحة وخالد ثوبيهما وهي قد جلست ناحية من القوم .

فدخل علي بن أبي طالب عليه السلام فذكروا له حالها **فقال : هي صادقة فيما قالت وكان حالتها وقصتها كيت وكيت في حال ولادتها و قال** : ان كل ما تكلمت به في حال خروجها من بطن امها هو كذا وكذا وكل ذلك مكتوب على لوح معها ؛ فرمت باللوح اليهم لما سمعت كلامه (ع) فقرؤوها على ما حكى علي بن ابي طالب (ع) لا يزيد حرفاً ولا ينقص قال: فقال ابوبكر : خذها يا ابا الحسن بارك الله لك فيها .

فوثب سلمان فقال : والله ما لاحد ههنا منة على امير المؤمنين بل لله المنة ولرسوله ولامير المؤمنين ، والله ما اخذها الا بمعجزة الباهر وعلمه القاهر وفضله الذي يعجز عنه كل ذي فضل .

ثم قال المقداد: ما بال أقوام قد أوضح الله لهم الطريق للهداية فتركوه وأخذوا طريق العمى وما من قوم الا وتبين لهم فيه دلائل امير المؤمنين ، **وقال ابوذر** : واعجباً لمن يعاند الحق و ما من وقت الا وينظر الى بيانه ايها الناس قد تبين لكم فضل أهل الفضل ثم قال : يا فلان اتمن على أهل الحق بحقهم وهم بما في يديك أحق و أولى .. ؟ ! **وقال عمار** : اناشدكم بالله اما سلمنا على امير المؤمنين علي بن ابي طالب في حياة رسول الله (ص) بامرة المؤمنين ؛ فزجره عمر عن الكلام فقام أبوبكر **فبعث علي (ع) خولة الى بيت اسماء بنت عميس** وقال لها : خذي هذه المرأة وأكرمي مثواها ؛ فلم تزل خولة عند اسماء بنت عميس الى ان قدم أخوها فتزوجها علي بن ابي طالب عليه السلام . ←

ميمونٌ فكتبت امّك ذلك فى لوح نحاسٍ فدفنته فى الموضع الّذى فيه سقطت، فلمّا حضرت امّك الوفاة أوصت اليك بذلك فلمّا كان وقت سبيك أخذت ذلك اللّوح وشددته على عضدك الايمن؛ هاتى اللّوح فأنا صاحبه وأبو ذلك الغلام الميمون؛ واسمه محمّد، فأخرجته فأخذه أبوبكر ودفعه الى عثمان؛ فقرأه على النّاس فبكت طائفةٌ واهتزّ آخرون

← فكان الدليل على علم اميرالمؤمنين(ع) وفساد مايورده القوم من سببهم وانه (ع) تزوجها نكاحاً **فقالت الجماعة :**

ياجابر أنقذك الله من حر النار كما انقذتنا من حرارة الشك».

وقال ايضاً العلامة المجلسى(ره) فى تاسع البحار

فى باب معجزات كلامه من اخباره بالغائبات (ص٥٨٢ من طبعة اسين الضرب):

يج- روى انه لما بعد ابوبكر بالامر بعث خالدبن الوليد الى بنى حنيفة ليأخذ زكوات اموالهم فقالوا لخالد: ان رسول الله (ص) كان يبعث كل سنة رجلا يأخذ صدقاتنا من الاغنياء من جملتنا ويفرقها فى فقرائنا فافعل انت كذلك؛ فانصرف خالد الى المدينة فقال لابى بكر: انهم منعونا من الزكوة فبعث معه عسكراً فرجع خالد و أتى بنى حنيفة وقتل رئيسهم وأخذ زوجته و وطئها فى الحال وسبى نسوانهم و رجع بهن الى المدينة وكان ذلك الرئيس صديقاً لعمر فى الجاهلية فقال عمر لابى بكر: اقتل خالداً به بعد ان تجلده الحد لما فعل باسرأته فقال له ابوبكر : ان خالداً ناصرنا تغافل **وأدخل السبايا فى المسجد وفيهن خولة** فجاءت الى قبر رسول الله(ص) والتجأت به وبكت وقالت : يارسول الله(ص) اشكو اليك افعال هؤلاء القوم؛ سبونا من غير ذنب ونحن مسلمون ثم قالت : ايها الناس لم سبيتمونا ونحن نشهد ان لا اله الا الله، وان محمداً(ص) رسول الله؟— فقال ابوبكر : منعتم الزكوة فقالت : الامر ليس على ما زعمت انما كان كذا وكذا؛ وهب الرجال منعوكم فما بال النسوان المسلمات يسبين . . ! ؟ و اختار كل رجل منهم واحدة من السبايا وجاء طلحة وخالدبن عنان ورسيا بثوبين الى خولة فأراد كل واحد منهما ان يأخذها من السبى **قالت :** لايكون هذا أبداً. ←

فلم يخالف ممّا قال حرفاً ، وقالوا عن رأسٍ :صدق رسول‌الله اذ قال:أنا مدينة العلم وعلىّ بابها؛وعندها قال ابوبكر رضى‌الله عنه:خذها يا اباالحسن بارك‌الله لكك فيها .

وهذا من عجيب اطّلاع نفسه القدسيّة على المغيبات.

الحكم العاشر ـ روى انّ رجلاً جاء اليه عليه السّلام وهو على المنبر وقال : يا أميرالمؤمنين انّى مررت بوادى القرى فرأيت خالدبن‌عرفطة قدمات به فاستغفرله‌فقال

← ولايملكنى الامن خبرنى بالكلام الذى قلته ساعة ولدت ، قال ابوبكر : قد فزعت من القوم وكانت لم ترمثل ذلك قبله فتكلم بما لاتحصيل له فقالت:والله انى صادقة **اذ جاء على‌بن‌ابى‌طالب فوقف ونظر اليهم واليها وقال(ع)**: اصبروا حتى‌أسالها عن‌حالها **ثم ناداها ياخولة اسمعى الكلام ثم قال** : لما كانت امك حاملابك وضربها الطلق واشتدبها الامر نادت: اللهم سلمنى من هذا المولود فسبقت تلك‌الدعوة بالنجاة فلماوضعتك ناديت من تحتها : لا اله الا الله ، محمد رسول‌الله (ص)؛ عما قليل سيملكنى سيد سيكون له منى ولد، فكتبت أمك ذلك الكلام فى لوح نحاس فدفنته فى الموضع الذى سقطت فيه،فلما كانت الليلة التى قبضت امك فيها وصت اليك بذلك فلما كان وقت سبيكم لم يكن لك همة الا أخذ اللوح فأخذتيه وشددتيه على عضدك الايمن هاتى اللوح فأنا صاحب ذلك اللوح وأنا اميرالمؤمنين وأنا ابو ذلك الغلام الميمون واسمه محمد ،قال : فرأيناها وقد استقبلت القبلة وقالت : اللهم انت المتفضل المنان اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على ولم تعطها لاحد الا واتممتها عليه،اللهم بصاحب هذه التربة والناطق المنبىء بما هو كائن الا اتممت فضلك على،ثم اخرجت اللوح ورمت به اليه،وأخذه ابوبكر وقرأه عثمان فانه كان أجود القوم قراءة ، وما ازدادما فى اللوح على ماقال على(ع) وماانقص؛ فقال ابوبكر: خذها يا أباالحسن،فبعث بها على(ع)الى بيت اسماء بنت عميس فلما دخل أخوها تزوج بها وعلق بمحمد و ولدته» .

اقول: نقل السيد هاشم‌البحرانى ـ قدس‌سره ـ هذه القضية فى مدينة المعاجزمن كتاب سيرالصحابة بطريقين آخرين واختلاف فى‌بعض خصوصياتها مع مانقل هنا،فمن اراد ان يلاحظها بذلكما الطريقين فليراجع كتاب مدينة المعاجز ص ١٢٩—١٢٨ (من‌النسخة المطبوعة) .

عليه‌السلام له: انّه لم يمت وانّه لن يموت حتّى يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن حمّادٍ [1] فقام اليه رجلٌ من تحت المنبر وقال: يا أمير المؤمنين والله انّي لكث شيعة وانّي محبّ لكث؛ فقال له: من انت؟ ــ فقال: انا حبيب بن حمّادٍ فقال: ايّاك ان تحملها

١ــ **قال العلامة المجلسي (ره) في تاسع البحار** في باب معجزات كلامه من اخباره بالغائبات وعمله باللغات (ص ٥٨٠ من طبعة امين الضرب):

« وستفيض في اهل العلم عن الاعمش و ابن محبوب عن الثمالي والسبيعي كلهم عن سويد بن غفلة وقد ذكره ابوالفرج الاصفهاني في أخبار الحسن انه قيل لامير المؤمنين (ع) ان خالد بن عرفطة قدمات فقال (ع): انه لم يمت ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن جماز (الحديث كما في المتن)».

وقال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة في شرح كلام لامير المؤمنين عليه السلام يجري مجرى الخطبة (ج ١ من طبعة مصر ص ٢٠٨):

«هذا كلام قاله عليه‌السلام لما تفرس في قوم من عسكره انهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي صلى‌الله عليه وآله من اخبار الملاحم والغائبات وقد شك منهم جماعة في اقواله ومنهم من واجهه بالشك والتهمة **روى ابن هلال الثقفي في كتاب الغارات** عن زكريا بن يحيى العطار عن فضيل عن محمد بن علي قال لما قال عليه‌السلام: سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة الا أنبأتكم بناعقها و ساعقها؛ قام اليه رجل فقال: أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر، فقال له علي عليه‌السلام: والله لقد حدثني خليلي ان على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك، وان على كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، وان في بيتك سخلا يقتل ابن رسول‌الله صلى الله عليه وآله وكان ابنه قاتل الحسين عليه‌السلام يومئذ طفلا يحبو وهو سنان بن انس النخعي.

و روى الحسن بن محبوب عن ثابت الثمالي عن سويد بن غفلة ان علياً عليه‌السلام خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره فقال: يا امير المؤمنين اني مررت بوادي القرى فوجدت خالد بن عرفطة قدمات فاستغفر له فقال عليه‌السلام انه لم يمت (فذكر الحديث الى آخره وذكر نظائر له فان شئت فراجع هناك)».

ولتحملنّها وتدخل بها من هذا الباب؛ وأومأ بيده الى باب الفيل ، فلمّا كان وقت ظهور الحسين بن علي وبعث ابن زياد عمر بن سعد اليه جعل خالد بن عرفطة على مقدّمته وحبيب بن حمّاد صاحب رايته فساربها حتّى دخل المسجد من باب الفيل.

والاخبار المرويّة في هذا الباب كثيرة[1] وفيما ذكرناه كفاية في التّنبيه على المطلوب.

---

١ — **قال ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة في شرح خطبة من فقراتها** «فاسألوني قبل ان تفقدوني فوالذي نفسي بيده لاتسألونني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولاعن فئة تهدي مائة وتضل مائة الا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من اهلها قتلا ومن يموت منهم موتاً » (ج ٢ من طبعة مصر ص ١٧٠—١٧٦):

«واعلم انه (ع) قد أقسم في هذا الفصل بالله الذي نفسه بيده انهم لايسألونه عن امر يحدث بينهم وبين القيامة الا أخبرهم به وانه ناصح من طائفة من الناس يهتدي بها مائة وتضل بها مائة الا وهو مخبرلهم ان سألوه برعاتها وقائدها وسائقها ومواضع نزول ركابها وخيولها ومن يقتل منها قتلاً ومن يموت منها موتاً **وهذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادعاء الربوبية ولا ادعاء النبوة ولكنه كان يقول: ان رسول الله (ص) أخبره بذلك ولقد امتحنا أخباره فوجدناه موافقاً فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة** كاخباره عن الضربة التي يضرب في رأسه فتخضب لحيته ، و اخباره عن قتل الحسين ابنه عليهما السلام، وماقاله في كربلا حيث مر بها ، واخباره بملك معاوية الامر من بعده، واخباره عن الحجاج، وعن يوسف بن عمر ، وما أخبر به من امر الخوارج بالنهروان وما قدمه الى اصحابه من اخباره بقتل من يقتل منهم وصلب من يصلب، واخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، واخباره بعدة الجيش الوارد اليه من الكوفة لما شخص عليه السلام الى البصرة لحرب أهلها، واخباره عن عبدالله بن الزبير و قوله فيه: خب ضب يروم امراً ولايدركه ؛ ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا وهو بعد مصلوب قريش ، وكاخباره عن هلاك البصرة بالغرق وهلاكها تارة اخرى بالزنج وهو الذي صحفه قوم فقالوا : بالريح ، وكاخباره عن ظهور الرايات السود من خراسان ، وتنصيصه على قوم من اهلها يعرفون ببني رزيق بتقديم المهملة وهم آل مصعب ـ

البحث الثانی

فی بیان تمکّنه علیه السّلام من الافعال الخارقة للعادة ولنذکر منها عشر آیات

الآیة الاولی ـ روی عن جعفر بن محمّد الصّادق علیه السّلام انّه قال : خرج أمیرالمؤمنین علیه السّلام بالنّاس یرید صفّین وعبر الفرات وکان غربیّ الجبل بصفّین اذ

← الذین منهم طاهر بن الحسین و والده واسحق بن ابراهیم وکانوا هم وسلفهم دعاة الدولة العباسیة، وکاخباره عن الائمة الذین ظهروا من ولده بطبرستان کالناصر والداعی وغیرهما فی قوله علیه السلام : وان لال محمد بالطالقان لکنزاً سیظهره الله اذا شاء ؛ دعاؤه حق یقوم باذن الله فیدعو الی دین الله، وکاخباره عن مقتل النفس الزکیة بالمدینة؛ وقوله: انه یقتل عند احجار الزیت، وکقوله عن أخیه ابراهیم المقتول بباخمری یقتل بعد ان یظهر و یقهر بعد ان یقهر وقوله فیه ایضاً : یأتیه سهم غرب یکون فیه منیته فیابؤساً للرامی شلت یده ووهن عضده، وکاخباره عن تتلی وج وقوله فیهم : هم خیر اهل الارض، و کاخباره عن المملکة العلویة بالغرب وتصریحه بذکر کتامة؛ وهم الذین نصروا أباعبدالله الداعی المعلم، وکقوله وهویشیر الی ابی عبدالله المهدی وهو اولهم ثم یظهر صاحب القیروان الغض النض ذوالنسب المحض المنتخب من سلالة ذی البداء المسجی بالرداء وکان عبیدالله المهدی ابیض مترفاً مشرباً بحمرة رخص البدن تارالاطراف، وذوالبداء اسمعیل بن جعفر بن محمد علیهما السلام وهوالمسجی بالرداء لان اباه أباعبدالله جعفراً سجاه بردائه لمامات و أدخل الیه وجوه الشیعة یشاهدونه لیعلموا موته وتزول عنهم الشبهة فی أمره ، وکاخباره عن بنی بویه : وقوله فیهم: و یخرج من دیلمان بنو الصیاد اشارة الیهم و کان ابوهم صیاد السمک یصید منه بیده مایقوت هو و عیاله بثمنه فأخرج الله تعالی من ولده لصلبه ملوکاً ثلاثة ونشر ذریتهم حتی ضربت الامثال بملکهم؛ وکقوله علیه السلام فیهم: ثم یستشری أمرهم حتی یملکوا الزوراء ویخلعوا الخلفاء فقال له قائل: فکم مدتهم یاامیرالمؤمنین؟ — فقال: مائة او تزید قلیلاً ؛ وکقوله فیهم: ←

حضرت صلوة المغرب فأمر فنزلوا ثمّ توضّأ وأذّن فلمّا فرغ من الاذان انفلق الجبل عن هامةٍ بيضاء ووجهٍ أبيض فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة الله وبركاته مرحباً بوصيّ خاتم النّبيّين العالم المؤمن الفاضل الفائق ميزان الصّدّيقين وسيّد الوصيّين فقال: عليك السّلام يا أخى شمعون وصيّ روح الله؛ قال: فتحدّثا مليّاً ثمّ ودّعه شمعون والتأم الجبل، فلمّا خرج عليه السّلام الى القتال سأله عمّار وابن عبّاس والاشتر وهاشم بن عتبة المرقال وأبو ايّوب الانصارىّ وقيس بن سعدٍ وعمرو بن الحمق وعبادة بن الصّامت عن الرّجل فأخبرهم

← والمترف بن الاجذم يقتله ابن عمه على دجلة وهو اشارة الى عزالدولة بختيار بن معزالدولة أبى الحسين وكان معزالدولة أقطع اليد قطعت يده النكوص فى الحرب وكان ابنه عزالدولة بختيار مترفاً صاحب لهو و طرب وقتله عضدالدولة فناخسرو ابن عمه بقصر الجص على دجلة فى الحرب وسلبه ملكه؛ **فأما خلعهم للخلفاء** فان معزالدولة خلع المستكفى ورتب عوضه المطيع، وبهاء الدولة ابانصر بن عضدالدولة خلع الطائع ورتب عوضه القادر؛ **وكانت مدة ملكهم** كما أخبر به عليه السلام، وكاخباره عليه السلام لعبدالله بن العباس رحمه الله تعالى عن انتقال الامر الى اولاده فان على بن عبدالله لما ولد اخرجه ابوه عبدالله الى على عليه السلام فأخذه وتفل فى فيه وحنكه بتمرة قدلا كها ودفعه اليه وقال: خذ اليك ابا الاملاك؛ هكذا الرواية الصحيحة وهى التى ذكرها أبوالعباس المبرد فى كتابه الكامل وليست الرواية التى يذكر فيها العدد بصحيحة ولامنقولة من كتاب معتمد عليه.

وكم له من الاخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى مما لو أردنا استقصاءه لكسرنا له كراريس كثيرة وكتب السير تشتمل عليها مشروحة.

فان قلت: لماذا غلا الناس فى أمير المؤمنين عليه السلام فادعوا فيه الالهية لاخباره عن الغيوب التى شاهدوا صدقها عياناً ولم يغلوا فى رسول الله صلى الله عليه وآله فيدعوا له الالهية واخباره عن الغيوب الصادقة قد سمعوها وعلموها يقيناً وهو كان اولى بذلك لانه الاصل المتبوع؛ ومعجزاته اعظم واخباره عن الغيوب اكثر؟ ←

انّه شجعون وكانوا سمعوا كلامه فازدادوا متانةً فى الدّين واستبصاراً[١].

وذلك يدلّ على انّ لنفسه القدسيّة ملكة التّصرّف فى هذا العالم العنصرىّ.

الآية الثانية ـ قال الحارث[٢]: كنّا وقوفاً عند أميرالمؤمنين عليه السّلام اذ أقبل أسدٌ يهوى اليه فتضعضعنا من خوفه فقال علىّ: مه؛ وأقبل الأسد حتّى قام بين يديه فوضع يده على جبهته وقال: ارجع باذن الله ولاتدخل دارالهجرة بعداليوم، وبلّغ ذلك السّباع عنّى؛ فرجع وغاب عن أعيننا.

الآية الثّالثة ـ قال جعفر بن محمّدالصّادق عليه السّلام: انّ مالك بن الحارث الاشتر ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنى نفسى انّى اشدّ ام اميرالمؤمنين عليه السّلام؟ فحرّك دابّته الى

قلت: ان الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وشاهدوا معجزاته وسمعوا اخباره عن الغيوب الصادقة عياناً كانوا أشد آراءً و أعظم أحلاماً و أوفر عقولا من تلك الطائفة الضعيفة العقول السخيفة الاحلام الذين رأوا اميرالمؤمنين عليه السلام فى آخر ايامه كعبدالله بن سبأ واصحابه فانهم كانوا من ركاكة البصائر وضعفها على حال مشهورة فلاعجب عن مثلهم ان تستخفهم المعجزات فيعتقدوا فى صاحبها ان الجوهر الالهى قد حله لاعتقادهم انه لايصح من البشر هذا الا بالحلول».

اقول: لكلامه ذيل فمن اراده فليطلبه من هناك؛ ونقله العلامة المجلسى(ره) مع زيادة على مانقلناه فى تاسع البحار فى باب معجزات كلامه من اخباره بالغائبات (ص٥٩٣-٥٩٤ من طبعة امين الضرب) فاذا كان الامر كذلك فالخوض فى نقل هذه المعجزات من قبيل تحصيل الحاصل وتوضيح الواضح فالاولى الاكتفاء بالاشارة ولاسيما فى امثال هذه الكتب المختصرة كما اكتفى بها الشارح قدس الله سره.

---

١ - هو مذكور فى كتب كثيرة منها كتاب مدينة المعاجز للسيد هاشم البحرانى ـ قدس سره ـ (انظر المعجز السادس والخمسين من معاجز اميرالمؤمنين ص٣٧-٣٦).

٢ - هذه المعجزة ايضاً مذكورة بطرق كثيرة فى كتب عديدة منها فى مدينة المعاجز (انظر المعجز السابع والسبعين الذى فى تسليم الاسد عليه ص٤٤).

ذى الكلاع الحميرىّ واستلبه ورمى به الى فوق وتلقّاه بسيفه فقدّه بنصفين ثمّ قال لى : يا اشتر انا ام انت؟ــ فقلت: بل انت يا اميرالمؤمنين .

وهذا الخبر كما يدلّ على هذا المطلوب باستلاب الحميرىّ وما فعل به كذلك يدلّ على المطلوب الّذى قبله من جهة انّه بكت مالكاً بما تصوّره دون ان ينطق به.

الآية الرابعة ـ روى عبدالله بن أحمد بن حنبل عن مشايخه عن جابر انّ النّبىّ صلّى الله عليه وآله دفع الرّاية الى علىّ بن ابى طالب فى يوم خيبر بعد ان دعا له ببرء عينيه من الرّمد فبرئ لوقته ثمّ سار وجعل يسرع السّير واصحابه يقولون له: يا أميرالمؤمنين الرّفق الرّفق؛ حتّى انتهى الى باب الحصن وكان من صخرةٍ واحدةٍ فاقتلعه وألقاه على الارض.

وفى خبرٍ : انّه دحا به أذرعاً ثمّ اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جهدهم ان اعادوه الى مكانه و روى عنه انّه قال: عالجت باب خيبر[1] وجعلته مجنّاً لى وقاتلت القوم فلمّا اخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقاً ثم رميت به فى خندقهم فقال له رجلٌ: لقد حملت منه ثقلاً فقال: ما كان الّا مثل جنّتى الّتى فى يدى فى غير ذلك المقام.

فانظر ايّها المعتبر هل تجد ذلك الفعل صادراً عن قوّةٍ بدنيّةٍ ؟! فانّه لو كان كذلك لقدر عليه من هو أقوى صورةً منه ولذلك قال عليه السّلام: والله ماقلعت باب خيبر بقوّةٍ جسمانيّةٍ ولكن قلعته بقوّةٍ ربّانيّة؛ وللشّعراء فى هذه الآية أشعارٌ كثيرةٌ[2] لم نذكرها كراهة التّطويل .

الآية الخامسة ـ نقل عمّار الحضرمىّ[3] عن زاد ان بن ابى عمر انّ رجلاً حدّث

١ـ راجع لملاحظة هذه المعجزة وقائع غزوة خيبر فى البحار او مناقب ابن شهرآشوب او مايضاهيهما .

٢ـ منها قول ابن ابى الحديد فى عينيته المعروفة:

« يا قالع الباب الذى عن هزه عجزت اكف اربعون و اربع »

٣ـ قال السيد هاشم (ره) فى مدينة المعاجز فى الباب الاول عند تعداد معاجز امير المؤمنين ←

علياً بحديث فقال له: ما أراك الا كذبتني فقال: لم افعل، فقال: ادعوالله عليك ان كنت كذبتني؟ـ فقال: ادع؛ فدعا، فما برح من مكانه حتّى عمى.

وذلك يدلّ على انّ نفسه متمكّنة من استنزال العقوبات العاجلة.

الآية السّادسة ـ قال عبّاد بن عبدالله الاسدىّ: سمعت علياً عليه السّلام يقول وهو فى السّرحبة.

انا عبدالله واخو رسول‌الله ولايقولها بعدى الّا كاذب قال: فقام رجل من غطفان فقال: انا اقول كما قال هذا الكاذب: انا عبدالله واخو رسول‌الله؛ فاذاً هوفى صورة كلب[1].

وهذا يدلّ على تصرّف نفسه فى هيولى العناصر بالاعداد لخلع صورة ولبس اخرى.

الآية السّابعة ـ قال الحسين بن عبدالرّحمن التّمّار[2]: انصرفت عن مجلس بعض

← على(ع) مانصه (ص١٢٩): «الثانى والتسعون وثلاثمائة الذى اعمى بدعائه لما اكذبه؛ **ثاقب المناقب** عن عمار الحضرمى عن زاد ان ابى عمير ان رجلا حدث علياً صلوات‌الله عليه فقال: ماأراك الاكذبتنى فقال: لم افعل فقال: ادعوالله عليك ان كنت كذبتنى قال: ادع؛ فدعا عليه فما برح حتى أعمى الله عينيه».

---

١ ـ انظر لملاحظة نظائره مدينة المعاجز، ص٥٠ و ١٤١ـ١٢٩.

٢ ـ قال السيد هاشم البحرانى ـ رحمه‌الله ـ فى مدينة المعاجز فى الباب الاول الذى فى ذكر معاجز اميرالمؤمنين(ع) مانصه(ص١١٠): «الثالث والتسعون ومائتان تسكين الزلزلة على عهد عمربن الخطاب ـ شرف‌الدين النجفى فى تأويل الايات الباهرة عن ابى الحسن محمد بن جمهور العمى قال: حدثنى الحسن بن عبدالرحيم التمار قال: انصرفت من مجلس بعض الفقهاء فمررت على سليمان الشاذكونى (فذكر الحديث باختلاف يسير لايضر اصل الواقعة ثم قال) وروى هذا الحديث صاحب ثاقب المناقب».

اقول: وذكر فى مدينة المعاجز نظائرلها فمن اراد ها فليراجع ص١١٠ و١١١ وص١٣٤.

ونقل المجلسى(ره) فى تاسع البحار فى اواخر باب ماظهر من معجزاته هذه المعجزة عن كنزالفوائد للكراجى(ره) فان شئت فراجع.

الفقهاء فررت بسليم التّشاذكونيّ فقال لی: من اين اقبلت؟ــ فقلت: من مجلس فلان العالم قال : فما قوله؟ــ قلت: شیٌ من كرامات عليّ ، قال : والله لاحدّثنّك بعظيمة سمعتها من قرشيّ عن قرشيّ عن قرشيّ قال : رجفت قبور البقيع على عهد عمر بن الخطّاب فضجّ اهل المدينة من ذلك فخرج عمر ومعه اهل المدينة الى المصلّى يدعون الله تعالى لتسكن تلك الرّجفة فما زالت تزيد فی كلّ يوم الى ان تعدّى ذلك الى حيطان المدينة فقال عمر : انطلقوا بنا الى ابی الحسن علیّ بن أبی طالب؛ فمضوا اليه ودخلوا عليه فأخبروه الخبر، فقال علیّ بمائة من اصحاب رسول الله فاختار عليه السّلام من المائة عشرة فجعلهم خلفه وجعل التّسعين خلفهم ودعا سلمان و اباذرّ والمقداد وعمّاراً فجعلهم امامه وخرج بهم ولم يبق بالمدينة بنت عاتق الّا خرجت الى البقيع حتّى اذا توسّطه ضرب الارض برجله وقال : مالك ؟ ! مالك ؟ ! مالك ؟ ! ثلاثاً ؛ فسكنت الرّجفة فقال عليه السّلام : صدق حبيبی رسول الله صلّى الله عليه وآله ولقد أنبأنی بهذا الخبر وبهذا اليوم وباجتماع النّاس له.

الآية الثّامنة ـ علیّ التّمّار[1] قال: كان علیّ عليه السّلام يوماً فی مسجد الكوفة

١ـ قال السيد هاشم البحرانی ـ رضی الله عنه ـ فی باب معجزات امير المؤمنين (ع) من كتاب مدينة المعاجز مانصه (ص ٧١): « الثامن والسبعون ومائة تحويل حصی المسجد جواهر واعادتها حصی ـ **الراوندی فی الخرائج** قال روی عن عمر بن يزيد عن الشالی ان علياً (ع) كان قاعداً فی مسجد الكوفة وحوله اصحابه فقال له احد اصحابه: انی لاعجب من هذه الدنيا التی فی أيدی هؤلاء القوم وليست عندكم؟ ! فقال : اترى انا نريد الدنيا فلانعطاها ثم قبض قبضة من حصی المسجد وفتح كفه علينا فاذاً هی الجواهر تلمع و تزهر فقال : ماهذه ؟ ــ فنظرنا فقلنا : اجود الجواهر فقال: لواردنا الدنيا لكانت لنا ولكن لانريدها ثم رمی بالجواهر من كفه فعادت كما كانت حصیً : **ورواه الصفار فی بصائر الدرجات** عن عمر بن علی بن عمر بن يزيد عن علی بن النعمان عن بعض من حدثه عن امير المؤمنين صلوات الله عليه انه كان مع اصحابه فی مسجد الكوفة وذكر الحديث بعينه. **ورواه المفيد فی الاختصاص** عن ←

فقال له رجل: بابى انت وامّى ياامير المؤمنين انّى لاتعجّب من هذه الدّنيا الّتى فى ايدى من يبغضه الله وليست عندكم ؟ ! فقال له: اترى انّا نريد الدّنيا ولانعطاها ؟ ! ثمّ قبض قبضةً من الحصى فاذاً هى جوهر، فقال: ماهذا ؟ — فقال الرّجل: انّه من اثمن الجواهر وانفسها، فقال: لو اردنا لكان ثمّ رمى بالحصى فعاد كما كان.

الآية التّاسعة ـ الحسن العلوىّ قال[1]: اتانا امير المؤمنين عليه السّلام و كنت يومئذٍ غلاماً يافعاً فدخل منزله (فى حديث طويل) ثم خرج وتبعه النّاس فلمّا صار الى

← عمربن‌علىبن عمربن يزيد عن **علىبن التمار** عمن حدثه عن اميرالمؤمنين صلوات‌الله‌عليه انه كان مع بعض اصحابه فى‌مسجد الكوفة فقال له رجل؛ وذكرالحديث بعينه».

اقول: قد ذكر حديث البصائر بعد ذلك وجعله المعجز الرابع عشر ومائتين وقال بعده: **قلت:** تدبر هذا الحديث وماشاكله فيما تقدم».

١ـ نقله السيد هاشم البحرانى(ره) فى مدينة المعاجز هكذا (ص ٨٥):

« الثالث عشر ومائتان اخراجه الدنانير من الارض ـ **محمدبن‌الحسن الصفار** قال: حدثنى على بن ابراهيم الجعفرى قال: حدثنى ابوعلى‌العباسى عن محمد بن سليمان الحذاء البصرى **قال**: لما افتتح اميرالمؤمنين (ع) البصرة فقال: من يدلنا على دار ربيع بن حكيم قال له الحسن‌البصرى: انا يا اباالحسن اميرالمؤمنين **قال**: وكنت يومئذ غلاماً قد ايفعت ثم خرج واتبعه الناس فلما ان صار الى الجبانة نزل واكتنفه الناس فخط بسوطه خطةفأخرج ديناراً حتى اخرج ثلاثة دنانير فقلبها فى يده حتى أبصرها الناس ثم ردها وغرسها بابهامه فقال ليليك بعدى اسىء او سحسن ثم ركب بغلة رسول الله صلى‌الله عليه وآله و انصرف الى منزله.

و اخذنا الغلام واردنا الموضع فحفرنا حتى بلغنا الرسخ فلم نصب شيئاً فقيل للحسن: ياباسعيد مانرى ذلك من اميرالمؤمنين ؟— فقال: اما انا فلاارى ان كنوزالارض تسيرالا لمثله.

ورواه المفيدفى الاختصاص عن‌محمدبن‌سليمان‌الحذاء البصرى عن رجل عن‌الحسن بن ابى‌الحسن‌البصرى وذكرالحديث بتغيير فى‌بعض الالفاظ الا انه لايغيرالمعنى المذكورهنا».

الجبّانة نزل واكتنفه النّاس فخطّ بسوطه خطّاً فأخرج منه ديناراً ثم خطّ خطّاً آخر فأخرج منه ديناراً ثمّ فعل ذلك ثالثة حتّى اخرج ثلاثة دنانير فأخذها وقلبها فی يده حتّى ابصرها النّاس ثمّ ردّها وغرزها بابهامه ثم قال: ليليك بعدی محسن او مسیء ثمّ ركب بغلة رسول الله صلّى الله عليه وآله وانصرف الى منزله.

فأخذنا الفلاح وصرنا الى الموضع فاحتفر حتّى بلغ الرسغ[1] فلم يصب شيئاً فقيل للحسن: ماترى ؟ــ فقال: امّا انا فلا ارى انّ كنوز الارض تظهر الّا لمثله.

الآية العاشرة ـ أبومهاجر زيد بن رواحة العبدیّ قال: دخلت مسجد الكوفة فاذاً رجلٌ قد أكبّ عليه النّاس وهو يحدّثهم وهم يسمعون ويكتبون عنه؛ فسألت عنه فقيل: هو رجلٌ شهد مع أمير المؤمنين البصرة وصفّين والنّهروان وهو ذو شرفٍ وعقلٍ فدنوت منه فاذا هو يحدّث عن عليٍّ ويقول: سمعت ورأيت؛ فصبرت حتّى انفضّ عنه أكثر النّاس وقلت له: أنا رجلٌ من اهل البصرة خرجت لطلب العلم وأحببت ان أسمع منك شيئاً أحدّث به عنك فأخذ فی ذمّ [أهل] البصرة و توبيخهم على ما كان منهم، فقلت: أيّها الشّيخ لقد عممت أهل البصرة وقد كان فيهم البرّ والفاجر والسّعيد والشّقیّ، قال: صدقت فمن انت ؟ــ فقلت: أنا رجلٌ من عبدالقيس فقال: مرحباً بك ثمّ نهض بی الى منزله فأحسن ضيافتی وقال: سمعت امير المؤمنين عليه السّلام يقول: قيّدوا العلم بالكتابة وقام فأخرج صحيفة ففتحها وقرأ علیّ:

---

١ ـ ا ب: «الوسع» د: «الرسع».

٢ ـ اعلم يااخی انی راجعت بعض مظان نقل الحديث ولم اجده وليس لی الان وقت وحال للمراجعة لرمد قدعرض لبصری و وجع حدث فی عينی وقد آلمنی فعليهذا لم اتمكن من استقصاء جميع مظان ذكر الحديث حتی اظفر به واشير الى موضعه هناك فمن اراد موضعه فليفحص مظانه وهی جميع كتب المناقب والسير والمعجزات واظن انه مأخوذ من شرح ابن ابی الحديد فعليك بالفحص والبحث عنه حتی تظفر به انشاء الله تعالى.

حدّثنى ربيعة بن سالم الهمذانىّ قال : لمّا كان اليوم الّذى قتل فيه عمّار بن ياسر رحمه‌الله وكان ابتداؤنا من صفّين حرباً وطعناً فوقفت وأشرفت على النّاس وقد تزحزحوا عن مقاماتهم يتكفّؤن تكفّؤ السّفينة بأهلها فمن بين متقدّم لقتال ومتأخّر عن[1] كلال؛ والامر فى غاية العسر والنّاس فى نهاية الحال من العطش وقد أخذ العدوّ الماء ووطى[2] الموارد وقد مدّت الخيل أعناقها ولجمها وعضّت[3] على النّشكائم وقهقرت[4] على اكفالها وتداعى النّاس بآبائهم، واعتزوا الى انسابهم، والنّساء على المطايا خلال الصّفوف يحرّضن[5] الرّجال على القتال والنّاس قد عاينوا الثّواب واستيقنوا المآب فعند ذلك اتّكأت على رمحى وقلبت وجهى وأرجعت[6] طرفى الى السّماء وقلت فى نفسى : يارب هذا أخو نبيّك ووصيّه، وأحبّ الخلق اليه وأنصرهم له ، وأعلمهم بالدّين وأهداهم للحقّ المبين ، وقد ترى ماترى ؛ ولك[7] الخلق والأمر تصيب برحمتك من تشاء[8] وقد ضعفت عن حمل ذلك فأبح[9] اللّهم لى ما تثبّت به قلبى وتذهب به نزغ الشّيطان[10] الرّجيم قال ربيعة: فلم أستتمّ الدّعاء واذاً أنا بمقرعة بين كتفىّ؛ فالتفتّ فاذا أنا بأمير المؤمنين عليه السّلام وهو

١- ب د : «من». ٢- ا ج د : «حط» فكأن كلمة المتن من «وطى» (كعلم) ارض العدو اى دخلها». ٣- ج: «غطت» (بالغين المعجة وتشديد الطاء المهملة) د: «عطت» (بالعين المهلة وتشديد الطاء المهلمة). ٤- ا ب : «قهقر» ج د: «تقهقرت» و تهقر و تقهقر بمعنى؛ يقال : «قهقر الرجل و تقهقر= رجع الى خلف ؛ والرجل يقهقر فى مشيته وذلك اذا تراجع على قفاه». ٥- ا : «عرض» ب : «يحرض» ج د : «يخوض». ٦- ج د : « رجعت» وهما بمعنى؛ من قولهم: «رجع (كضرب) اليه رجعاً ومرجعاً (بفتح الجيم وكسرها) صرفه ورده ؛ لازم متعد» ومن معانى أرجعه أيضاً رده ومرفه. ٧- ا: «فلله» ب: «ولله». ٨- ا ب : يصيب برحمته من يشاء». ٩- كأنه من قولهم: «أباحه سراً فباح به بوحاً اى ابثه اياه فلم يكتمه». ١٠- نزغ الشيطان وساوسه ونخسه فى القلب بما يسول للانسان من المعاصى من قولهم : « نزغه الشيطان الى المعاصى اى حثه وأغراه».

على بغلة رسول‌الله وبيده عنزة رسول‌اللهصلّى‌الله عليه وآله فقال لى : ياربيعة لشدّ[١] ما جزعت ؛ انّما النّاس رائحٌ ومقيمٌ ؛ فالرّائح من تحت هذا اللّواء الى جنّة المأوى والى سدرة المنتهى عرضها كعرض السّماء والأرض اعدّت للمتّقين[٢] ، والمقيم بين اثنتين ؛ امّا نعمة مقبلة اوفتنة مضلّة ، ياربيعة حيّ على معرفة ماسألت ربّك ومن يفرى الارض فرياً ؛ فاتّبعته حتّى خرج عن المعسكر وجازه[٣] بمقدار ميل اونحوه وثنى برجله عن البغلة فنزل وخرّ على الارض فى الدّعاء يقلّب[٤] كفّيه ظهراً و بطناً ؛ فما ردّ يده حتّى نشأت سحابة كأنّها هقل[٥] نعام حتّى أظلّتنا ؛ فماعدا ظلّها[٦] مركبينا[٧] ثمّ هطلت بشيء كأفواه القرب حتّى شرب فرسى من تحت حافره وملأت مزادتى فارتويت وروى فرسى ، ثمّ عاد فركب بغلته وأدنى الى العسكر فتركنى وانغمس فى النّاس.

وهذه الآية ايضاً كما تدلّ على قدرته على استنزال البركات بدعائه الّذى لاحجاب دونه كذلك تدلّ على اطّلاعه على المغيبات اذ أخبر ربيعة بما فى نفسه و وبّخه عليه .

واعلم انّ ماذكرناه من هذه الآثار قطرةٌ من بحار مايورد فى هذا الباب؛ وفيه كفايةٌ للنّاظرين بعين الانصاف .

ولنا فى اثبات هذا المطلوب بهذه الاخبار طريقان:

احدهما[٨]ـ انّ جماعة ادّعوا انّ هذه الاخبار كلّ واحدواحد منها معلوم بالتّواتر

---

١ ـ ا : « اشد ». ٢ ـ اخذ واقتباس من آيتين ؛ احداهما آية ٢١ سورة الحديد وثانيتهما آية ١٣٣ سورة آل‌عمران. ٣ـ ا: «حازه» وكلمة المتن من قولهم: «جازالموضع يجوزه اى خلفه(بتشديد اللام) وتركه خلفه وقطعه». ٤ـ ا : «فقلب». ٥ـ ا : «مقل» (بالميم بدل الهاء فى اول الكلمة) والهقل بالكسر الفتى من النعام وقيل: الهقل الظليم مطلقاً ولااختصاص له بالفتى. ٦ـ ا : فماعدا ظلناه. ٧ـ ب : « مركبتاه » د : « مركبنا ». ٨ ـ ا : «احداهما».

ثمّ قالوا: ليس للخصم ان يقول: لو كان ذلك متواتراً لوجب انيكون ضروريّاً عند كافّة الخلق لما انّ هذه الوقائع من الوقائع الكبار الّتى تتوفّر الدّواعى على نقلها و لما اختصصتم بالعلم به دون غيركم لانّ لنا ان نجيب عن ذلك بانّ شرط التّواتر ان لايكون قد سبق الى اعتقاد السّامع له شبهة تقليد نفى موجب الخبر المنقول فانّه لو سبق الى اعتقاده ذلك لم يعتقد صحّته لعدم امكان اعتقاد صحّة الخبر مع اعتقاد صحّة ما ينافيه فلعلّ الخصم لرسوخ نقائض هذه الاخبار فى ذهنه لايعتقد صحّتها.

الطريق الثّانى وهو[1] الاقرب الى الانصاف انّ هذه الاخبار غير متواترة لفظاً لكنّا نقول: انّها متواترة تواتراً معنويّاً بمعنى انّا نعلم بالضّرورة عند سماع هذه الاخبار الكثيرة المختلفة الطّرق مع اتّفاقها على اثبات هذين النّوعين من الكرامات له علماً جمليّاً انّها بأجمعها لاتكون كاذبة بل لابدّ من صدق شئ منها وايّها صدق ففيه تمام الغرض من اثبات هذه المطالب.

ثمّ اعلم انّه لايمكنك ايّها الملاحظ لجلال الله المتحرّى سلوك الصّراط المستقيم ان تستنكر بصريح عقلك شيئاً من ذلك بعد ان أعلمناك امكانه من مذاهب الطّبيعة وأشرنا لك الى[2] اسبابه الكلّيّة فى القسم الاوّل ولعلّ فى قوّتك امكان هذه الامور أو شئ منها لو قد اخذ التّوفيق بزمام عقلك فأيقظك من رقدة[3] الطّبيعة فاطّلعت على خيانة اعدائك الّذين هم فى صورة اصدقائك وغاشّيك الّذين هم فى زىّ نصحائك فقهرتهم[4] حتّى انقادوا خلفك الى بساط الكرامة وحلول[5] دار المقامة فانّى احسبك حينئذٍ تعلم جليّة مااشتبه الآن[6] خبره وحقيقة ماانطمس عن عينك اثره.

١- ا ب: «وهى». ٢- ا: «ان». ٣- ب ج: «مرقد». ٤- ا: «فنهرتهم». ٥- ا: «حلوا». ٦- د: «الال».

والله تعالى يوفّقنا وإيّاك لما يحبّه ويرضاه بمنّه وجوده وما توفيق إلّا بالله عليه توكّلت واليه انيب وهوحسبي ونعم الوكيل، والحمدلله حقّ حمده وصلّى الله على اشرف خلقه وآله وجنده واصحابه اجمعين.

[صورة ما في آخر النّسخة الّتي أسّس عليها أساس الطّبع]

وتمّ الكتاب بعون الملك الوهّاب القويّ الغلاّب ليلة السّبت عشيّة الخامسة من شهرربيع ال[لا]وّل سنة سبعين وثمانمئين من هجرة سيّد المرسلين على يد العبد الفقير المحتاج الى ربّه القدير في التّجاوز عن سيّئاته وغفران هفواته والعون على قضاء حاجاته حسن بن محمّدبن عليّ بن مشرّف العيناثيّ ــ أصلح الله داريه ووفّقه للخير وأعانه عليه ــ انّه جوادٌ كريمٌ، خدمةً للشّيخ التّقيّ والشّهاب المضيّ الّذي تسنّم من الفضائل أعلى باب وتلبّس من التّقى والعفّة أحسن جلباب الشّيخ شمس الملّة والدّين محمّد بن . . . لازالت ايّامه لامعةً بالاقبال ولياليه مقمرة لايغادرها . . . بمحمّدٍ وآله خيرآل.

نجز طبع الكتاب بعون الله الملك الوهّاب
لثلاث ليالٍ بقين من المحرّم الحرام من سنة ١٣٩٠ الهجرة النّبويّة
موافقاً لتاريخ ١٣٤٩/١/١٥ هـ ش.

فهرس موضوعات الكتاب

خطبة الكتاب ومقدّمته

القسم الاول فى المبادى والمقدمات ١

الفصل الاوّل فى النّفس الحيوانيّة ولواحقها؛ وفيه أبحاث :

البحث الاول - فى تحقيقها و برهان وجودها ٣
البحث الثانى - فى ماهية الادراك ٤
البحث الثالث - فى الحواس الظاهرة ٤
البحث الرابع - فى الحواس الباطنة ٨
البحث الخامس - فى القوى المحركة بالارادة ١٠
البحث السادس - فى الارواح الحاملة لهذه القوى ١١

الفصل الثّانى فى النّفس الانسانيّة والفلكيّة؛ وفيه أبحاث:

البحث الاول - فى ماهيتهما و براهين وجودهما ١٢
البحث الثانى - فى قوى النفس الانسانية ١٤
البحث الثالث - فى الكمالات العقلية الانسانية من اقسام الحكمة النظرية والعملية ١٧
البحث الرابع - فى تفصيل وجيز لاصول الفضائل الخلقية ١٨

الفصل الثّالث فى احوال النّفس بعد المفارقة؛ وفيه أبحاث :

البحث الاول - فى ان النفس باقية بعد خراب البدن ٢٥
البحث الثانى - فى بيان ماهية السعادة والشقاوة ٢٦
البحث الثالث - فى اثبات اللذة العقلية للنفوس الانسانية ٢٨
البحث الرابع - فى درجات السعداء و مراتب الاشقياء ٣٠

الفصل الرّابع فی الاشارة الی بعض احوال السّالکین الی الله تعالی؛ وفیه أبحاث :

البحث الاول- فی بیان مسمی الزاهد والعابد و العارف ٣٣
البحث الثانی- فی أنه کیف یکون الزهد والعبادة مؤدیین الی المطلوب الذاتی ٣٤
البحث الثالث- فی غرض غیر العارف من الزهد والعبادة وغرضه منهما ومن عرفانه ٣٧
البحث الرابع- فی درجات حرکات العارفین ٣٧
البحث الخامس- فی احکام العارفین و اخلاقهم ٤١

الفصل الخامس فی بیان احکام اخری للنفوس الکاملة؛ وفیه بحثان :

البحث الاول- فی التمکن من الاخبار عن المغیبات وسببه ٤٣
البحث الثانی- فی تمکن نفوس الانسانیة من الاتیان بخوارق العادات ٤٨

القسم الثانی فی المقاصد ؛ وفیه فصول :

الفصل الاوّل فی المباحث المتعلّقة بالعقل والعلم والجهل والظّنّ والنّظر

١- لو کشف الغطاء ما ازددت یقیناً ٥٢
٢- الناس نیام فاذا ماتوا انتبهوا ٥٤
٣- من عرف نفسه فقد عرف ربه ٥٧
٤- ما هلک امرؤ عرف قدره ٥٩
٥- رحم الله امرء عرف قدره ولم یتعد طوره ٥٩
٦- قیمة کل امرء مایحسنه ٦١
٧- الناس ابناء مایحسنون ٦٢
٨- المرء مخبوء تحت لسانه ٦٣
٩- الشرف بالعقل والادب لابالحسب و النسب ٦٥
١٠- لاتنظر الی من قال و انظر الی ماقال ٦٨
١١- اذا تم العقل نقص الکلام ٦٩
١٢- لاداء أعیا من الجهل ٧٠
١٣- لامرض اضنی من قلة العقل (وفی نسخة : اخفی) ٧٢
١٤- نعمة الجاهل کروضة فی مزبلة ٧٥

١٥- اغنى الغنى العقل ٧٦
١٦- احمق الحمق الفقر ٧٧
١٧- افقر الفقر الحمق ٧٩
١٨- الحكمة ضالة المؤمن ٨٠
١٩- المرء عدو ماجهله ٨١
٢٠- قلب الاحمق فى فيه ولسان العاقل وراء قلبه ٨٣
٢١- ظن العاقل كهانة ٨٥
٢٢- من نظر اعتبر ٨٧

الفصل الثانى

فى المباحث المتعلّقة بالاخلاق الرضيّة والرّديّة والآداب المتعلّقة بها

١- من عذب لسانه كثر اخوانه ٩٠
٢- من لان عوده كثفت أغصانه ٩١
٣- بشر مال البخيل بحادث أو وارث ٩٣
٤- الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم ٩٤
٥- اكرم الحسب حسن الخلق ٩٦
٦- لاظفر مع البغى ٩٧
٧- لاثناء مع كبر ٩٨
٨- لابر مع شح ٩٩
٩- لا اجتناب محرم مع حرص ١٠٠
١٠- لاراحة مع حسد ١٠٢
١١- لازيارة مع زعارة ١٠٤
١٢- لامروة لكذوب ١٠٤
١٣- لاوفاء لملول ١٠٧
١٤- لاكرم أعز من التقى ١٠٩
١٥- لامعقل أحصن من الورع ١١١
١٦- نفاق المرء ذلة ١١٢

١٧ - الجزع أتعب من الطمع ١١٣
١٨ - الذل مع الطمع ١١٤
١٩ - الحرمان مع الحرص ١١٥
٢٠ - عبدالشهوة اذل من عبدالرق ١١٧
٢١ - الحاسد مغتاظ على من لاذنب له ١١٩
٢٢ - منع الموجود سوء الظن بالمعبود ١٢٠
٢٣ - العداوة شغل القلب ١٢٢
٢٤ - لاحياء لحريص ١٢٣
٢٥ - البخل جامع لمساوى العيوب ١٢٤
٢٦ - كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق ١٢٦
٢٧ - البغى سائق الى الحين ١٢٩
٢٨ - أوحش الوحشة العجب ١٣٠
٢٩ - اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه ١٣٣
٣٠ - البخيل مستعجل الفقر يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الاخرة حساب الاغنياء ١٣٤
٣١ - لسانك يقتضيك ماعودته ١٣٦
٣٢ - لاصحة مع التهم ١٣٧

الفصل الثالث

في المباحث المتعلّقة بالآداب والمواعظ والحكم المصلحيّة

١ - اكرم النسب حق الادب ١٤٠
٢ - بالبر يستعبد الحر ١٤١
٣ - الجزع عندالبلاء تمام المحنة ١٤٣
٤ - رحم الله امرء قال خيراً فغنم أو سكت فسلم ١٤٥
٥ - الاعتذار تذكير بالذنب ١٤٩
٦ - النصح بين الملاء تقريع ١٥٠
٧ - الشفيع جناح الطالب ١٥١

٨ ـ المسؤول حر حتى يعد ١٥٢
٩ ـ اكبر الاعداء اخفاهم مكيدة ١٥٤
١٠ ـ من طلب مالا يعنيه فاته مايعنيه ١٥٥
١١ ـ السامع للغيبه احد الغتابين ١٥٦
١٢ ـ الراحة مع اليأس ١٥٨
١٣ ـ من كثر مزاحه لم يخل من حقد عليه او استخفاف به ١٥٩
١٤ ـ كفى بالظفر شفيعاً للمذنب ١٦٣
١٥ ـ رب ساع فيما يضره ١٦٤
١٦ ـ روحوا القلوب فان القلب اذا أكره عمى ١٦٥
١٧ ـ الادب صورة العقل ١٦٧
١٨ ـ اليأس حر و الرجاء عبد ١٦٨
١٩ ـ من لانت أسافله صلبت أعاليه ١٦٩
٢٠ ـ من طعن فى عجانه قل حياؤه وبذا لسانه ١٧١
٢١ ـ السعيد من وعظ (او : اعتبر) بغيره ١٧٢
٢٢ ـ رب امل خائب ١٧٤
٢٣ ـ رب طمع كاذب ١٧٥
٢٤ ـ رب رجاء يؤدى الى الحرمان ١٧٦
٢٥ ـ رب أرباح تؤدى الى الخسران ١٧٧
٢٦ ـ فى كل أكلة غصة ومع كل جرعة شرقة ١٧٩
٢٧ و ٢٨ ـ اذا حلت المقادير ضلت التدابير واذا حل القدر بطل الحذر ١٨٠
٢٩ ـ ليس العجب ممن هلك انما العجب ممن نجا كيف نجا ١٨٣
٣٠ ـ الاحسان يقطع اللسان ١٨٤
٣١ ـ احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود ١٨٦
٣٢ ـ اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلاتنفروا اقصاها بقلة الشكر ١٨٨
٣٣ ـ اكثر مصارع العقول تحت بروق الاطماع ١٨٩
٣٤ ـ من أبدى صفحته للحق هلك ١٩٢
٣٥ ـ اذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة ١٩٣

٣٦- من جرى فى عنان أمله عثر بأجله ١٩٤
٣٧- لاتتكل على المنى فانها بضائع النوكى ١٩٦
٣٨- لاشرف اعلى من الاسلام ١٩٧
٣٩- لاشفيع انجح من التوبه ١٩٩
٤٠- لالباس أجمل من العافيه ٢٠١
٤١- لاصواب مع ترك المشوره ٢٠٢
٤٢- لامحبة مع مراء ٢٠٧
٤٣- لاسؤدد مع انتقام ٢٠٨
٤٤- لاشرف مع سوء الادب ٢١٠
٤٥- ما اضمر احدكم شيئاً الا اظهره الله فى فلتات لسانه وصفحات وجهه ٢١١
٤٦- اللهم اغفرلنا رمزات الالحاظ وسقطات الالفاظ وهفوات اللسان وسهوات الجنان ٢١٣

القسم الثالث فى اللواحق والتتمات وفيه فصلان:

الفصل الاوّل - فى انّ عليّاً (ع) كان مستجمعاً لجميع الفضائل الانسانيّة؛ وفيه بحثان:

البحث الاول - فى بيان كماله (ع) بحسب القوة النظرية وفيه مقامان ٢١٧
المقام الاول - فى أنه كان استاذ البشر بعد رسول الله (ص) ٢١٧
المقام الثانى - فى أنه كان سيد العارفين بعد رسول الله (ص) ٢١٩
البحث الثانى - فى بيان كماله (ع) بحسب القوة العملية ٢٢٤
(وفيه اصول الفضائل من الحكمة الخلقية والعفة والشجاعة)
القسم الثانى و الثالث - من اقسام الحكمة المنزلية والسياسية ٢٣٠

الفصل الثانى فى بيان اطلاعه على المغيبات وتمكنه من خوارق العادات؛ وفيه بحثان:

البحث الاول فى اطلاعه (ع) على الامور الغيبيّة ويورد فيه عشرة احكام ممّا حكم بالمغيبات

٢٣٧
الاول - ماحكم بوقوعه فى حق عبيدالله بن زياد ٢٣٧
الثانى - ماأخبر به عما يؤول اليه امر الخوارج ٢٣٨

الثالث ـ اخباره عن فتنة الزنج ٢٣٩
الرابع ـ اخباره عن الحجاج و تسلطه على الناس ٢٤٠
الخامس ـ اخباره عن الملاحم بالبصرة ٢٤٢
السادس ـ اخباره عن عبدالملك بن مروان ٢٤٥
السابع ـ اخباره عما يكون من بني امية بعده ٢٤٦
الثامن ـ اخباره عن الاتراك وما يكون في دولتهم ٢٤٦
التاسع ـ اخباره عما وقع من امر الحنيفة وما قالته خولة عند ولادتها ٢٤٧
العاشر ـ اخباره عما يؤول اليه امر خالدبن عرفطة ٢٥١

البحث الثاني في بيان تمكنه(ع) من الافعال الخارقة للعادة

ويذكر فيه عشر آيات :

الاولى ـ مكالمته(ع) مع شمعون وصي عيسى(ع) ٢٥٥
الثانية ـ كلامه(ع) مع الاسد ٢٥٦
الثالثة ـ اخباره عما حدث في نفس مالك الاشتر و خطر على باله ٢٥٦
الرابعة ـ قلعه باب خيبر وكان من صخرة واحدة ٢٥٧
الخامسة ـ صيرورة الكاذب بدعائه(ع) أعمى ٢٥٨
السادسة ـ صيرورة كاذب آخر بدعائه كلباً ٢٥٨
السابعة ـ تسكينه(ع) الارض عن الزلزلة في عمر بن الخطاب ٢٥٩
الثامنة ـ تحويله(ع) حصى المسجد جواهر واعادته اياها حصى ٢٦٠
التاسعة ـ اخراجه(ع) دنانير من الارض ٢٦٠
العاشرة ـ اخباره(ع) عما في ضمير ربيعة بن سالم و نزول المطر بدعائه(ع) ٢٦١
طريقان بهما يستدل على صحة ماذكر من الاحكام والايات ٢٦٣
خاتمة الكتاب ٢٦٥

<[* تم الفهرس *]>

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١١٣٦٤٨
التاريخ / ١٠ / ٤ / ١٤٠٠

مؤسسة العروة الوثقى

الرويس -المعمورة ، شارع خديجة همدر

هاتف :٠١/٥٤٠٩٥٢ ٠١/٤٦٧٠٩١ ـ ٠٣/٦٠٦٨٢٩

E-mail:ouwa.woska@hotmail.com